

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY

الجامعة العالمية الإسلامية إسلام آباد باكستان

ISLAMABAD PAKISTAN



كلية أصول الدين

FACULTY OF USULUDDIN

قسم التفسير وعلوم القرآن

الجوانب التربوية في سورة يوسف من خلال تفسير محاسن التأويل للإمام

القاسمي وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب

(دراسة مقارنة)

موضوع مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن

تحت إشراف:

الأستاذة سومية عزيز

إعداد الطالبة: سومياتي

رقم التسجيل:

258-FU/MSTQS/F23

الإهداء

أهدى هذه الرسالة:

إلى والديّ الكريمين،

وإلى كل من أخذ بيدي في تعلّم كتاب الله،

أهدي هذا العمل المتواضع.

كلمة التقدير والشكر

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل كتابه هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، المبيّن لمعاني كتاب ربّه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدّم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الله سبحانه وتعالى، الذي وقّفي لدراسة علم التفسير، وأعاني على إتمام هذه الرسالة في مرحلة الماجستير.

كما أتوجّه بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة سومية عزيز على ما بذله من جهدٍ علميٍّ، وما قدّمه من توجيهٍ دقيقٍ وملاحظاتٍ قيّمة، أسهمت في تعميق الفهم التفسيري وتقويم المنهج العلمي في هذه الدراسة. وأتقدّم بالشكر الجزيل إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين على ملاحظاتهم العلمية البناءة، التي كان لها أثرٌ واضح في إثراء هذا البحث وتحسينه.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر إلى أستاذتي الكرام في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة العالمية الإسلامية إسلام آباد لما قدّموه من علمٍ نافعٍ وتوجيهٍ أكاديميٍّ خلال فترة دراستي.

كما أخصّ بالشكر والامتنان والديّ الكريمين وأسرتي العزيزة على دعمهم المتواصل ودعائهم الصادق، وعلى ثقتهم الغالية وإذّهم لي بالسفر وطلب العلم بعيداً عن وطني، وتشجيعهم لي -ابنتهم- على مواصلة الدراسة وتحمل مشاق الغربة في سبيل العلم

كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأساتذة والأساتذات الذين تحلّوا بالصبر في تعليمي وتوجيهي، وإلى وزميلي الذين كانوا دائماً عوناً لي، يتبادلون الدعاء ويتواصلون بالصبر، ويشدّ بعضهم أزر بعض في مسيرة طلب العلم.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم الباحثين والباحثات في مجال التفسير، وما كان فيه من توفيق فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي، والله وليّ التوفيق.

سوميّاتي

التاسع من يناير سنة 2026م

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

التعريف بالموضوع

تكمن أهمية التربية في كونها عملية ضرورية للفرد والمجتمع، إذ تعمل على تنمية الإنسان في جميع الجوانب ليصبح فردًا صالحًا في مجتمعه. والإسلام دينٌ يهتم بالتربية اهتمامًا بالغًا، حيث تُعد التربية الإسلامية عملية بناء للإنسان وتوجيهه وفقًا لمنهج الإسلام الحنيف وأهدافه السامية، بهدف تشكيل شخصيات متزنة وحميدة الأخلاق.

وتتميز التربية الإسلامية بأهميتها في نقل التراث الثقافي الإسلامي والمحافظة عليه، وتنقيته من العوالق والشوائب. كما تُعد نمطًا حيائيًا يشمل المبادئ والقيم الإسلامية، وتشكل إحدى الركائز الأساسية في المجتمع الإسلامي، إذ تركز على الوحي الإلهي المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتركز على بناء منظومة الفرد القيمية والأخلاقية.

إضافة إلى ذلك، يتمثل دور التربية الإسلامية في تنمية المجتمعات، وتعزيز الوحدة القومية والتماسك الاجتماعي، وتحقيق الأهداف السامية للفرد والمجتمع.

القرآن هو المصدر الرئيسي في التربية الإسلامية، لقد جاءت سورة يوسف في القرآن الكريم بطابع خاص متميز، فقد قص الله علينا فيها قصة يوسف عليه السلام - واقع حياة - كما شاء الخالق، فهي تقص واقع الحياة الدنيا كما نحيها، الصراع فيها بين: حلوها ومرها، أفراحها وأحزانها، مسراتها ومصائبها، الخير والشر، العلم والجهل.

يقول الله سبحانه وتعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ¹.

تُعَدُّ قصةُ نبيِّ الله يوسف عليه السلام من القصص المهمة في التراث الإسلامي، إذ تحمل في طياتها العديد من الدروس والعبر التربوية. وتهدف هذه الرسالة إلى استكشاف الجوانب التربوية التي يمكن استخلاصها من قصة يوسف عليه السلام، وبيان كيفية تطبيق هذه الدروس في سياقات التربية الحديثة.

إن علم تفسير القرآن مهم جداً في حياة الإنسان، بحيث يمكن للإنسان بسهولة معرفة وفهم آيات القرآن التي يصعب أحياناً على الناس العاديين فهمها. إن اختلاف زمان و مكان المفسرين وأساليب تفاسيرهم سيؤثر على المفسر في تفسير القرآن. وهذا يقدم ثراء معرفياً في مجال التفسير. سوف يناقش هذا البحث الجوانب التربوية في سورة يوسف من خلال المفسرين في العصر الحديث.

الدراسات السابقة:

هنا بعض الدراسات السابقة التي تناولت هذه السورة الكريمة:

1. المنهاج القرآني في علاج المشكلات التربوية للأبناء من خلال سورة يوسف, نورة خالد جاسم النفيعي

الكبيسي, قسم تفسير وعلوم القرآن, كلية الشريعة والدراسات الإسلامية, جامعة قطر, رسالة لنيل درجة

الماجستير, 2018 م.

ركزت هذه الرسالة على المشكلات التربوية للأبناء التي تضمنتها سورة يوسف و كيف المنهاج القرآني في

علاج تلك المشكلات. تستخدم المؤلفة المنهج الاستقرائي و التحليلي و الإستنباطي في هذا البحث.

¹ سورة يوسف: 3

2. الجوانب التربوية في سورة يوسف من خلال "تصديق المعارف" لإمام محمد بن عبد الملك الديلمي,

لأحمد حميد عبد الديلمي, جامعة سليمان ديميرال تركيا, مجلة العلوم الشرعية, 2019م.

يتناول هذا المقال أهم الجوانب التربوية والأخلاقية التي استنبطها الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي من

سورة يوسف، هذا المقال من خلال دراسة سورة يوسف في كتاب تفسير تصديق المعارف.

3. القيم التربوية في سورة يوسف, نزهة محمد محمد عثمان, كلية الآداب, جامعة سبها ليبيا, مجلة العلوم

الإنسانية, Sebha University Journal Of Human Sciences, ٢٠/١, ٢٠٢١م.

هذا البحث إلى إبراز القيم التربوية و الإنسانية في سورة يوسف من خلال العبرة و المواعظ التي تتضمنها

في هذه السورة, تستخدم المؤلف المنهج الاستقرائي و التحليلي و الوصفي في هذا البحث.

4. المقاصد الدعوية و التربية في ضوء سيرة يوسف عليه السلام "رؤيه تحليلية", حسن سليمان و سعيد

عبد الله بوصري و فاطمة كريم, الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا, المجلة العالمية للدراسات الفقهية والأصولية,

المجلد ٨, العدد ٢, 1446هـ/2024م.

هذا البحث إلى إبراز أساليب الدعوة و التربية في سورة يوسف, أن القصص وسيلة مقاصدية تربوية

مهمة لا يستغني عنها الداعية، وهي في القرآن الكريم حقيقة لاخيال. يستخدم المؤلف المنهج التحليلي و

الوصفي في هذا البحث.

5. الإشارة الاجتماعية في سورة يوسف "دراسة تداولية", م.م ولاء عبد الله محمود, مجلة كامبريدج للبحوث

العلمية:مجلة علمية محكمة, تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات- العدد السادس و العشرون—

تشرين الأول 2023- ربيع الأول 1445, ص: 10-19, ISSN-2536-0027.

ركزت هذه الرسالة في الجانب اللغوي وكيفية تأثيره على الاجتماعي, فلغة القرآن لغة مميزة, تتجلى بها آيات

الإعجاز, وتنبج بها المعاني أيما انبلاج, وذلك ماسنراه جليا في التحليل التداولي لسورة يوسف المشحونة

بأنواع العلاقة الإجتماعية. فعالج البحث ظاهرة تداولية في اللغة العربية من خلال أسمى نموذج إلا وهو القرآن الكريم. اللغة العربية لتلك النظريات الوافدة إلينا من خلال خصائصها ومميزتها التي لا تكاد تخفى على كل من درسها.

6. Behavior educational in surah Yusuf ,Hegazi, M. H. M., Abdullah, H. B. H., & Shehab, A. (2022) ,*International Journal of Health Sciences*, 6 (S1), 745-753.

تتناول هذه الدراسة التربية السلوكية في سورة يوسف، وتهدف إلى تحديد السلوكيات الإيجابية الواردة في القصة للاقتداء بـهـديها، مثل: حسن التخطيط وأثره في تحقيق النتائج الإيجابية، وحسن اختيار الشخص الجدير بالثقة في الأسرار والنوايا، والوفاء بالعهود، وابتلاء المسلمين ووجوب الصبر عليه، وغيرها. كما تسلط الدراسة الضوء على بعض السلوكيات السلبية التي لم تُصرَّح بها الآيات، وإنما فهمت من خلال أضرارها، وذلك للتحذير منها وتجنبها.

وتوصي الباحثة بضرورة الاهتمام بالتطبيقات التربوية للقصص القرآني في جميع المراحل التعليمية. بالنسبة إلى الدراسات السابقة الموجودة، لم تجد الباحثة أيَّ بحثٍ علميٍّ يستخدم المنهج المقارن لدراسة الجوانب التربوية في سورة يوسف، ولذلك قررت الباحثة دراسة هذا الموضوع بوصفه موضوعًا جديدًا.

أهمية الموضوع و أسباب إختيار الموضوع:

- القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الكتب الأخرى
- إن التربية من مبادئ ومهارات الأساسية التي اهتم بها في الإسلام
- تسهم في فهم النصوص القرآنية من زاوية تربوية تهدف إلى بناء الفرد و المجتمع

- قصة يوسف هي أحسن القصص في القرآن الكريم, أخذ الجوانب التربوية من أحسن القصص في القرآن الكريم
- التفسير المقارن هو جمع الأقوال التفسيرية المختلفة في مكان واحد حيث يجد القارئ أمامه مرجعا مهما في التفسير ، ويسهل على الباحثين من طلبة العلم الوصول إلى الأقوال المختلفة في التفسير مما يثري البحث.
- تفسير محاسن التأويل, من أشهر التفاسير في العصر الحديث, يعد تفسير القاسمي موسوعة حديثة في التفسير, لأنه كان من المتأخرين، فاطلع على تفاسير السابقين، وعرف ما تخللها من غث وThin، فضمن تفسير الكثير من نادر الفوائد والفرائد، واختار أصح الآراء وأدقها، وعرضها بلغة العصر وأسلوبه.
- كتاب الظلال من أهم كتب التفسير في العصر الحديث، أبان فيه عن معاني القرآن الكريم بلغة راقية وأسلوب رفيع، مستخلصا منه ما يجلي شمولية المنهج الإسلامي وقوته، ومستخلصا منه ما يمكن تسميته بالهدى المنهجي الذي يفيد المسلم في تمثل الإسلام والدعوة إليه.

إشكالية البحث:

- ما جوانب التربية التي تتضمنها سورة يوسف من خلال تفسير محاسن التأويل وتفسير في ظلال القرآن؟
- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفسرين في المنهج التفسيري عند تناول الجوانب التربوية في سورة يوسف، خاصة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي؟
- كيف اختلفت مصادر التفسير والاستشهاد بين المفسرين؟
- ما الخصائص والمميزات التي يتميز بها كل مفسر في تقديمه للجوانب التربوية في سورة يوسف عليه السلام؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث على :

- الكشف عن الجوانب التربوية التي تتضمنها سورة يوسف عليه السلام من خلال تفسير محاسن التأويل وتفسير في ظلال القرآن.
- بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفسرين في المنهج التفسيري عند تناول الجوانب التربوية في سورة يوسف، ولا سيما بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
- تحليل اختلاف مصادر التفسير والاستشهاد التي اعتمد عليها كل مفسر في تفسيره لسورة يوسف.
- إبراز الخصائص والمميزات التي يتميز بها كل مفسر في تقديمه للجوانب التربوية المستنبطة من سورة يوسف عليه السلام.

تحديد البحث

حدد هذا الموضوع على خمسة الجوانب التربوية في سورة يوسف التي وردت في التفسير محاسن التأويل للقاسمي و تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وهي: الجوانب التربوية الأسرية، الأخلاقية، العقائدية، الدعوية و الإجتماعية.

منهج البحث:

ستتبع الباحثة في هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن، كما يقتضيه موضوع البحث. حيث تقوم الباحثة بتحليل الآيات الواردة المتعلقة بالجوانب التربوية في سورة يوسف، ثم مقارنتها وفقاً للإطار الذي اعتمدته في هذا البحث.

خطوات البحث

- ذكر الآيات المتعلقة بالجوانب التربوية التي وردت في سورة يوسف من خلال تفسير محاسن التأويل
- ذكر الآيات المتعلقة بالجوانب التربوية التي وردت في سورة يوسف من خلال تفسير في ظلال القرآن

- مقارنة بين المفسرين في الجوانب التربوية لسورة يوسف

خطة البحث

تتضمن هذا البحث مقدمة و تمهيد و ثلاثة فصول و الخاتمة

- المقدمة
- تعريف بالموضوع
- الدراسات السابقة
- أهمية الموضوع و أسباب إختيار الموضوع
- إشكالية البحث
- منهج البحث
- خطط البحث
- التمهيد: تتناول فيها:

- التعريف بالإمام القاسمي و سيد قطب و كتابيهما
- مفهوم الجوانب التربوية
- التعريف بسورة يوسف

الفصل الأول: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند الإمام القاسمي

يشتمل الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية

المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية

المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية

المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية

المبحث الخامس: الجوانب التربوية الاجتماعية

الفصل الثاني: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند سيد قطب

يشتمل الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية

المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية

المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية

المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية

المبحث الخامس: الجوانب التربوية الاجتماعية

الفصل الثالث: المقارنة بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المبحث الأول: المقارنة المنهج بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالمأثور

المطلب الثاني: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالرأي

المبحث الثاني: مقارنة في المصادر بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: مصادر كتب التفسير السابقة

المطلب الثاني: مصادر الاستشهاد بأقوال العلماء

المبحث الثالث: خصائص والمميزات بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: خصائص والمميزات بين المفسرين

المطلب الثاني: خصائص والمميزات لكل مفسر

الخاتمة: التي تشتمل على نتائج البحث

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

المصادر والمراجع

التمهيد

التمهيد

التعريف بالمفسرين وكتايبهما و تحديد المصطلحات ذات الصلة بالموضوع

يشتمل على أربع نقاط وهي:

النقطة الأولى: التعريف بالشيخ القاسمي و كتابه محاسن التأويل

التعريف بالإمام القاسمي

اسمه ومولده:

محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح ابن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده المذكور وهو الإمام، فقيه الشام، وصالحها في عصرها، الشيخ قاسم المعروف بالخالق. وكان أبوه (محمد سعيد) رحمه الله فقيها أديبا، غلب عليه شعر أهل عصره. ولد يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف بدمشق الشام.¹

نشأته ومشيخته:

كان لنشأة القاسمي في بيت عرف بالعلم والتقوى أثر كبير في توجيهه الوجهة التي تولاها، واختاره الله لها، فقد كان جده الشيخ قاسم فقيه الشام وصالحها، وكان أبوه فقيها أديبا. مستعينا بتشجيع أبيه

¹ (محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخالق القاسمي ,بتحقيق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت, ط: الأولى - 1418 هـ (1/1)

الذي لا ينقطع من الدعاء له، وإهدائه الكتب، فأعانه هذا كله على نشأة صحيحة صالحة، لم يعرف فيها هو الفتيان إلا بالقدر المشروع.

قال في ترجمته لنفسه: "قد ربّي في كنف والده، وقرأ القرآن على الحافظ المعمر الشيخ عبد الرحمن بن علي شهاب المصري⁽¹⁾ نزيل دمشق"⁽²⁾.

بعد أن ختم القرآن، بدأ في تعلم الكتابة على يد الأستاذ الكامل الشيخ محمود أفندي ابن محمد بن مصطفى القوصي³، نزيل دمشق، من صلحاء الأتراك... ثم انتقل إلى مكتب في المدرسة الظاهرية، حيث علمه معلمه العالم الفاضل الشيخ رشيد أفندي قزيه⁴، المشهور بلقب ابن سنان. هناك درس مقدمات وفنون شتى، مثل التوحيد والصرف والنحو والمنطق وغيرها... وخلال ذلك أيضاً، كان يقرأ المختصرات الفقهية والنحوية تحت إشراف والده. ثم أتقن قراءة القرآن المجيد على شيخ القراء في الشام، الشيخ أحمد الحلواني⁵. قرأ عليه ختمة واحدة وأكثر من نصف ختمة أخرى برواية الإمام حفص، رحمه الله.

⁽¹⁾ حافظ معمر . عبد الرحمن بن علي بن شهاب ، المصري ، نزيل دمشق . كان يعلم الأطفال في حجرة قبالة جامع الشاذليكية بمحلة القنوات . من تلامذة الشيخ جمال الدين القاسمي . توفي سنة 1316 هـ ، ودفن بمقبرة الدحداح،

<https://tarajm.com/people/89949>

⁽²⁾ انظر محاسن تأويل في ترجمة المؤلف (1/1)

⁽³⁾ مصدر السابقة

⁽⁴⁾ عبد الرشيد إبراهيم أفندي داعية قلمي قازاني تترى عاش في روسيا القيصرية التي استولت قديماً على بلادهم وولد سنة 1273 هـ الموافق عام 1857 م ببلدة تارا في سيبيريا وطلب العلم على مشايخ في بلاده، ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة ذهب إلى الحرمين ليمكث في الأراضي الحجازية عشرين سنة، وليعلن برحلته تلك ابتداء سلسلة من الرحلات الطويلة على مدار تسعين سنة تقريباً.

<https://ar.wikipedia.org/>

⁽⁵⁾ هو أحمد بن محمد علي بن محمد الشهير بالحلواني الشافعي الأشعري الدمشقي ولد في دمشق سنة 1228 هـ، هو شيخ قراء الشام https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_الحلواني_الكبير

ومن كبار مشايخه أيضاً الشيخ بكري بن حامد البيطار، والشيخ محمد بن محمد الخاني النقشبندي،

والشيخ حسن بن أحمد بن عبد القادر جبينه، المشهور بالدسوقي

كان للإمام القاسمي مكتبة خاصة، تضم مختلف أنواع الكتب، ولم يخلُ أيّ كتاب فيها من تصحيح

أو تعليق. إلى جانب كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والتصوف والأدب والتاريخ، وُجدت فيها

أيضاً كتب الفلسفة والعلوم الاجتماعية والرياضيات والجغرافيا. ولم تغفل مكتبته كتب الفرق

الإسلامية، وكذلك كتب الديانات الأخرى، مثل اليهودية والنصرانية.

كتبه ومؤلفاته:

بدأ الشيخ مسيرته العلمية بممارسة التدريس في حياة والده، ثم بعد وفاته تولى القيام بمهامه في خدمة

الإمامة بجامع السنانين في دمشق. وقد انصبّ نشاطه العلمي على مجالات التأليف والشرح والنقد

والإصلاح، مما أسهم في ازدهار إنتاجه العلمي وتنوّع مصنفاته، حتى بلغ عدد مؤلفاته ما يقارب

الثمانين عملاً، شملت المخطوط منها والمطبوع، ومن أشهرها⁽¹⁾:

١ - محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم: وهو تفسير القرآن العظيم في سبعة عشر جزءاً وهو أشهر

كتبه

٢ - فصل الكلام في حقيقة عود الروح إلى الميت حين الكلام

٣ - بحث في جمع القراءات المتعارف عليها

¹ (الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر -

أيار / مايو 2002 م (135/2)

٤ - دلائل التوحيد

٥- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين

٦ - قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث

ثناء العلماء عليه:

١- ويقول السيد محمد رشيد رضا^(١): هو علامة الشام ونادرة الايام والمجدد لعلوم الاسلام محي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف واحد حلقات الاتصال بين هدى السلف والارتقاء الذى يقتضيه الزمن الفقيه الاصولى المفسر المحدث الأديب المتفنن التقى الأواب الحليم الأواه- العفيف النزيه صاحب التصانيف الممتعة والابحاث المقنعة.^٢

٢- ذُكِرَ في مقدمة كتاب تفسيره أنَّ القاسمي كان يتميّز بأسلوبٍ لغويٍّ خاص، إذ كانت كلماته تتدفق بسلاسة ووضوح وسهولة في الفهم، لما اتّصف به من صفاء الذهن ونضج اللغة. ويرى المتتبع لكتبه أنه كان أحرص على الفكرة منه على الأسلوب. أما أسلوبه في الإلقاء فقد أطاعت اللغة

^(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي (1282 - 1354 هـ = 1865 - 1935 م). الأعلام للزركلي (126/6) الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م

^(٢) مناهج المفسرين لمنيع بن عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت (696)

العربية لسانه على شكل لم يؤلف لدى رجال الدين في ذلك العصر، وكانت الألفاظ تنثال على لسانه في كثير من الانسجام والرقّة والعدوبة.¹

٣- قال فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: فيما يخص حفظ اللسان، عُرف الإمام القاسمي بأنه من العلماء الذين يحرصون على عقّة ألسنتهم، كما ورد عنه -رحمه الله تعالى، عرف عنه -رحمه الله تعالى- أنه كان عف اللسان والقلم لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة في مجالسه أو ندواته، وإنما كان يناقش بالبرهان والدليل من الكتاب والسنة.²

وفاته:

توفي الإمام القاسمي في دمشق مساء السبت 1332 / 5 / 23 ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق، وله من العمر 49 عاماً.

التعريف بالكتاب:

ابتدأ الأستاذ القاسمي تفسيره للقرآن عام 1317، وانتهى منه عام 1329 هـ وهو تفسير ضخم يقع في سبعة عشر جزءاً، يحتوي الجزء الأول منه على مقدمات في أصول التفسير، ومباحث ذات اتصال بالقرآن الكريم، وقد طبع لأول مرة في مطبعة دار إحياء الكتب العربية عام 1957.³

⁽¹⁾ انظر محاسن تأويل (2/1)

⁽²⁾ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م (162/1)

⁽³⁾ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث لدكتور فضل حسن عبّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ج: ٢، ص: ٤٦٢

الباعث:

يبدأ الإمام القاسمي بالتأكيد على أن تأليفه للقرآن الكريم نشأ من دافع الجدية العلمية (الهمة) وحب عميق للقرآن. كان يهدف إلى استكشاف مختلف العلوم وجمال المعاني الكامنة فيه، وليس مجرد القراءة النصية، بل فهم المقاصد الكبرى (المقاصد)، وقد تحدث القاسمي في مقدمة تفسيره فقال بعد أن أثنى على القرآن " وإني كنت حركت الهممة إلى تحصيل ما فيه من الفنون، والاكتحال بإثمد مطالبه لتنوير العيون، فأكبت على النظر فيه، وشغفت بتدبر لآلئ عقوده ودراريه".¹ كتب الإمام القاسمي تفسيره بهدف الانضمام إلى تقليد المفسرين الكبار، ووضع نفسه على قدم المساواة مع المفسرين السابقين الذين عُرفوا بعظمتهم، وكذلك لنقل العلم قبل أن يحل الأجل. وألفت هذا الكتاب أردت أن أنخرط في سلك مفسريه الأكابر. قبل أن تبلى السرائر وتفنى العناصر.²

طريقته في التأليف في تفسيره محاسن التأويل

والناظر في هذا التفسير يجد أن مؤلفه قد أفرد جزءا كاملا مقدمة لتفسيره وفي هذه المقدمة يتجلى منهجه في التفسير بل في التأليف عموما:

١- لقد ناقش قضايا عامة وخطيرة فيما يتصل بالتفسير ونقل كثيرا عن مشاهير العلماء في الأصول والتفسير وسائر العلوم القرآنية.

¹ تفسير محاسن التأويل (4/1)

² مصدر السابقة (4/1)

٢- لقد تحدث عن مصادر التفسير وعد أن أصولها أربعة:¹

الأول: النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المفسر بطريق النقل أن يحذر من الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي اذ هو المعاصر للتنزيل والفاهم لجو القرآن.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة.

الرابع: التفسير بما يقتضيه معنى الكلام ومفهوم الشرع

٣- اعتمد الإمام القاسمي في مقدمته على مصادر عديدة من العلماء المعروفين، وقد جمع فيها بين التراث الكلاسيكي والفكر المعاصر، مما يعكس منهجية علمية دقيقة وشاملة. ومصادر مقدمته غالباً من الشيوخ المعروفين: الإمام الشاطبي والإمام ابن تيمية وشذرات من كلام العز بن عبد السلام، وأبي عمرو الداني، والإمام الغزالي والراغب الاصفهاني وبعض العلماء المحدثين مثل الشيخ ولي الله الدهلوي الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا.²

٤- اعتمد الإمام القاسمي منهجاً علمياً قائماً على الانتقاء الدقيق والأمانة في النقل، حيث كان يختار أرجح الأقوال استناداً إلى سعة علمه ودقة فهمه، وهو ما انعكس بوضوح وبصورة متسقة في مؤلفاته التفسيرية . لقد كان الإمام القاسمي بوفرة اطلاعه ودقة فهمه وأمانته في النقل ينتقى أجود الأقوال فيما يختص بموضوع بحثه ثم ينقله في كتبه وعلى هذا النهج جرى في تفسيره.³

¹ (تفسير محاسن التأويل (7/1)

² (مناهج المفسرين (299)

³ (مصدر السابقة (299)

٥- يتميّز تفسير القاسمي بعدّة خصائص، من أبرزها:

ويمتاز هذا التفسير الجليل زيادة على التحرى في النقل وحسن الاختيار والبعد عن الضعيف والموضوع بما يأتي¹:

- 1- العناية بالمعاني اللغوية للمفردات وتوجيه الاعراف في سهولة ويسر دون تفريع أو تطويل.
 - 2- اعتماده في تفسير القرآن على القرآن ثم على السنة الصحيحة ثم على أقوال الصحابة وآراء السلف الصالح.
 - 3- اهتمامه بالآيات التي تحتاج إلى بحث واطالته النفس فيها وذلك أن في القرآن آيات بينة واضحة لا تحتاج إلى بحث لأنها واضحة من ناحية المعنى.
 - 4- اهتمامه بذكر وجوه القراءات مع الترجيح بينها
 - 5- يؤكّد الإمام القاسمي على الصواب والدقة في التفسير، لا سيما في الآيات التي قد تُساء فهمها، من خلال منهج قائم على القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وآراء العلماء الموثوقين.
- وفي القرآن آيات واضحة ولكن بعض المفسرين قد حاول إثارة الجدل فيها أو أخطأ في فهمها أو فسرهما بأسرائيليات أو انخرفت بها الأهواء على أى وضع كانت ويشتد اهتمام مفسرنا بمثل هذه الآيات .. شارحا ومبيناً ومحققاً للحق وكاشفاً لزيغ الباطل .. وينقل في سبيل ذلك عن القدماء ما يؤيد فكرته ويتخذ من هذا التأييد كمصدر أول . القرآن نفسه فإنه يفسر بعضه بعضاً ويتخذ كذلك

¹ (مصدر السابقة (299)

الأحاديث الصحيحة الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كمصدر آخر ثم ينقل عن العلماء

القدامى وعن العلماء المحدثين ما يؤيد وجهة نظره ، وهى فى الأغلب الأعم وجهة نظر سليمة.¹

٧ - ينبه على بعض الأمور الدقيقة، واللطفية التي تشتمل عليها الآية، ويذكر ذلك تحت عنوان:

فائدة، أو فوائد، لطيفة، أو لطائف، تنبيه، أو تنبيهات.

¹ (مناهج المفسرين (299)

النقطة الثاني: التعريف بالشيخ سيد قطب و كتابه في ظلال القرآن

التعريف بالشيخ سيد قطب

اسمه مولده:

هو سيد قطب بن إبراهيم حسين الشاذلي¹, الأديب, الناقد, و الداعية, المجاهد و المفكر, المفسر, الرائد. عاش حياته في قرن العشرين ميلادي, حيث ولد في مطلع هذا القرن, محافظة أسيوط. وكانت ولادته في سنة 1906م² في قرية (موشة) إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر.

نشأ سيد قطب في قرية (موشة) التي تميزت بالسداجة و البساطة سواء في العقائد و المعاملات, أو ف الأفراح و الأحزان, و تمتعت بمناظر خلابة, و تمثلت مشاهد الطبيعة وأجملها, فهي قرية تقع في منطقة خصبة من وادي النيل يحتضنها بين أطلالها جبالان.

وكان الابن الأول لأمه بعد أخت شقيقة تكبره بثلاث سنوات, واخ من أبيه غير شقيق, يكبره بحيل كامل.³

⁽¹⁾ سيد قطب من الميلاد إلى لاإستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي, دمشق: دار القلم: 1994م, ط: 2(15)

⁽²⁾ سيد قطب الأدب الناقد والداعية المجاهدة والمفكر المفسر الرائد لصلاح عبد الفتاح الخالدي, دمش: دارالقلم: 2000م (27)

⁽³⁾ التصوير الفني في شعر سيد قطب لحنان أحمد غنيم, (رسالة ماجستير, جامعة غزة الإسلامية, غزة, 2007م) (8)

والده¹ هو الحاج قطب أبراهيم² كان عميد الأسرة ووجيها مكرما في القرية, ينظر له أهلها بإكرام واحترام وإكبار وإجلال. ووالدة³ سيد كانت من عائلة (عثمان), وهي عائلة مرفوعة عند أهلي القرية أيضا. فقد وكانت تحب سماع القرآن من القراء الذين يقومون البيت.

ولم يتزوج سيد قطب إلى أن توفي عام 1966م.

نشأته علميا:

دخل المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢. وتخرج منها حاملاً الشهادة الابتدائية عام 1912م. وتتميز هذه المرحلة بالتربية الدينية التي استفاد من والدته وفي مدرسة القرية, حتى يمكن القول بأنه قد حفظ القرآن الكريم كاملاً وهو في السنة الثالثة الابتدائية, وعمره حوالي ثماني سنوات.

سافر إلى القاهرة عام 1920م, التحق بمدرسة المعلمين الأولية, ونال منها إجازة الكفاءة للتعليم الأولي. ثم التحق بتجهيزية دار العلوم. دخل كلية دار العلوم عام 1929م, وتخرج منها عام 1933م, يحمل شهادة البكالوريوس في الآداب.

¹ (تزوج والد سيد قطب زوجتين, أنجبت الأولى ولدا, وأما الثانية: أم سيد" فقد أنجبت خمسة أولاد. أنظر سيد قطب, طفل من القرية, (33, 165, 207)

² (سيد قطب من الميلاد إلى لإستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي(33/2)

³ (كانت والدته هي الزوجة الثانية لأبيه, حيث سبق أن تزوج امرأة قبلها, أنجبت له والد, وهو أخ فير شقيق لسيد

وقد قدر لسيد قطب بعد نزوله القاهرة، أن يتعرف بالمفكر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد (١٦٦٤-١٨٨٩م) عملاق الأدب الحديث، ورائد التجديد في الأدب والنقد^(١) بعد خرج من كلية دار العلوم، عين مدرسا في مدارس وزارة المعارف عام ١٩٣٣م.

سافر سيد قطب إلى أمريكا عام ١٩٤٨م، على ظهر باخرة من الاسكندرة إلى نيويورك، في مهمة ميدانية، للاطلاع على مناهج التعليم هناك، لكن منهم من يقول بأن سفره ليس حقا للاطلاع وإنما للتخلص من سيد قطب وآرائه، وإلى أفساده وإغوائه هناك. ولكن بتوفيق الله ورعايته، بعد عودته من أمريكا كان سيد قطب يحلل أمريكا وحضارتها ومنهجها، ويكشف عن فسادها وتحللها، ويدرس بنيتها ومجتمعها، من منطق إسلام خالص، ووفق التصور الإسلامي المستقيم.^(٢)

كتبه ومؤلفاته:

بعض الكتب التي كتبها سيد قطب، وهي: الإسلام ومشكلات الحضارة، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، هذا الدين، المستقبل لهذا الدين، مشاهدة القيامة في القرآن، التصوير الفني في القرآن، معالم في الطريق، دراسات إسلامية، معركة الإسلام والرأسمالية، السلام العالمي والإسلام، العدالة الاجتماعية في الإسلام، وفي ظلال القرآن وغير ذلك.

ثناء العلماء عليه:

^(١) في ظلال سيد قطب : لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري د.وصفي عشور أبو زيد، مصر: صوت القلم العربي 1430هـ (22)

^(٢) مدخل إلى ظلال القرآن لصلاح عبد الفتاح الخالدي ، عمان: دار العمار 1428هـ (24)

١- قال الدكتور فضل حسن عبّاس: أن هذا التفسير كان محاولةً جديدةً لبناء العقيدة في النفوس وإحياء الإسلام في المشاعر وفي واقع الحياة كلها، فلا عجب أن يكون هذا التفسير مختلفاً اختلافاً كبيراً عن منهج كثير من التفاسير وبخاصة التقليدية منها.¹

٢- قال الشيخ الشعراوي (2): رحمة الله على الشيخ سيد قطب صاحب الظلال الوارفة فقد استطاع أن يستخلص من هذه الغزوة مبادئ إيمانية، لو طبقها المسلمون الآن في جميع أنحاء الأرض، لما كان لأحد الغلبة عليهم.³

قال الشيخ المجاهد عبد الله عزام رحمه الله (4): الإحتياط والورع والهيبه أمام النصوص القرآنية، ويبدو هذا من خلال تفسيره في ظلال القرآن.⁽⁵⁾

٣- قال الشيخ يوسف قرضاوي (6): حقاً سيد قطب أحد عظماء الرجال في أمتنا، في تاريخنا الحديث والمعاصر، هو مسلم عظيم، إذا قُسِنَا العَظْمَة بمقياس الإنسانية، وهو أديب عظيم؛ إذا قُسِنَا العظمة

¹ (التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث الأستاذ الدكتور فضل حسن عبّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط: الطبعة: الأولى، 1437 هـ (366/2)

² (الشيخ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي للقرآن الكريم، ولد عام 1911م بمحافظة الدقهلية بمصر، وعمل مدرساً في السعودية بجامعة الملك عبد العزيز

. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين لأعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهره عضو في ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com> [الكتاب مرقم آليا، غير مطبوع]

³ (الشيخ الشعراوي.. نجم يتألأ في سماء الدعوة رغم أنف سحرة الانقلاب " .ikhwan.online. مؤرشف من الأصل في 2022-04-25. اطلع عليه بتاريخ 2022-04-25

⁴ (عبد الله يوسف عزام هو داعية ومقاتل فلسطيني، من قادة المجاهدين العرب في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي، يوصف بأنه رائد الجهاد الأفغاني ومن أعلام جماعة الإخوان المسلمين .ولد في السيلة الحارثية بفلسطين ،

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الله_عزام

⁵ (مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب، ص: ٤٢

⁶ (يوسف عبد الله القرضاوي (1926م)، عالم إسلامي بارز، وحافظ للقرآن الكريم، من مؤلفاته المشهورة: الحلال والحرام في الإسلام.

بمقياس الإبداع في الأدب والنقد الأدبي، وهو داعية عظيم؛ إذا قسنا العظمة بقوة التأثير في الدعوة والتوجيه، وهو عالم ومفكر عظيم، له أثره في العلم والفكر؛ إذا قسنا العظمة بمقدار الاستقلال في الفكر وأصالة العلم، وهو أيضًا مسلم عظيم؛ إذا قسنا العظمة بالبذل والتضحية في سبيل الله.¹

وفاته:

توفي رحمه الله فجر يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩\٨\١٩٦٦ م ، أي بعد أسبوع من صدور الحكم.

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب من أشهر كتب الإمام سيد رحمه الله، وقد فسر فيه سيد القرآن في ثلاثين جزء. في البداية في ظلال القرآن على شكل مقالة في مجلة المسلمون في شباط (فبراير) ١٩٥٢م، ثم طبع وظهر الجزء الأول منه في ١٠\١٩٥٢ م ، ثم شرع في إصدار جزء كل شهرين ، فوصل عدد الأجزاء إلى ستة عشر جزء في يناير ١٩٥٤م. وأكمل الشيخ سيد كتاب الظلال في السجن في نهاية الخمسينيات.

الباعث:

كان الباعث سيد قطب لكتابة تفسير "في ظلال القرآن" هو:

¹ <https://www.al-qaradawi.net/content> السيرة - الذاتية
<https://www.al-qaradawi.net/node/2186>

١- كان سيد قطب يسعى إلى أن يعيش في ظلال القرآن، أي أن يتأمل ويتفاعل مع آياته بشكل عميق، ليحيي بذلك الروح القرآنية في نفسه وفي قلوب قرائه. الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ... لقد عشت أسمع الله - سبحانه - يتحدث إلي بهذا القرآن، أنا العبد القليل الصغير ... أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم.¹

٢- كان يهدف إلى أن يكون القرآن مرشدًا عمليًا في حياة المسلمين اليومية، وليس مجرد نصوص دينية بعيدة عن الواقع

٣- إزالة الفجوة العميقة بين المسلمين المعاصرين وبين القرآن الكريم. وإنني لأهيب بقاء هذه الظلال، ألا تكون هي هدفهم من الكتاب. إنما يقرءونها ليدنوا من القرآن ذاته. ثم ليتناولوه عند ذلك في حقيقته، ويطرحوا عنهم هذه الظلال. وهم لن يتناولوه في حقيقته إلا إذا وقفوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته وعلى خوض المعركة مع الجاهلية باسمه وتحت رايته.²

٤- أراد قطب أن يُقدّم تفسيرًا يتناسب مع تحديات العصر، بعيدًا عن التفاسير التقليدية التي قد تكون بعيدة عن واقع المسلمين المعاصر.

٥- وإنما هدفه من هذا التفسير أن يرتفع بالمسلمين من حماة الجاهلية وأحوال الرذائل التي ارتكسوا فيها، إلى القمة السامقة، حيث العزة والعلاء ورضوان الرحمن وسعادة الدنيا والآخرة.³

¹ (انظر مقدمة في ظلال القرآن (10/1))

² (في ظلال القرآن (2039/4))

³ (التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (366/2))

٦- تعريف المسلمين المعاصرين على المهمة العملية الحركية للقرآن الكريم

إنه لا بد من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني.. لا بد من هذا لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته؛ ولرؤية حيويته وهو يعمل في وسط حي؛ ويواجه حالة واقعة؛ كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده. وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتدووقها؛ كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدعوة الإسلامية.¹

منهج الإمام الشهيد سيد قطب في تفسير في ظلال القرآن

١. توجد مقدمة في كل سورة

هذه المقدمة لا يكاد الإنسان ينتهي من قراءتها إلا وقد كونت لديه فكرة تامة عن أبعاد السورة وغايتها، وغالبًا ما يكون في مقدمته ذا نفس طويل فقد تزيد المقدمة على خمسين صفحة، والذي دعاه لهذا تميز كل سورة من سور القرآن بشخصيتها الخاصة وطابعها ونسقها.²

٢. جعل تفسيره حسب ترتيب المصحف، ولم يفسره حسب ترتيب النزول كما فعل بعض الكاتبيين ذلك أن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه الآن بشيء - اللهم إلا من ناحية أن هذا قرآن مكّي وهذا قرآن مدني على وجه الإجمال، على ما في هذا من خلافاً قليلة - فأما الترتيب الزمني المقطوع به من ناحية زمن نزول كل آية أو كل مجموعة من الآيات أو كل سورة فيكاد يكون متعذرًا،

¹ في ظلال القرآن (2121/4-2122)

² التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (366/2)

ولا يكاد يجد الإنسان فيه اليوم شيئاً مستيقناً، إلا في آيات معدودات تتواتر بشأنها الروايات أو تقطع بشأنها بعض الروايات.¹

٣- التركيز على أصول العقيدة ومنهج الإسلام بوضوح.

فإن الضلال يمتاز بالتركيز على معالم العقيدة ومنهجها وجلاء التصور الإسلامي مما تراكم عليه من رين، وبيان الحركة الدائبة في هذا الدين والمواقف المختلفة منه ولاء وعداء، أو بين بين، وأسبابها قديماً وحديثاً.²

٤- عدم اهتمامه بالخلافات الفقهية، كذلك يلاحظ القارئ عدم اهتمام المفسر كثيراً بالخلافات الفقهية حتى إن ذلك ليظهر في بيان آيات الأحكام.

¹ (مصدر السابقة(368/2)

² (التفسير والمفسرون (384/2)

النقطة الثالث: معنى التربية

التربية لغة: قال ابن منظور¹: ربت: ربت الصبي، وربته: رباه. وربته يربته تربيتا: رباه تربية.²

الربى: الإحسان والنعمة.³

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولا لغوية ثلاثة⁴:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا

لَيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾⁵

الأصل الثاني: ربى يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مد يمد بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.

وقد اشتق بعض العلماء من هذه الأصول اللغوية تعريفا للتربية. الربُّ في الأصل بمعنى التربية وهي

تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا.⁶

¹ (محمد بن عبيد الله بن محمد، أبو بكر ابن منظور القيسي: أديب، من أعلام القضاة. أصله من إشبيلية، من بيت علم وفضل.

نشأ بمالقة، ثم كان قاضيا وخطيبها، وتوفي فيها بالطاعون (000 - 750 هـ)، الأعلام للزركلي (260/6)

² (لسان العرب لابن منظور ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالث، 1414 هـ (33/2)

³ (تاج العروس من جواهر القاموس (مرتضى الزبيدي)

⁴ (أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون

1428 هـ (16)

⁵ (سورة الروم: 39

⁶ (تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، الناشر: دار

إحياء التراث العربي - بيروت (21/5)

حيث قال الراغب الأصفهاني⁽¹⁾: الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّتهُ، وربَّاه وربَّتهُ، فالرَّبُّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرَّبُّ مطلقا إلا الله تعالى المتكفّل بمصلحة الموجودات.²

الرَّبُّ يعني الراعي والمربي والهادي لكل المخلوقات نحو الكمال. من الناحية اللغوية، تأتي الكلمة من جذر يعني "توجيه أو إتمام شيء". وبالمطلق، يُستخدم الرَّبُّ فقط لله تعالى، لأنه وحده الذي يُنظّم ويُرعى ويتكفل بخير جميع المخلوقات.

التربية ليست مجرد معرفة فقط، بل تؤكد على الجمع بين النظرية والممارسة المتكررة. يجب أن تصاحب المعرفة التدريب والتعويد والتجربة العملية لتؤدي إلى تغيير دائم في السلوك. "أما هدف التربية فهي إيصال المعلومة مع الممارسة المستمرة لمقتضاها وما تدل عليه في الواقع العملي حتى تنشئ في ذات المتلقي أثرا دائما ينتج عنه تغيير في سلوكه. فلا تكفي المعرفة النظرية بالقيم والأخلاق لكي تُصبح واقعا ملموسا في حياة الفرد، بل لابد من أن يتربى عليها، ويمارسها مرات ومرات".³

التربية الإسلامية في القرآن والسنة

والإسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا، سنستقرئه من منابعه إلى أسسه، إلى أساليبه ووسائله، وقضاياه التي يطرحها على الإنسانية، إلى تاريخه وأراء أعلام المربين في إطاره، التربية في الإسلام هي

¹ الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. (000 - 502 هـ)، (الاعلام للزركلي: 2/255)

² المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، بتحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - 1412 هـ (336)

³ التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم د. مجدي الهلال، دار السراج، القاهرة (3)

عملية شاملة تهدف إلى بناء الإنسان المسلم في جميع جوانبه: الروحية، العقلية، الجسدية، الأخلاقية،

الأسرية، الإجتماعية و الدعوية وفقاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.

"التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي، والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام، وتطبيقه كلياً

في حياة الفرد والجماعة. فالتربية الإسلامية ضرورة حتمية لتحقيق الإسلام كما أَرادَهُ اللهُ أن يتحقق،

وهي بهذا المعنى تهينة النفس الإنسانية لتحمل هذه الأمانة، وهذا يعني بالضرورة أن تكون مصادر

الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإسلامية، وأهمها القرآن والسنة".¹

القرآن و سنة هما مصدران الرئيسيان للتربية الإسلامية، حيث يستمد منهما المسلمون تعاليمهم في

جميع جوانب الحياة.

الآيات القرآنية و السنة النبوية تدل على التربية الإسلامية:

الآيات القرآنية و السنة النبوية تدل على التربية الإسلامية كما يلي:

١- التربية للعقيدة الإسلامية

ومن الآيات المتعلقة بالتربية العقيدة: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِّهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝²

¹ أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون

1428هـ (23)

² (سورة لقمان: 13)

قال الشيخ الشعراوي في تفسيره: لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، وهذه قمة العقائد. إن الشرك لظلم عظيم أما أنه ظلم فلأنه وضع للنفس الشريف المكرم. إن التوحيد قيمة العقيدة وذروة الظلم الشرك، والشرك من كبائر الذنوب التي لا يغفر الله لمرتكبها إذا لم يترك شركه. كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾¹.

التربية الاعتقادية أساساً محورياً في بناء شخصية الفرد المسلم وتوجيه سلوكه نحو الطريق الصحيح. إنها لا تقتصر على مجرد تعليم المعلومات الدينية، بل تشمل غرس الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وتوجيه الفكر والعاطفة نحو الحق والعدل.

٢- التربية الأسرية

وبالتالي هناك الآية التي تتعلق بالتربية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾².

قال الطبري (قُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله. وقوله: (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار³. وهذه الآية تبين أهمية التربية الأسرية للوقاية من النار، من

¹ (سورة النساء: 48)

² (سورة التحريم : 6)

³ (تفسير الطبري(491/23)

الواجب على كل أسرة أن تحمي أفرادها من النار. التربية الأسرية أيضا حجر الزاوية في بناء شخصية الفرد وتشكيل سلوكه، فهي الأساس الذي يُبنى عليه تطور الإنسان نفسياً واجتماعياً.

٣- التربية الأخلاقية

فإن أساس هذا الدين العظيم هو مكارم الأخلاق ومحاسنها، أخبرنا كما جاء في الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق¹ فهذا يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قبله صلى الله عليه وسلم كانت معهم هذه الأخلاق وبقيت منها بَقِيَّةٌ بعث هو لتمامها². وقد كان الأنبياء والصالحون السابقون يتحلون بالأخلاق الكريمة، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ليكمل أخلاق.

ورسول الله هو قدوة حسنة لجميع المسلمين في جميع نواحي الحياة بما في ذلك الأخلاق، وقد صور الله سبحانه وتعالى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ³

قال ابن عاشور في تفسيره : والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي صلى الله عليه وسلم فهو حسن

¹ (أخرج البيهقي في كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار رقم الحديث: 20782 (323/10). السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1424 هـ

² (نادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت، (312/2)

³ (سورة القلم: 4

معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن.¹

فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم، ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر مظهر لما في شرعه.²

٤- التربية الدعوية

فالدعوة ليست فرض على الأنبياء والأولياء فقط، فالدعوة فرض عين على كل مسلم، لينذكر بعضهم بعضاً. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾³.

قال الإمام الرازي : فاعلم أنه تعالى لما بين في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير.⁴

المفلحون ليسوا فقط الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بل هم الذين يدعون غيرهم إلى عمل الصالحات مثلهم، وهذه هي الدعوة، دعوة الآخرين إلى عمل الصالحات .

¹ (التحرير والتنوير لابن عاشور) (64/29)

² (مصدر السابقة) (64/29)

³ (سورة العصر: 3)

⁴ (مفاتيح الغيب) (281/32)

ذكر القرآن الكريم عدة قواعد أساسية للدعوة إلى الله تعالى، تهدف إلى تحقيق النجاح في إيصال الرسالة الإلهية بطرق حكيمة ومؤثرة. قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾¹.

قا الأمام الشاهد سيد قطب: **الدعوة بالحكمة** ، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها.²

وبالموعظة الحسنة "التي تدخل إلى القلوب برفق ، وتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية . فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح . حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق.³

يجب أن يتحلى الداعية بالرفق واللين في دعوته، لتجنب النفور وإيصال الرسالة بيسر.

٥- التربية الاجتماعية

¹ (سورة النحل: 125)

² (في ظلال القرآن (4/2202)

³ (في ظلال القرآن (4/2204)

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، لا يستطيع العيش بمفرده، فهو يحتاج إلى الآخرين للبقاء على قيد الحياة، منذ ولادته، يعتمد على الأسرة والمجتمع لتلبية احتياجاته الأساسية، مثل الغذاء والتعليم والرعاية الصحية. كما أن الإنسان لا يستطيع بمفرده توفير جميع احتياجاته، بل يعتمد على التعاون مع الآخرين لتحقيق ذلك.

ومن الآيات المتعلقة بالجانب الاجتماعية الأخوة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹. حيث قال الإمام سيد قطب : ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة ، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه.²

الحبة والأخوة بين المسلمين هي أساس بناء المجتمع المسلم، وقد تجلّى ذلك في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، حيث أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة الأخوة الإيمانية، مما ساهم في بناء مجتمع متماسك ومتعاون. وإذا وقع خلاف بين المسلمين فأصلحوا بينهم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾³

¹ (سورة الحجر: 10

² (في ظلال القرآن (3342/6)

³ (سورة الحجر:

النقطة الرابعة: التعريف الإجمالي بسورة يوسف

اسم السورة ووجه تسميتها:

هذه السورة تسمى سورة يوسف وهو منصوص فقد ذكر ابن حجر⁽¹⁾ في كتاب "الإصابة" أن أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني بعد أن بايع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة. ووجه تسميتها ظاهراً لأنها قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها. ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام و غافر.²

تتميّز سورة يوسف بأنها، مع كونها من السور المفتحة بالحروف المقطعة (الر)، لها اسمٌ خاصٌّ واضح، وهو سورة يوسف، المأخوذ من مضمون السورة الذي يشتمل على قصة نبيّ الله يوسف عليه السلام كاملة. وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتحة بحروف الر. وقيل الر اسم السورة، أي هذه السورة المسماة الر.³

قال الإمام القاسمي⁴: سميت به، لأن معظم قصته مذكورة، ومعظم ما فيها قصته، و (يوسف) اسم عبراني، تعريبه يزيد، أو زيادة. وذلك لما روى أن أمه (راحيل) كانت قعدت عن الحمل مدة، ولحقها

¹ (أحمد بن علي محمد الكناني العسقلاني (الاعلام للزركلي) (178/1)

² (التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن عاشور 197/12)

³ (الجامع لاحكام لقرطبي (1188/10)

⁴ (قاسم بن صالح بن إسماعيل الحلاق: فاضل، دمشقي. له نظم. صنف رسالة في " مسائل الرضاع " ومنسكا بسماء " إغانة الناسك على أداء المناسك " وهو جد الشيخ جمال الدين القاسمي, (1221 - 1284 هـ) (الاعلام للزركلي) (177/5)

الحزن تلقاء ضرائحها الوالدات، ولما وهبها تعالى، بعد سنين، ولدا سمته (يوسف) وقالت: يزيدني به ربي ولدا آخر.¹

سبب نزول لسورة يوسف

وفي سبب نزولها قولان: القول الأول، فروي عن سعيد بن أبي وقاص⁽²⁾ قال: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زمانا فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ⁽³⁾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾⁽⁴⁾، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾⁽⁵⁾ كل ذلك يؤمرون بالقرآن.⁽⁶⁾

وقال عون بن عبد الله⁽⁷⁾: ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملّة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

¹ (محاسن التأويل (144/6)

² (سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق (الاعلام للزركلي) (87/3)

³ (سورة يوسف: 1

⁴ (سورة يوسف: 3

⁵ (سورة الزمر: 23

⁶ (أخرجه ابن جرير (٩٠/١٢) والحاكم (المستدرک: ٣٥٤/٢) وأبو يعلى (مسند أبو يعلى: ٨٧/٢ - ح: ٧٤٠) من طريق عمرو بن

مرة به، وإسناد صحيح، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٠/١٧)

⁷ (هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: (٠٠٠ - نحو ١١٥ هـ) خطيب، راوية، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة. وكان يقول بالإرجاء، ثم رجع. وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب. وصحب عمر ابن عبد العزيز في خلافته (الاعلام للزركلي) (98/5)

﴿ (1) , ثم إنهم ملؤوا ملة أخرى, فقالوا: يا رسول الله, فوق الحديث, ودون القرآن, يعنون القصص,

فأنزل الله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿(2).

أما القول الثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم, فقالوا:

حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف, فأنزل الله عز وجل³: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿4 .

وقال ابن عباس⁽⁵⁾ وقتادة⁽⁶⁾: وسبب نزولها أن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلة.⁷

قال صاحب الكشف: فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل

يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف.⁸

(1) الزمر: 23

(2) سورة يوسف : 3

(3) أخرجه ابن جرير (٩٠/١٢) بإسناد فيه المسعودي, والمسعودي اختلط. هو مرسل

(4) سورة يوسف: 2

(5) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة سنة

(3) ق. هـ. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع الإمام

علي كرم الله وجهه الجمل وصفين، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة (68) هـ الموافق (687) م

(6) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو

الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. وسدوس: هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، من بكر بن وائل. مولده: في سنة

ستين. سير أعلام النبلاء للذهبي (270/5) الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م

(7) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفي: ٥٩٧ هـ)،

ج: 6، ص: 234، صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ

(8) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الناشر: دار الريان

للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط: الطبعة: الثالثة 1407 هـ (440/2)

ويقول سيد قطب⁽¹⁾ في الظلال متحدثاً عن زمن النزول: هذه السورة مكية نزلت بعد سورة هود في تلك الفترة الحرجة التي تحدثنا عنها في سورة يونس وفي تقديم سورة هود بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سَ نَدَّي رسول الله وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة، وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة رسول الله ﷺ وللعصبة المسلمة معه في مكة.²

عدد آيات سورة يوسف و مكان نزولها

ذكر كثير من المفسرين أنه مكية على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره، وقد قيل: إن الآيات الثلاث من أولها مدينة. قال الإمام السيوطي⁽³⁾: وهو واه لا يلتفت إليه.⁴

¹ هو سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقبا فنيا للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (1948 - 51) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته (1953) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953 - 54) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواق) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). ولما وصل خبر استشهاده إلى الغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب (الأعلام للزركلي، ج: ٣، ص: ، ١٤٨، ١٤٧، الناشر، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/مايون 2002م)

² (تفسير في ظلال القرآن (1949/4)

³ (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين (الاعلام للزركلي) (301/3)

⁴ (الانقان في علوم القرآن لعبد الرحمن السيوطي (59/1)

نزلت بحد سورة هود، قبل سورة الحجر. وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور.¹ ولم تذكر قصة نبي في القرآن يمثل ما ذكرت قصة يوسف - عليه السلام هذه السورة من الإطناب.²

القول الراجح: إن سورة يوسف هي مكية على قول جمهور.

وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة ولم يختلف القراء والمفسرون في عدد آياتها.³

مقاصد هذه السورة

هناك مقاصد لهذه السورة كما يلي⁴:

- بيان قصة يوسف - عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة
- إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية كما سيأتي عند قوله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا. وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالح عباد.
- حسد بين الأقرباء
- والعبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة.

¹ (التحرير و التنوير (197/12)

² (مصدر السابق (197/12)

³ (التحرير و التنوير (198/12)

⁴ (التحرير و التنوير (198/12-200)

● التَّعَقُّلُ والتَّدبُّرُ والتَّبَصُّرُ، فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹ أي: تعقلون ما أنزل الله تعالى

من الآيات والقصص، وتنفكرون في مآلات الأمور، ولا تكتفوا بظاهر الأمور فقط، بل

بباطنها ومآلاتها ونتائجها وآثارها، في الدنيا والآخرة.

● تقوية الإيمان بالله تعالى، والتَّوَكُّلُ الكامل عليه، وتفويض الأمر إليه: ﴿إِنْ أُلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾². فما على الإنسان إلا الأخذ بالأسباب

بقدر الإمكان مع التَّوَكُّلِ على الله حقَّ التَّوَكُّلِ.

¹ (سورة يوسف: 2)

² (سورة يوسف: 67)

الفصل الأول: الجوانب التربوية في سورة

يوسف عند الإمام القاسمي

الفصل الأول: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند الإمام القاسمي

المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية

الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية تمثل أحد الأبعاد الأساسية في بناء شخصية المسلم عقلياً، وروحياً، وأخلاقياً، وسلوكياً. فالعقيدة ليست مجرد معتقدات نظرية، بل هي منظومة شاملة تربي الإنسان وتوجهه في حياته كلها.

فالعقيدة لغة: مشتقة من مادة (عقد) العين والقاف والdal أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها¹

وقال أيضاً: العَقْدُ: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عَقْدُ البيع، والعهد، وغيرها، فيقال: عاقفته، وعَقْدْتُه، وَتَعَاقَدْنَا، وَعَقَدْتُ يمينه. قال تعالى: عَقَدْتُ أَيْمَنُكُمْ² ، وقال: بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَنَ³ ، ومنه قيل: لفلان عقيدة⁴

¹ (معجم مقاييس اللغة لأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الناشر: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، (1389 - 1392 هـ) (86/4)

² (سورة النساء: 33)

³ (سورة المائدة: 89)

⁴ (المفردات في غريب القرآن لالراغب الأصفهاني، بتحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الطبعة الأولى - 1412 هـ (577)

والعقيدة في الاصطلاح: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضّ النظر عن صحته من عدمها¹ مما سبق يمكن الاستنتاج أن العقيدة هي الإيمان الجازم والثقة التامة بما يعتقد الإنسان ضميره ويجعله منهجه ودينه.

أما تعريف العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.² العقيدة الإسلامية هي الإيمان ، وجعل هذا الإيمان أساس حياة المسلم وسلوكه.

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلّق بالعقيدة الإسلامية بحسب ما بيّنه الإمام القاسمي رحمه الله، وهي: ترك الشرك، ، و العبادة غاية التذلّل.

¹ (رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد(2/7)

² (الوجيز في عقيدة السلف الصالح عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية، ط: الأولى، 1422هـ (24/1)

ترك الشرك

تناول الإمام القاسمي رحمه الله الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾¹.

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: والمراد بتركه ملة الكفر الامتناع عنها رأساً، كما يفصح عنه قوله: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} أي ما صح ولا استقام ذلك لنا، فضلاً عن الوقوع. وإنما عبر عنه بذلك، لكونه أدخل بحساب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام. والتخصيص بهم، مع أن الشرك لا يصح من غيرهم أيضاً، لأنه يثبت بالطريق الأولى. أو المرد نفي الوقوع منهم لعصمتهم².
ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله أن نص تدل على لعصمة الأنبياء من الشرك والكفر، وبيان عن امتناعهم عن الشرك ليس فقط تركاً عملياً، بل هو امتناع تام عقلي وشرعي، لم يكن ليقع منهم أصلاً، وهذا لأجل التأكيد على مقامهم الرفيع وقُدوتهم في التوحيد.

فقوله: "ما كان لنا" النهي، وتقديرها: لا ينبغي لأحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه أي: ما ينبغي لنا³. والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزّهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح⁴. جميع

⁽¹⁾ سورة يوسف: 38

⁽²⁾ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، بتحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ (187/6)

⁽³⁾ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (27/1) الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى - 1422 هـ

⁽⁴⁾ لفته الأكبر لأبي حنيفة (37) الناشر مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ط: الأولى، 1419 هـ - 1999 م

الأنبياء معصومون من الشرك والكفر والذنوب، فلا يمكن أن يقع منهم شرك لا عقلاً ولا شرعاً، بل هم قدوة في التوحيد الخالص.

كما قال قال ابن عاشور¹: {ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء} في قوة البيان لما اقتضته جملة واتبعت ملة آبائي من كون التوحيد صار كالسجدة لهم عرف بها أسلافه بين الأمم، وعرفهم بها لنفسه في هذه الفرصة². يوسف عليه السلام استخدم جملة نفي الشرك ليوضح أن دينه ودين آبائه هو التوحيد الخالص، وأنهم جميعاً بعيدون كل البعد عن الشرك، لأنه صفة راسخة فيهم، وقد عرف يوسف لصاحب السجن بهذه الصفة ليكون ذلك مدخلاً للدعوة إلى الله.

يقول الإمام الطبري³: في قوله تعالى: {ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء} يقول ما جاز لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة⁴. لا يجوز أن يُشرك أحد مع الله في أي عبادة. يجب على كل مسلم أن يُفرد الله بالألوهية والعبادة، أي يعتقد أنه الإله الواحد المستحق للعبادة، بلا شريك.

¹ (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1296 - 1393 هـ)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخاً للإسلام مالكياً. وهو من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة. (الاعلام للزركلي 174/6)

² (التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس 1984 م (273/12)

³ (محمد بن جرير بن يزيد الطبري (224 - 310 هـ = 839 - 923 م)، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. (الاعلام للزركلي 69/6)

⁴ (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بتحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، ط: الأولى، 1422 هـ (162/13)

قال الإمام القاسمي رحمه الله في قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يعني عدم الإشراك بالله، وهو التوحيد، من نعم الله العامة، التي يجب شكره تعالى على الهداية لها بالفطرة السليمة، ونصب الدلائل الأنفسية والآفاقية. ثم بين أن أكثر الناس نبذوا هذه النعمة بعد ما حق عليهم شكرها.¹

يستفاد من ظاهر كلام الإمام القاسمي رحمه الله أن التوحيد هو أعظم نعمة من الله سبحانه وتعالى، لأنه التوحيد سبب دخول الجنة. في الحديث عن طريق عمر بن الخطاب "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار". وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.²

والتوحيد هو أصل الدين الإسلامي للحصول على السعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا فإن السعادة الحقيقية في الدنيا (الطمأنينة، الراحة، التوكل على الله)، وفي الآخرة (النجاة من النار، ودخول الجنة)، لا تتحقق إلا بتحقيق التوحيد. حيث أنّ الشرك طريق إلى الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة، فهو يمنع الإنسان من تحقيق السعادة الحقيقية في الحياتين.

ترك الشرك جزء اساس من توحيد الالهية، ولا يمكن ان يوصف الانسان بانه موحد في الالهية اذا كان لا يزال يقع في الشرك، لان التوحيد نفسه هو افراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه . قال ابن

¹ (تفسير القاسمي محاسن التأويل (176/6)

² أخرج البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، رقم حديث: 1180 (417/1)

كتاب صحيح البخاري لأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط: الخامسة، 1414 هـ

تيمية¹: توحيد الألوهية هو: إفراد الله بأفعال العباد، وقيل: هو إفراد الله بالعبادة، هذه عبادة الأفعال عامة، وجاءت أفعالي كما في قوله تعالى: {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي} ² جاءت {وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ³ حياتي كلها أعمال. إذاً كل ما عندي يجب أن يكون لله تعالى من الأعمال.⁴

توحيد الألوهية هو جوهر رسالة الأنبياء، وغاية إنزال الكتب، وسبب خلق الجن والإنس، وهو مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. أن التوحيد هو التعاليم التي جاء بها الأنبياء السابقون، توحيد الألوهية لا شك أنه التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، ومن أجله خلقت الجنة والنار، ومن أجله خلقت الخليقة كلها، ⁵ {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ⁶.

المؤمنون الذين يتركون الشرك هم في الحقيقة من الشاكرين حقاً، إذ يعلمون أن الإيمان هو أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، وهو أجل من جميع نعم الدنيا، ولذلك يخلصون العبادة لله وحده ولا يُشركون به شيئاً. أمّا الكافرون فهم على العكس من ذلك، فإنهم يُشركون بالله غيره، مع أن جميع النعم التي يتقبلون فيها هي من عند الله، ولكنهم لا يعترفون بالله بوصفه المنعم الأكبر، ولذلك فهم في الحقيقة

¹ هو شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية النميري. فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الدمشقي (1222/13) الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، ط: المجلد 13، العدد 22، ربيع الأول 1422هـ / مايو (أيار) 2001م

² (سورة الأنعام: 162)

³ (سورة الأنعام: 162)

⁴ (شرح لامية ابن تيمية لعمر بن سعود بن فهد العيد (14/9))

⁵ (مصدر السابقة (15/9))

⁶ (سورة الذاريات: 56)

من الجاحدين الكافرين بالنعمة. ولكن من يكفر بالله لا يشكر به شيئاً ذلك من فضله عليه لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضل به.¹

يتبين من كلام المفسرين أن ترك الشرك هو أصل التوحيد وجوهر توحيد الألوهية، فلا يُوصَف المرء بالتوحيد مع بقاءه على الشرك. والأنبياء جميعاً معصومون من الشرك والكفر، فهم قدوة في التوحيد الخالص. وقد دلت الآية ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ على امتناعهم المطلق عن الشرك، عقلاً وشرعاً. والتوحيد هو الرسالة الجامعة للأنبياء، وهو الغاية من إنزال الكتب وخلق الجن والإنس، وهو أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده. فالمؤمنون الذين يتركون الشرك هم الشاكرون حقاً لهذه النعمة، بينما الكافرون هم الجاحدون لها بإشراكهم غير الله مع أن جميع النعم من عنده سبحانه.

¹ تفسير الطبري جامع البيان (162/12)

العبادة غاية التذلل

إن العبادة في جوهرها ليست مجرد أفعال ظاهرة من صلاة وصيام وسجود و زكاة، بل هي حالة قلبية عميقة، تعبّر عن كمال الخضوع لله تعالى والانقياد لأمره. ومن هنا، فإن معنى العبادة الحقيقي تكمن في غاية التذلل والخضوع للمعبود، تعبيراً عن المحبة الكاملة والتعظيم الصادق له. ولهذا قيل "العبادة غاية التذلل مع كمال المحبة".

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وقال أيضاً: والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته.¹

تناول الإمام القاسمي رحمه الله الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.²

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ } أي من دون الله { إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ } يعني أنكم سميتم، ما لا يستحق الإلهية، آلهة، ثم طفقتم تعبدونها، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } أي حجة تدل على صحتها إن الْحُكْمُ أي في أمر العبادة والدين إِلَّا لِلَّهِ لأنه مالك، وهو لم يحكم بعبادتها، لأنه { أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

¹ (كتاب التوحيد وقرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (3) الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط:

الأولى، 1411 هـ/ 1990 م

² (سورة يوسف: 40

إِيَّاهُ} لأن العباداة غاية التدلل، فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة، ذلك أي التوحيد الدال على كمال عظمة الله، بحيث لا يشاركه فيها غيره الدِّينُ الْقَيِّمُ أي الحق المستقيم الثابت، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أي لجهلهم، ولذا كان أكثرهم مشركين.¹

يستفاد من ظاهر كلام الإمام القاسمي رحمه الله فساد عبادة غير الله، لأنها قائمة على مجرد أسماء وضعها الناس، دون دليل أو إذن من الله. {ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها} "وهذا يدل على أن المسمى غير حاصل وبينهما تناقض. الجواب: أن الذات موجودة حاصلة إلا أن المسمى بالإله غير حاصل وبيانه من وجهين: الأول: أن ذوات الأصنام وإن كانت موجودة إلا أنها غير موصوفة بصفات الإلهية، وإذا كان كذلك كان الشيء الذي هو مسمى بالإله في الحقيقة غير موجود ولا حاصل، الثاني: يروى أن عبدة الأوثان مشبهة فاعتقدوا أن الإله هو النور الأعظم وأن الملائكة أنوار صغيرة ووضعوها على صورة تلك الأنوار هذه الأوثان ومعبودهم في الحقيقة هو تلك الأنوار السماوية، وهذا قول المشبهة فإنهم تصوروا جسما كبيرا مستقرا على العرش ويعبدونه وهذا المتخيل غير موجود البتة فصح أنهم لا يعبدون إلا مجرد الأسماء".²

وهذا القول يتفق مع القول الإمام من أنهم لا يعبدون الله، وإنما يعبدون أسماء فارغة سماها أسلافهم.

¹ (تفسير محاسن التأويل (177/6)

² (تفسير الرازي مفاتيح الغيب (459/18)

{أمر أن ألا تعبدوا إلا إياه}، وذلك لأن العبادة نهاية التعظيم والإجلال فلا تليق إلا بمن حصل منه نهاية الإنعام وهو الإله تعالى لأن منه الخلق والإحياء والعقل والرزق والهداية، ونعم الله كثيرة وجهات إحسانه إلى الخلق غير متناهية¹.

والحق أن الحكم في هذا الأمر لله وحده، فهو الذي يقرر من يُعبد، وقد أمر أن لا يُعبد إلا الله. تؤكد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لأنه وحده الكامل في العظمة والقدرة. فالعبادة تعني غاية التذلل والخضوع، ولا تليق إلا بمن هو في غاية الكمال، وهو الله تعالى.

التوحيد هو الدين الحق (الدين القيم) الذي لا عوجاج فيه، وهو الأساس الذي يجب أن يُبنى عليه الإيمان والعمل. لكن، رغم وضوح الحق، فإن أكثر الناس لا يعلمون، يشركون بالله وينحرفون عن التوحيد بسبب الجهل.

فالعبادة ذروة التواضع، وذروة التعظيم والإجلال، لا يستحقها أحد غير العظيم جل جلاله، العبادة لا تُصرف إلا لمن كان صاحب النعمة العظمى والإحسان الأكمل، وهو الله وحده، فلا يستحقها من لا يخلق ولا يرزق ولا يهدي.

العبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذلك يحرم السجود لغير الله تعالى، وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود.²

¹ (مصدر السابقة (459/18))

² تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد علي طه الدرة، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م (23/1)

العبادة هي أعلى مراتب الخضوع والتذلل، ولا تليق إلا لله وحده، لأنه المنعم الحقيقي على الخلق، المستحق لأقصى مراتب التواضع والانقياد. التوحيد هو أصل العبادة وأساسها، ولا تُقبل إلا به، لأنه مضمون كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، وهي دعوة جميع الرسل. إن أساس العبادة هو توحيد الله تعالى، لا عبادة صحيحة إلا بالتوحيد، لأن التوحيد إخلاص، والشرك إبطال، فكل عبادة بلا توحيد باطلة، ولو كانت كثيرة. القبول العبادة عند الله مشروط بالتوحيد، كما أن الصلاة لا تصح بدون طهارة، كذلك العبادة لا تصح بدون توحيد. قال الله تعالى: ﴿لَيْنُ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

1﴿ .

أن العبادة لا بد فيها من الخضوع والتذلل، ولا بد فيها من المحبة، وهذان الركنان لا بد منهما، بأن يخضع الإنسان، ويذل لله مع محبته وتعظيمه وإجلاله، فإذا انفرد أحدهما فلا تكون عبادة. فالعبادة هي المحبة مستلزمة للخوف والرجاء، فالخاضع الذليل هو: الخائف لله الراجي له، لأنه مولي أعظم النعم.² العبادة لا تصح إلا باجتماع ركنين: الخضوع مع المحبة. فالعبد يعبد ربه بخضوعٍ وتذلل، ويقترن ذلك بمحبةٍ وتعظيم، وخوفٍ ورجاء.

والعبادة أركانها ثلاثة: محبة، وخوف، ورجاء. والرجاء داخل في الخضوع والتذلل، فالخضوع والتذلل مستلزم للخوف والرجاء والمحبة. فهذه هي أركان العبادة التي ذكرت في أول سورة الفاتحة:

¹ (سورة الزمر: 65

² (شرح تطهير الاعتقاد للصنعاني لعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي (7/1)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ دلالة على المحبة، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾² دلالة على الرجاء،

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾³ دلالة على الخوف.⁴ العبادة تقوم على ثلاثة أركان: المحبة، والخوف، والرجاء.

وهذه الأركان متلازمة، يجمعها الخضوع والتذلل لله، فلا عبادة بدونها.

وكاد بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو

حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد

مؤمن. وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا

بد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان.⁵

¹ (سورة الفاتحة: 2)

² (سورة الفاتحة: 3)

³ (سورة الفاتحة: 4)

⁴ (شرح تطهير الاعتقاد للصنعاني (7/1))

⁵ (التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لزين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: الفاروق

الحديثة للطباعة والنشر، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م (108/4))

المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية

تُعدّ الأسرة اللبنة الأولى في بناء الفرد والمجتمع، فهي البيئة التربوية الأولى الذي يتلقى فيه الإنسان القيم والمفاهيم والسلوكيات الأساسية في حياته. ومن هذا المنطلق، فإنّ الجوانب التربوية داخل الأسرة تمثل محوراً أساسياً في تنشئة الأبناء تنشئةً سليمة متوازنة، تقوم على المبادئ الأخلاقية والدينية والاجتماعية.

معنى الأسرة

الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته¹، وتطلق على الجماعات التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر.²

جاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي عبارة عن جملة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا.³

الأسرة وحدة اجتماعية أساسية، تقوم على روابط الزواج أو القرابة أو التبني، وتشكل إطاراً للتفاعل والمسؤولية المشتركة، وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع واستقراره.

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلّق التربية الأسرية بحسب ما بيّنه الإمام القاسمي رحمه الله، وهي: العلاقة بين الأب والابن، نصيحة يعقوب لابنه يوسف و العدل بين الأبناء

¹ (علم الاجتماع لمصطفى الخشاب، عالم الكتاب القاهرة، 1985، 54)

² (الاسرة المتغير في المجتمع المدينة العربية لعبد القادر القاصر، دار النهضة العربية-بيروت، ط: الأولى 1995

³ (الاسرة و الطفولة لزيدان عبد الباقي، مكتبة النهضة العربية بمصر، ط: الرابعة 1980 (6)

العلاقة بين الأب والابن

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أروع النماذج القرآنية التي تُعبّر عن قوة العلاقة بين الأب والابن، تقدم هذه القصة نموذجًا راقياً يُحتذى في بناء العلاقة الأبوية على أساس من الحب والثقة والرحمة، وتبرز أثر تلك العلاقة في صمود الأبناء أمام الفتن، وثباتهم على طريق الإيمان.

تناول الإمام القاسمي رحمه الله الجوانب التربوية الأسرية في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ

يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: إنما ناجى يوسف أباه بهذه الرؤيا، لاعتقاده كمال علمه، وشفقته عليه، بحيث لو كانت رؤياه تسوءه لأمكنه صرفها عنه.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله إن يوسف عليه السلام قص رؤياه على أبيه لثقته بعلمه ورأيه، ولعلمه بشفقته ورحمته به، وأنه لن يتركه في أمر قد يضره، بل سيوجهه ويُعينه إن كانت الرؤيا مما يُخشى منه. فذلك دليل على قوة العلاقة الأبوية القائمة على الثقة والمحبة والنصح

لقد قصَّ يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه لعلمه بكمال علمه وحكمته، وهذا يدل على أن العلم والمعرفة من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلّى بها الآباء، حتى يثق الأبناء بهم، ويجدوهم موضعًا آمنًا للروح والمصارحة، ومصدرًا ناصحًا للتوجيه والإرشاد. "ونلاحظ في هذا الحوار الجميل بين الابن

¹ (يوسف: 4

² (تفسير محاسن التأويل 146/6

وابيه، الملاء بالادب والتقدير والاسترشاد من الابن البار، والحب والشرقية والنصح والتوجيه والتربية من الاب الحنون، نلاحظ وجود هذه المجالس الخاصة التي لا يحضرها غيرها.¹

ومن هنا نرى كلما كان الأب قريباً من ابنه ، حصلت بينهما علاقة قوية، كان يوسف عليه السلام يكن لأبيه حباً عميقاً، وكان يعقوب عليه السلام يكن لابنه يوسف محبة خاصة. لذلك، شعر يوسف بالأمان والاطمئنان لمشاركة رؤياه مع أبيه، الذي كان يعتبره مرشداً حكيماً.

يُعدّ التواصل الفعّال بين الوالدين والأطفال أساساً لنموهم النفسي والاجتماعي، حيث يعزز شعورهم بالأمان، يطور مهاراتهم الاجتماعية، يدعم صحتهم النفسية، يساعدهم في حل النزاعات، ويساهم في غرس القيم والأخلاق، مما يُشكّل أساساً قوياً لشخصية متوازنة وقادرة على مواجهة تحديات الحياة.

كما تظهر علاقة المودة القوية بين يعقوب ويوسف عليهما السلام من خلال اللقب الذي يستخدمه كل منهما في مناداة الآخر. قال الإمام: يا بُنَيَّ صغره لصغر سنه، وللشفقة عليه، ولعذوبة المصعّر.²

يا بني: تصغير لكلمة (ابن) في نداء العطف والتحبب.³

¹ (تأملات إيمانية في سورة يوسف د. ياسير برهامي، دار الإيمان (18)

² (تفسير محاسن التأويل (147/6)

³ (تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، (210/12)

قال الإمام ابن عاشور: وهذا التصغير كناية عن تحبيب وشفقة. نزل الكبير منزلة الصغير لأن شأن الصغير أن يحب ويشفق عليه. وفي ذلك كناية عن إحاض النصح له.¹

وهذا الأسلوب يُصوّر رقة العلاقة الأبوية كما في نداء يعقوب عليه السلام لابنه يوسف في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.²

كما تتجلى رابطة المودة القوية بين الأب وأبنائه في الآية التالية، عندما يطلب يعقوب عليه السلام المغفرة لأبنائه بعد إساءتهم إلى أخيهم يوسف عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أُسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.³

قال الإمام القاسمي رحمه الله: أي سوف أدعوه لكم، فإنه المتجاوز عن السيئات، الرحيم لمن تاب. وفيها دلالة على إرجاء الاستغفار والدعاء لوقت يرى أنه أحضر فيه قلبا من غيره أو أنه أفضل وأقرب للإجابة، وقد روي أنه أخر الاستغفار إلى السحر.⁴

يدل على أن يعقوب عليه السلام أجل الدعاء والاستغفار إلى وقتٍ يعتقد فيه أن الدعاء يكون أقرب للاستجابة، أوحين يكون القلب حاضراً وخالصاً. وقد ورد في الأحاديث أنه كان يؤخر الاستغفار إلى وقت السحر، وهو وقت مبارك للدعاء والتوبة. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه:

¹ (تفسير التحرير والتنوير (213/12)

² (سورة يوسف: 5

³ (سورة يوسف: 98

⁴ (تفسير محاسن التأويل (219/6)

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له.¹

إن دعاء الوالدين من الأدعية المستجابة بإذن الله، وله أثر بالغ في حياة الأبناء.

وعلى الرغم من أن أبناء يعقوب قد ألقوا يوسف في الحب، مما تسبب في فراقه عن أحبّ أبنائه إليه لسنوات طويلة، إلا أن يعقوب عليه السلام، وبفضل شدة حبه وحنانه عليهم، سأل الله أن يغفر لهم، بل اختار لذلك أفضل الأوقات التي يُرجى فيها قبول التوب، وهذا دليل على عِظَم محبة الأب لأبنائه.

أهمية العلاقة بين الأب والابن

العلاقة بين الأب والابن علاقة جوهرية تقوم على المودة، الرحمة، التربية، وتشكل الأساس في بناء أسرة متماسكة ومجتمع صالح. فالأب ليس مجرد معيل، بل هو موجه ومربي، يغرس في أبنائه القيم الإيمانية والأخلاقية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.² لقمان قدّم لابنه أوّل وصيّة في التربية، وهي النهي عن الشرك بالله، قال له قولاً به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك.³

دُكر في حديث شريف أنّ الأب أيضاً هو قائِدٌ ومسؤولٌ أوّل عن أهل بيته وأولاده، أخرج البخاري

⁽¹⁾ أخرج البخاري في كتاب الدعوات باب: الدعاء نصف الليل. ، رقم الحديث: 5962 (2330/5)

⁽²⁾ سورة لقمان: 13

⁽³⁾ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة الأولى 1420 هـ (648)

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته.¹

وكذلك فإن من واجب الابن أن يبرّ بوالديه، ويحسن إليهما، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾². وهذا يدل على أنّ برّ الوالدين من أعظم القربات، ومما يُظهر مكانته أنّه ذُكر بعد التوحيد مباشرةً، فهو عبادة عظيمة وسبب لنيل رضا الله تعالى. " أمر أمرًا مقطوعًا به ألاّ تعبّدوا إلاّ إيّاه وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أي: وبأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا. قال القاشاني: قرن سبحانه وتعالى إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة، لكونهما مناسبين للحضرة الربوبية، لتربيتها إياك عاجزا صغيرا ضعيفا لا قدرة لك ولا حراك بك. وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية. والرحمة والرأفة بالنسبة إليك. ومع ذلك فإنهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما، والله غنيّ عن ذلك. فأهم الواجبات بعد التوحيد، إذا، إكرامهما والقيام بحقوقهما ما أمكن".³

إنّ العلاقة بين الأب والابن في القرآن الكريم والسنة النبوية تمثل نموذجًا راقياً قائمًا على المودة، الرحمة، والثقة، كما في قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام التي أبرزت أثر هذه العلاقة في التربية والصمود أمام الفتن. الأب ليس مجرد معيل، بل هو مربٍّ وموجّه يغرس في أبنائه القيم الإيمانية والأخلاقية،

¹ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام باب: قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ /النساء: 59)

ن رقم الحديث: 7819 (2611/6). صحيح البخاري لأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

² (سورة الإسراء: 23)

³ (تفسير محاسن التأويل (453/6)

ويكون قدوة في العلم والحكمة. وفي المقابل، يُلزم الإسلام الابن ببرّ والديه والإحسان إليهما، حتى
قرن الله ذلك بتوحيده، دلالة على عظمة هذا الحق. ومن هنا، فإن هذه العلاقة المتبادلة من المحبة،
النصح، والبرّ تُشكّل أساس بناء أسرة متماسكة ومجتمع صالح.

نصيحة يعقوب لابنه يوسف

تُعَدُّ الأسرة الركيزة الأولى في بناء شخصية الأبناء وتشكيل قيمهم وسلوكهم، ويضطلع الوالدان، وخاصة الأب، بدور محوري في توجيه الأبناء وتربيتهم على الإيمان والخلق والاستقامة. وقد قدّم يعقوب عليه السلام في سياق القرآن الكريم نموذجًا راقيًا للأب المربي الحكيم، من خلال وصاياه وتوجيهاته لأبنائه في مواقف متعددة، أبرزها في قصة يوسف عليه السلام.

وقد تضمنت تلك الوصايا أبعادًا تربوية عظيمة، تمثلت في:

لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا أي فيفعلوا لأجلك أو لإهلاكك تحيلاً عظيماً متلفاً لك. إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ أي ظاهر العداوة، فلا يَأْلُو جهداً في إغواء إخوتك وحملهم على ما لا خير فيه.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله نصح يعقوب عليه السلام ابنه يوسف ألا يقصّ رؤياه على إخوته، لأنهم قد يحسدونه ويمكرون به، فيسعون لإهلاكه. "وخاف أن يسمع إخوته ما سمعه ويفهموا ما فهمه فيحسدوه ويكيدوا لإهلاكه، فنهاه أن يقص رؤياه عليهم، وعلمه بقوله:

¹ (سورة يوسف : 5)

² (تفسير محاسن التأويل (147/6))

فيكيدوا لك كيدا أي: إن تقصصها عليهم يحسدوك فيديروا ويحتالوا للإيقاع بك تدبيراً شيطانياً يحكمونه بالتفكير والروية، كما يفعل الأعداء في المكائد الحربية¹. لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيدا².

وهذا يبين أن الشيطان عدو ظاهر العداوة للإنسان، لا يترك سبيلاً إلا ويحاول من خلاله إغواءه ودفعه إلى الشر. "وهو أنه من وسوسة الشيطان في النزغ بين الناس عندما تعرض له داعية من هوى النفس، وشرها الحسد الغريزي في الإنسان³. الشيطان يغرس البغضاء بين الناس، ويفرح إذا ارتكب الإنسان الشرور." وهذا الحسد يغرسه الشيطان في نفوس الناس، لتتولد بينهم العداوة والبغضاء، فيفرح هو بذلك، إذ كل قبيح يقوله أو يفعله الناس يفرح له الشيطان⁴.

وتدل هذه الآية على جواز كتمان النعمة إذا خيف من إظهارها وقوع الحسد. "قال يدل على جواز ترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد⁵ أنه يجوز للإنسان في بعض الأوقات أن يخفي بعض النعم التي أنعم الله بها عليه، خشية حسد الحاسدين، أو عدوان المعتدين⁶.

آداب قصّ الرؤيا

¹ (تفسير المنار (210/12)

² (تفسير الرازي (420 / 18)

³ (تفسير المنار (210/12)

⁴ (التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: الطبعة:

الأولى، 1997 - 1998 م (318/6)

⁵ (الإكليل في استنباط التنزيل (153)

⁶ (التفسير الوسيط (319/7)

أخرج البخاري عن عبد ربه بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة يقول: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، ولينفلث ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره".¹

الرؤيا الصالحة من الله، وتسمى بالرؤيا الصادقة. وهي قد تكون بشارةً للمؤمن، وتقويةً للإيمان، أو علامةً على الخير. وأدبها أن يحدث بها من يحب ويثق به فقط، لئلا يُسيء أحدٌ تأويلها أو يحسده عليها.

لأنَّ مَنْ لَا يُحِبُّهُ لَا يَأْمَنُ مِنْ تَأْيِيدِ تَعْبِيرِهِ بِسُوءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ: ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾². قال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه فليقل: خيراً لنا وشرّاً لأعدائنا.³

الرؤيا الحسنة نعمة من الله، ولكن إذا قُصَّت على غير أهلها قد تنقلب سبباً للحزن، بسبب الحسد أو البغضاء أو سوء التأويل. ولذلك علّمتنا الشريعة أن لا نُحدِّث بالرؤيا الحسنة إلا من نحب ونثق به.

¹ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التعبير باب إذا رأى ما يكره، فلا يخبر بها ولا يذكرها، رقم الحديث (6637) (2582/6))

² (سورة يوسف: 5)

³ (شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لابن الملّك في كتاب الرأي، بتحقيق: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية،

الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م، رقم الحديث: 3564 (135/5))

في الرؤيا المحبوبة الحسنة لا تخبر بها إلا من تحب فسيبه أنه إذا أخبر بها من لا يحب ربما حمله البغض أو الحسد على تفسيرها بمكروه فقد يقع على تلك الصفة وإلا فيحصل له في الحال حزن ونكد من سوء تفسيرها.¹

قصة يوسف عليه السلام تكشف لنا جانبًا تربويًا عظيمًا في دور الأب يعقوب عليه السلام، حيث نصح ابنه بكتمان رؤياه عن إخوته خشية الحسد والعداوة، مما يعلمنا أن حفظ النعمة بالكتمان مشروع إذا خيف من إظهارها الضرر. كما أن الشيطان يغرس الحسد والبغضاء بين الناس، فيسعى لإيقاعهم في الشر. ومن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الرؤيا الصالحة من الله، وهي بشارة وتقوية للإيمان، لكن أديها ألا تُقصَّ إلا على من نحب ونثق به، حتى لا تُفسَّر بسوء أو تكون سببًا للحزن. وبذلك يظهر أن كتمان بعض النعم والرؤى أحيانًا أدعى للسلامة، وحفظًا للعلاقات من الفساد والقطيعة

¹ (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، 1392 (18/15))

العدل بين الأبناء

إنَّ الظلمَ في الأسرة قد يُؤدِّي إلى إثارة الغيرة والحسد بين الإخوة، وقد ظهر ذلك جليًّا في قصَّة نبيِّ الله يوسف عليه السلام، حين شعر إخوته بالغيرة لما رأوا عِظَمَ محبَّة أبيهم له. فدفعهم ذلك إلى تدبير مَكيدة لإبعاد يوسف، طمعًا في أن يَنْصَبَ وَدُّ أبيهم ومحبَّته عليهم وحدهم. قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَ

أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله وَجَأُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ بيان لمكرهم بأبيهم بطريق الاعتذار الموهوم موته القاطع عنه متمناه، لتقطع محبته عنه، ولو بعد حين، فيرجع إليهم بالحب الكلي.²

فمن خلال هذا التظاهر بالبكاء ليلاً، أراد إخوة يوسف أن يُوهِّموا أباهم أن يوسف قد مات، حتى تنقطع محبته عنه، ويزول تعلُّقه به، فيرجع قلبه إليهم وحدهم. فقد كانوا يغارون من شدَّة محبة يعقوب ليوسف وأخيه، كما قال تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾.³

وهذا يدلُّ على أنَّ غيرتهم دفعتهم إلى الكيد والمكر، حتى يسلبوا يوسف مكانته في قلب أبيهم، ويستأثروا هم وحدهم بالموَدَّة والاهتمام. " فنشأ عن ذلك الحسد والعداوة، مما يدل على خطورة

¹ (سورة يوسف: 16)

² (تفسير محاسن التأويل (158/6))

³ (سورة يوسف: 8)

التمييز في الحب والمعاملة. إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضِّلُهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدد، إن أبانا لفي خطأ بيّن حيث فضِّلُهما علينا من غير موجب نراه.¹

حب يعقوب عليه السلام الكبير ليوسف وأخيه بنيامين كان مظهراً من مظاهر رحمة الأب وحنانه على أبنائه، غير أن هذا الحبّ المميّز أثار الغيرة والحسد في قلوب إخوته. "حب يعقوب ليوسف عليهما السلام كان سببا في غيرة إخوته وحسدهم له، أن يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده إخوته لهذا السبب."²

تُبرّرُ قصّةُ يوسفَ عليه السلام أنّ التمييز في المحبّة والمعاملة بين الأبناء يولّد الغيرة والحسد والعداوة بينهم. فمحبّة يعقوب عليه السلام الشديدة ليوسف وأخيه، وإن كانت عاطفةً صادقة، صارت سبباً في حقد إخوتهما ومكرهم بهما، رغبةً في الاستئثار بمحبّة أبيهم وحدهم. وهذا يدلّ على خطورة الظلم في الأسرة، وأثره الكبير في تمزيق روابطها، مما يجعل العدل بين الأبناء ضرورةً لحماية الأسرة من الغيرة والصراع والانقسام.

تحقيق العدالة في الأسرة

الإسلام دين يرفع من شأن العدل، سواء في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الأسرية. وقد أوجب الإسلام على الحاكم أن يعدل مع رعيته، وكذلك على الرعية أن يعدلوا مع حاكمهم. وكذلك الحال في الأسرة. فعلى الزوج أن يعدل مع زوجته، وعلى الزوجة أن تعدل مع زوجها، وعلى الوالدين أن

¹ (التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط: الثانية، مزودة ومنقحة،

1430هـ - 2009م (236/1)

² (مفاتيح الغيب (18/ 420)

يعدلو مع أبنائهم، وكذلك العكس صحيح. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ﴾¹ الله يأمر الناس بأداء الحقوق بالعدل في جميع جوانب الحياة، سواء فيما يتعلق بحقوق

الله أو بحقوق الخلق. "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ أَيِّ فِيمَا نَزَلَهُ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ بِالْعَدْلِ وَهُوَ الْقِسْطُ وَالتَّسْوِيَةُ فِي

الحقوق فيما بينكم."²

الوالدان مطالبان أيضاً بالعدل بين أبنائهما ،أخرج البيهقي عن الشعبي قال: سمعت النعمان بن

بشير، فذكر القصة بطولها، قال في آخرها: عن النبي صلى الله عليه وسلم: " فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى هَذَا

هَذَا جَوْرًا، أَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي، اْعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النُّحْلِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يْعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبَرِّ

وَاللِّطْفِ".³

العدل واجب على كل مسلم، ويشمل ذلك داخل الأسرة. فالوالدان مطالبان بالعدل بين أبنائهما،

وكذلك الأبناء مطالبون بالعدل مع والديهم. وأداء هذا الحق لا يقتصر على الأمور المادية فحسب،

بل يشمل أيضاً الأمور المعنوية، كالحبة والمودة. وإذا كان الزوج ال يجب عليه أن يعدل بين نسائه

يف حبهن وميل قلبه إليهن، ألن هذا العدل ليس يف مقدوره واستطاعته، فكذلك محبة آباء

¹ (سورة النحل: 90)

² (تفسير محاسن التأويل (402/6)

³ (اخرخ البيهقي في سننه في كتاب الهبات باب ما يستدل به على أن أمره بالتسوية بينهم في العطية على الاختيار دون الإيجاب،

رقم الحديث:12003(290/6). السنن الكبرى لأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا،

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الطبعة: الثالثة، 1424 هـ

أوالدهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا

كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾¹.

قال الإمام السعدي: أن الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع، ونهى عما هو ممكن بقوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا تميلوا ميلا كثيرا بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل. فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها عليكم أن تعدلوا بينهن فيها، بخلاف الحب والوطء ونحو ذلك.²

الله يأمر بأن تؤدي الحقوق القابلة للقياس، ويغفر عدم قدرة الإنسان على المساواة في المشاعر والمودة التي لا يمكن إجبارها على السواء.

العدل التام في الحب بين الأبناء ليس دائما ممكن التحقيق، لأن المحبة في قلب الوالدين أمر فطري (جبلي) خارج عن السيطرة الكاملة. بمعنى آخر، قد يميل القلب طبيعياً نحو ابن دون آخر. وقد تتأثر المحبة أيضاً بطاعة الطفل لوالديه والله: أحياناً يزداد حب الوالدين لابن معين لأنه بارّ وطائع ومؤدٍ لحق والديه وملتزم بعبادة الله، فيميل القلب طبيعياً إلى حبه أكثر من غيره، وهذا ما حدث مع النبي يعقوب عليه السلام، وقد نشأت محبة يعقوب عليه السلام الفائقة ليوסף عليه السلام نتيجة

¹ (سورة النساء: 129)

² (تفسير السعدي (207))

إدراكه لاحتمال نبوة ابنه في المستقبل، مما جعله يولي اهتماماً ورعاية خاصة تتجاوز الطبيعي." قال
الآلوسی ما ملخصه: يروى أن يعقوب - عليه السلام كان يوسف أحب إليه لما يرى فيه من المناقب
الحميدة، فلما رأى الرؤيا تضاعفت له المحبة.¹

يجب على الوالدين أن يجتهدوا في تحقيق العدل في محبتهم، وإذا وقع ميل زائد نحو طفل واحد، فلا
ينبغي إبراز ذلك، حتى تتحقق الوثام والمحبة والألفة بين جميع أفراد الأسرة.

تؤدي التفرقة بين الأولاد إلى نشر بذور الحقد والحسد والعداوة والكراهية بين الإخوة، بل قد يتمنى
الابن غير المفضل أن يصاب أخوه المميز بمكروه، ليحتل مكانه ويحظى برعاية واهتمام والديه، ومن
الآثار ألد الشدة خطيرة المرتبة على غياب العدل بين الأولاد: الانحراف الأخلاقي لأبناء، والبعد عن
منهج الشريعة الإسلامية القويم، نتيجة الشعور بالظلم وعدم التقدير من قبل الوالدين، وقد يصل الأمر
إلى الرغبة في الانتقام، وربما أدى إلى القتل.

بعض الآثار المترتبة على عدم العدل بين الأولاد²

- تؤدي التفرقة بين الأولاد إلى نشر بذور الحقد والحسد والعداوة والكراهية بين الإخوة، بل قد يتمنى
الابن غير المفضل أن يصاب أخوه المميز بمكروه، ليحتل مكانه ويحظى برعاية واهتمام والديه.

¹ (التفسير الوسيط (323/7)

² (العدل بين الأولاد من منظور إسلامي وأثره في تحقيق أئمن السري والمجتمعي(دراسة فقهية مقارنة) لدكتور/ جمال مهدي محمود
الأكشة أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الشريعة والقانون بطنطا- جامعة الأزهر(76-77)، مجلة دار الإفتاء المصرية

https://dftaa.journals.ekb.eg/article_264719.html

- من الآثار الأشدّ خطورةً المترتبة على غياب العدل بين الأولاد: الانحراف الأخلاقي للأبناء، والبعد عن منهج الشريعة الإسلامية القويم، نتيجة الشعور بالظلم وعدم التقدير من قبل الوالدين، وقد يصل الأمر إلى الرغبة في الانتقام، وربما أدى ذلك إلى القتل.

- يترتب على التفضيل بين الأولاد تكوين شخصية أنانية تحب الحصول على كل شيء لنفسها، وذلك عند الابن المميّز لدى والديه.

العدل بين الأبناء قيمة أساسية في بناء الأسرة المسلمة، فهو مطلب شرعي وتربوي يحفظ القلوب من الغيرة ويصون النفوس من الحسد، ويبقي الأسرة من التصدع والانقسام. وقد أبرز القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام خطورة التمييز في المودة والمعاملة، حيث قاد التفضيل إلى الكيد والمكر بين الإخوة. ومن ثم فإن الميل الطبيعي نحو أحد الأبناء، وإن كان فطرياً لا بد أن يُكفَّ ويُكتم، حتى لا يتحول إلى سبب للعداوة والبغضاء. إن غياب العدل قد يفضي إلى فساد الأخلاق وتمزق الروابط الأسرية، بينما يثمر تحقّقه سكينَةً ومودةً واستقرارًا دائماً في الحياة الأسرية.

المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية

تُعَدّ الجوانب التربوية والأخلاقية من أبرز الركائز التي تقوم عليها المجتمعات الصالحة، فالتربية السليمة تُسهم في تكوين الفرد الواعي، المسؤول، والقادر على التفاعل الإيجابي مع محيطه، بينما تمثل الأخلاق الميزان الذي ينظم السلوك، ويهدّب النفس، ويرتقي بالإنسان وقيّمته في الحياة.

فالأخلاق لغة: الأخلاق جمع الخُلُق، الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.¹

وقال الراغب: والخُلُق والخُلُق في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصّرم والصّرم، لكن خصّ الخلق بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر.²

واصطلاحاً: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً.³

الأخلاق هي العادات أو الصفات التي تثبت في النفس، فتجعل أفعال الإنسان طبيعية وعفوية، وقد تكون حسنة أو سيئة.

¹ (لسان العرب لابن منظور (86/10)

² (المفردات في غريب القرآن بالراغب الأصفهاني (297)

³ (كتاب التعريفات للجرجاني، بتحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى 1403 هـ - 1983 م (101)

الإسلام يعطي اهتمامًا كبيرًا للأخلاق، "وقد أولى الإسلام عناية عظيمة بهذين الجانبين، فجعل التربية أساسًا لبناء الشخصية، وجعل الأخلاق جوهرًا للدين، أخرج البيهقي عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.¹

ولهذا السبب، فإن دراسة الجوانب التربوية والأخلاقية ليست أمرًا ثانويًا، بل هي ضرورة لكل من يسعى إلى إصلاح النفس والمجتمع، وبناء أجيال تحمل القيم وتحسن السلوك.

فكما جعل الله رسوله صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة. وبهذا يزداد وضوحا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾² فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه، ومتمكن منه في دعوته الدينية³. تحت الشريعة كل إنسان على التحلي بمكارم الأخلاق، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من بلغ الرسالة، وأعظم من ضرب المثل في سمو الأخلاق ورفعته.

فإن الخلق هي صفة مستقر في النفس فطرية او مكتسبة ذات آثار في السلك محمودة أم مذمومة. فالخلق منه ماهو محمود، ومنه ماهم مذموم. والإسلام يدعوا إلى محمود الأخلاق، وينهي عن مذموم⁴.

¹ (أخرج البيهقي في كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليتها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار، بتحقيق محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، رقم الحديث: 20782 (323/10)

² (سورة القلم: 4)

³ (تفسير ابن عاشور (64/29)

⁴ (الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، الطبعة: الخامسة، 1420هـ-1999م، ص: 10

وقد ذكر الإمام القاسمي رحمه الله عدداً من الآيات في سورة يوسف ذات الصلة بالأخلاق، منها:

الصبر، العفو والتوبة

الصبر

صبر نبي الله يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف من أعظم صور الصبر التي خلدها الله في

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۝﴾¹.

قال الإمام القاسمي: فصبر جميل أجمل والصبر قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت،

والجميل منه هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع، رضا بقضاء الله، ووقوفاً مع مقتضى العبودية. والله

الْمُسْتَعَانُ اعتراف بأن تلبسه بالصبر لا يكون إلا بمعونته تعالى².

الصبر الجميل هو تحمّل المصائب دون شكوى أو جزع، برضا بقضاء الله وقيام بحق العبودية، مع

الاعتراف أن نيل هذا الصبر لا يكون إلا بعون الله وحده، فهو المستعان دائماً وأبداً. وقال مجاهد³:

الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه⁴.

¹ (سورة يوسف: 18)

² (تفسير محاسن التأويل 160/6-161)

³ (أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد: كبير العلماء بالقرآن في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رفيق الخلق، فطنا جوادا. له (كتاب القراءات الكبير) وكتاب (قراءة ابن كثير) و (قراءة أبي عمرو) و (قراءة عاصم) و (قراءة نافع) و (قراءة حمزة) و (قراءة الكسائي) و (قراءة ابن عامر) و (قراءة النبي صلى الله عليه وسلم) و (كتاب البيآت) وكتاب (الهآت) (3) (توفي: 936م)، الأعلام الزركلي (261/1)

⁴ (تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774 هـ) المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، ج4، ص375

قال الثوري¹ عن بعض أصحابه أنه قال: ثلاث من الصبر: ألا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكي نفسك²، ويعقوب عليه السلام لا تحدث بوجعه ولا بمصيبته.

يعقوب عليه السلام لم يشك أمره إلى الناس، ولم يُظهر انكساره للبشر، بل حمل همه إلى الله وحده، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³.

أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم، إنما أشكو إلى ربي داعيا له، وملتجئا إليه، فخلّوني وشكايتي⁴.

لا تشك إلا إلى الله، وادعه واطلب العون منه سبحانه وتعالى، لأن الشكوى لغير الله مذلة، والشكوى الله عزة ورجاء وقوة إيمان⁵.

النبى صلى الله عليه وسلم أثنى على صبر نبي الله يعقوب عليه السلام، أخرج البخاري عن عائشة، رضي الله عنها، في الإفك حتى ذكر قولها: إني والله لا أجد مثلاً إلا أبا يوسف: {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}⁶.

¹ (سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى (توفي 161 هـ)، الأعلام للزركلي (104/3)

² (تفسير ابن كثير (375/4)

³ (سورة يوسف: 86

⁴ (تفسير محاسن التأويل (211/6)

⁵ (التفسير التربوي للقرآن الكريم، أنوار الباز، دار النشر للجامعات مصر (118/2)

⁶ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن باب {قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا * سولت}، رقم الحديث: 4690 (76/6)

لقد ذكر الله تعالى كلمة "صبر جميل" مرتين في سورة يوسف، الأول: عندما جاء إخوة يوسف بقميصه الملطخ بالدم الكذب، مدّعين أن الذئب أكله، وعلم يعقوب بكذبهم. الثاني: عندما عاد أبناءه من مصر بعد أن أخذ يوسف أخاه بنيامين، قال يعقوب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.¹

قال الإمام القاسمي رحمه الله: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} أي: بلا جزع {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} أي ييوسف وأخيه المتوقف بمصر، فتذهب أحزانه بمرة واحدة.²

الصبر الجميل ليس مجرد كتمان الحزن، بل هو ثبات بلا جزع، وأمل راسخ في أن الله سيعين ويجير. وهكذا كان يعقوب عليه السلام، يؤمن في أعماقه أن الله سيجمع شمله بأبنائه، مهما طال الفقد واشتد الحزن. "فصبر جميل) أو فصبري صبر جميل لا يشوه جماله جزع اليائسين من روح الله، القانطين من رحمة الله، ولا الشكوى إلى غير الله (والله المستعان على ما تصفون) من هذه المصيبة، لا أستعين على احتمالها غيره أحدا منكم ولا من غيركم.³

تُعَدُّ آيتان في سورة يوسف، وهما الآيتان 18 و83، من الآيات التي تبرز صبر النبي يعقوب عليه السلام في مواجهة فقدانه لأبنائه يوسف وبنيامين. ففي هاتين الآيتين يرد التعبير "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ".

¹ (سورة يوسف: 83)

² (تفسير ا محاسن التأويل (209/6)

³ (تفسير المنار (221/12)

تعكس هذه الآيات اختيار النبي يعقوب عليه السلام للصبر والتسليم الكامل لأمر الله سبحانه وتعالى، بالرغم من وقع المصائب الثقيل والحزن العميق الناتج عن فقدانه لفلذة كبده.

وقد اتصف نبي الله يوسف عليه السلام بصفة الصبر، كما يظهر في الآية الكريمة التالية، وذلك بحسب ما ورد في تفسير القاسمي، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

﴿1

وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره، والله يغفر له، حين سئل عن البقرات العجاف والسمان. ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط أن يخرجوني. ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال: {أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ} ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت، لأسرعت الإجابة، وبادرهم الباب، ولما ابتغيت العذر، إن كان حليما ذا أناة.²

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على صبر يوسف عليه السلام، حين طُلب منه تفسير رؤيا الملك، فلم يشترط الخروج من السجن قبل أن يجيب، بل أجاب صابراً كريماً، مقدماً مصلحة الناس على نفسه.

لم يكن النبي يعقوب عليه السلام وحده مثلاً للصبر، بل كان يوسف عليه السلام أيضاً من أعظم الصابرين، فقد تحمّل الظلم والسجن والفراق بثبات وإيمان، كما كر في الحديث: أخرج مسلم عن أبي

¹ (سورة يوسف: 50)

² (تفسير محاسن التأويل 184/6)

هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي

1"

الصبر حُلُقٌ عظيم من أخلاق الإسلام، وقد رفع الله شأن الصابرين، وجعل لهم منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة. ولأهمية الصبر في حياة الإنسان. قال الإمام أحمد² - رحمه الله - ذكر الصبر في القرآن الكريم حوالي تسعين موضعاً، وله أنواع متعددة ومعانٍ مختلفة³.

- الأمر بالصبر قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾⁴
- النهي عما يضاد الصبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾⁵
- الربط بين الصبر والفلاح والنجاح قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁶

¹ (أخرج مسلم فس صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم الحديث: 238 (92/1)). صحيح مسلم لأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد ذهني أفندي، الناشر: دار الطباعة العامة - تركيا

² (أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلّي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجال والأطراف. وصنّف (المسند - ط) ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث (توفي: 855م)، الأعلام الزركلي (203/1)

³ (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، ص: 71، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، 1409 هـ - 1989 م

⁴ (سورة النحل: 127

⁵ (سورة آل عمران: 139

⁶ (سورة آل عمران: 200

- مضاعفة أجر الصابرين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾¹
- الصبر طريق إلى الإمامة والعلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾²

- معية الله مع الصابرين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³
- البشارة بالرحمة والهداية للصابرين قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁴

والصبر كما ذكر ابن قيم الجوزية⁵ نوعان: اختياري واضطراري

والاختياري أكمل من الاضطراري، فإن الاضطراري يشترك فيه الناس، ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري. كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من اخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين

¹ سورة القصص: 54

² (سورة السجدة: 24)

³ (سورة البقرة: 153)

⁴ (سورة البقرة: 155-156)

⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيُّ الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا (توفي: 1350م) الأعلام الزركلي (56/6)

أبيه وباعوه بيع العبد ومن الصبر الثاني انشاء الله سبحانه له ما أنشأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض.¹

يُقسم الصبر، كما يذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله، إلى نوعين: الصبر الاختياري والصبر الاضطراري. ويُعدُّ الصبر الاختياري أشرف وأكمل من الصبر الاضطراري، لأن الصبر الاختياري يكون بقصد ووعي، ويُظهر قوة الإيمان وصلابة النفس، فيما يكون الصبر الاضطراري نتيجة الظروف الخارجة عن إرادة الإنسان. وقد أثنى الله تعالى على الصابرين الاختياريين بمكافآت عظيمة، ومنها العزة والمكانة العالية، كما تجلّى ذلك في حياة النبي يوسف عليه السلام.

الصبر في الإسلام خلق عظيم، وقد أثنى الله على عباده الصابرين، ووعدهم بالأجر العظيم والمقام الرفيع. ومن أعظم نماذج الصبر في القرآن:

١. صبر نبي الله يعقوب عليه السلام عندما فقد ابنه يوسف ثم أخوه بنيامين، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ وهو صبر بلا شكوى للناس، بل شكواه كانت إلى الله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾

٢. صبر نبي الله يوسف عليه السلام صبر على الفتنة والظلم والسجن، واختار طاعة الله على الشهوات، فكان صبره صبراً نال به رفعةً وكرامة عند الله.

¹ (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، ص: 33)

العفو

فالعفو عن الآخرين، رغم أنه من المراتب العالية، إلا أنه عسير على النفوس. ومع ذلك، فقد ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة في العفو، إذ لم يحمل في صدره حقداً على إخوته الذين ألقوه في غيابة الحب، بل قابل الإساءة بالإحسان، والموقف بالعفو.

العفو من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام في القرآن والسنة. في القرآن الكريم: قال الله

تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾¹

في السنة النبوية: كما أخرج المسلم عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ، فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ "².

العفو من الأخلاق الفاضلة، فهو رحمة بالمسيء، امتثال لأمر الله، وسبب للتقوى قال الله تعالى: ﴿

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾³. كما ورد في الحديث: أخرج مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: "وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا".⁴

¹ (سورة الأعراف: 199)

² (أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب من فضائل الأنصار رضي الله عنهم، رقم الحديث: 2510 (174/7))

³ (سورة البقرة: 237)

⁴ (أخرج مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث: 69 (21/8))

بالعفو تكتسب العزة، الرفعة، والمحبة عند الله وعند الناس. كما أن خلق العفو يطهر النفس، يبنى المجتمع، ويعلمنا قصة يوسف عليه السلام أن العفو أرقى من الانتقام، وهو سبيل للوحدة والسلام وسبب لنيل رحمة الله وفضله.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾¹.

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله، قال بعضهم: إن تجاوز يوسف عن ذنب إخوته، وإبقاءه عليهم، ومصافاته لهم، تعلمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا، ونحسن إليه، ونصفي له الودّ، وأن نغضي عن كل إهانة تلحق بنا، فيسبغ الله تعالى إذ ذاك علينا نعمه وخيراته في هذه الدنيا، كما أوسع على يوسف ويورثنا السعادة الأخروية. وأما إذا أضمرنا السوء للمسيئين إلينا، ونقمنا منهم، فينتقم الله منا، ويوردنا مورد الثبور، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله نُعلمنا قصة يوسف عليه السلام مع إخوته أن العفو عن المسيئين، والإحسان إليهم، وغيض الطرف عن الإساءة، سبب لنيل نعم الله في الدنيا والسعادة في الآخرة. أما من يُضمر السوء، ويُصرّ على الانتقام، فإن الله يُجازيه بمثل ما في نفسه من شر. فنسأل الله أن يُطهر قلوبنا، ويُصلح أعمالنا.

كما ذكر الإمام الطبري { لا تثريب } يقول: لا تغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو³.

¹ (سورة يوسف: 92)

² (تفسير محاسن التأويل (215/6))

³ (تفسير جامع البيان (330/13))

{ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين } وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا

إليه، وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم، فستره عليكم.¹

(لا تثريب عليكم اليوم) أي قال يوسف - وكان حليماً موفقاً -: "لا تثريب عليكم اليوم" وتم الكلام.

ومعنى "اليوم": الوقت. والتثريب التعمير والتوبيخ، أي لا تعير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم.²

أظهر نبي الله يوسف عليه السلام مثلاً رفيعاً وكاملاً في العفو. فعندما قال لإخوته: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ"، دلّ ذلك على أنه:

• لم يوجه لهم اللوم أو التوبيخ، رغم أنهم قد ظلموه وأساءوا إليه.

• حافظ على حرمة العلاقة الأسرية وحق الأخوة، دون أن ينتقم منهم.

• منحهم عفوً صادقاً وجميلاً، خالياً من العتاب والبغضاء.

• دعا لهم بالخير، وسأل الله أن يغفر لهم ذنوبهم وأخطاءهم.

وهذا يدلّ على أن العفو الحقيقي لا يكون بمجرد ترك الانتقام، بل بتطهير القلب، والحفاظ على

الروابط، والدعاء للمسيء بالخير. ومثل هذا العفو يُعدّ نموذجاً عظيماً لبناء السلام وتعزيز العلاقات

الاجتماعية.

¹ (مصدر السابقة (331/13)

² (الجامع لأحكام القرآن لأبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بتحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ (257/9)

ظاهرت خصلّة العفو في قصّة يوسف عليه السلام في مواضع أخرى، مثل ما يرد في الآية التالية، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾¹

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ أَي أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي أَي بِالْحَسَدِ. وأسندته إلى الشيطان لأنه بوسوسته وإلقائه. وفيه تفاد عن تزييتهم أيضا. وإنما ذكره لأن النعمة بعد البلاء أحسن موقعا.² لم يُلَقِ نبيُّ الله يوسف عليه السلام اللوم مباشرةً على إخوته فيما فعلوه به، رغم علمه بخطئهم، بل نسب ذلك إلى الشيطان باعتباره مصدرَ الوسوسة والفساد، وذلك من باب العفو برفق.

(مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) أي من بعد أن أفسد الشيطان ما بيني وبين إخوتي من عاطفة الأخوة، وقطع ما بيننا من وشيجة الرحم، وهيج الحسد والشر³

ولم تذكر قضيتهم مع إخوته إلا بالإشارة غير عائدة باللائمة عليهم، بل يكاد لا يخلو نفسه من ملام، فيقول: (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) أي أفسد ما بيننا من محبة وود وإخاء جامع، و (نَزَعَ) معناها نحس وأفسد من قولهم نحس الدابة فجمحت فألقت حملها، ولم ينسب الشر إلى إخوته، بل نسب النزغ بأنه بينهم مع أنهم المعتدون وهو البريء المجني عليه، ولكنه الكريم ابن الكريم، يريد أن يحو العداوة بالمودّة، وعبر بالأخوة الرابطة، فقال: (نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)، ثم بين لطف

¹ (سورة يوسف: 100

² (تفسير محاسن التأويل (221/6)

³ (تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى،

1365 هـ - 1946 م (44/13)

الله، وترتيبه الخير وسط إرادة الشر، فقال مثنيا على ربه بما هو أهله، (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ)، أي

لطيف التدبير محكمه يجعل الخير من إرادة غيره، ويجعل من النعمة نعمة، ومن السيئة حسنة.¹

إن نبي الله يوسف عليه السلام قدّم نموذجًا راقيًا في العفو، فرغم ما تعرّض له من ظلم واضح من قِبَل

إخوته، لم يُسجّل عليهم اللوم المباشر، بل نسب الخلاف إلى تأثير الشيطان، كما ورد في قوله تعالى:

﴿مِن بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، مما يعكس تمسّكه بوحدة الأسرة ورابطة الأخوة،

وحرصه على الحفاظ على مشاعر الموّدة.

لقد عبّر يوسف عليه السلام في هذه الآية بلغة راقية تخلو من التوبيخ أو الإدانة، وكأنّه يُشرك نفسه

في المسؤولية تواضعًا ورحمة، بهدف تحقيق المصالحة وإعادة اللّحمة الأسريّة. ومن خلال ذلك، يُبرز

يوسف عليه السلام قيمة الصفح الجميل بوصفه أداة لبناء العلاقات الإنسانية المستقرّة.

ثم يختتم قوله بالإشادة بلطف الله وتدبيره الحكيم، الذي يُحوّل المحنّ إلى منح، والشرّ إلى خير، مما يدلُّ

على إيمانه العميق بحكمة القضاء والقدر، ويُعزّز مفهوم الرضا والتسليم.

ويُعدُّ هذا الموقف من يوسف عليه السلام درسًا بليغًا في الأخلاق النبوية، وفي ترسيخ ثقافة العفو

كركيزة أساسية لتحقيق السلم المجتمعي وتماسك البنية الاجتماعية.

¹ (زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي (3862/7))

التوبة

تُعتبر التوبة من المفاهيم الأساسية في العقيدة الإسلامية التي تعبّر عن الوعي الأخلاقي والروحي، والاعتراف بضعف الإنسان وحاجته إلى رحمة الله تعالى. فهي آلية إلهية تسمح بتطهير النفس من آثار الذنوب والانحرافات، ولا تقتصر على مجرد الرجوع عن المعاصي إلى الطاعة فحسب، بل تشمل أيضاً الندم الصادق، والتوقف التام عن ارتكاب المعصية، والعزم الجازم على عدم العودة إليها. وقد وسّع الله تعالى مجال التوبة على عباده، حتى عن أكبر الذنوب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾¹

وقد قدم القرآن الكريم نماذج عملية للتوبة في سورة يوسف، التي لا تقتصر على عودة الفرد إلى الله، بل تلعب دوراً مهماً في إعادة بناء الأخلاق وتصحيح العلاقات الاجتماعية. ومن أبرز هذه النماذج قصة يوسف عليه السلام، التي تمثل تجسيدا لقيمة التوبة من خلال توبة إخوته على ظلمهم الكبير له، وتوبة امرأة العزيز على فعلها الباطل. وهذا يدل على أن التوبة في الإسلام ليست مجرد رجوع، بل هي طريق للتحرر وإصلاح العلاقة مع الله ومع الناس.

١- امرأة العزيز

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾²

¹ (سورة البقرة: 222)

² (سورة يوسف: 54)

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: وما أبرئ نفسي مع ذلك، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته. أو تعني: أني ما أبرئ نفسي من الخيانة، فإني قد خنته حين قرفته وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسجن؟ وأودعته السجن. تريد الاعتذار مما كان منها أن كل نفس لأمانة بالسوء، إلا نفساً رحمها الله بالعصمة، كنفس يوسف.¹

يُظهر هذا التفسير تعترف امرأة العزيز بعدم براءة نفسها من الخطأ والخيانة، معتبرة أن النفس البشرية معرضة للهوى والزلل، كما يراودها الشك والوسوسة. وهي تعتذر بأن خطأها كان نتيجة ضعف النفس، مؤكدة أن الاستثناء هو من حمى الله بعصمة خاصة، كما كان حال يوسف عليه السلام. اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، فذهب بعضهم إلى أنها من كلام يوسف عليه السلام، وذهب آخرون إلى أنها من كلام امرأة العزيز، وفيما يلي أقوال بعض المفسرين:

١- المفسرون الذين ذهبوا إلى أن قوله تعالى ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ هو من كلام امرأة العزيز هم:

- الإمام الطبري: وذكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾² قال ملك من الملائكة: ولا يوم هممت بها، فقال يوسف حينئذ: ﴿وَمَا

أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾³ وقد قيل: إن القائل ليوسف:

¹ (تفسير محاسن التأويل 186/6)

² (سورة يوسف: 52)

³ (سورة يوسف: 53)

ولا يوم هممت بها فحللت سراويلك؟ هو امرأة العزيز، فأجابها يوسف بهذا الجواب. وقيل: إن يوسف قال ذلك ابتداء من قبل نفسه¹

- الشيخ الشعراوي: ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ.....﴾ هذا القول من تمام كلام امرأة العزيز؛ وكأنها توضح سبب حضورها لهذا المجلس؛ فهي لم تحضر لتبريء نفسها: ﴿وَإِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾²

٢- المفسرون الذين ذهبوا إلى أن قوله تعالى ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ﴾ هو من كلام يوسف هم:

- الإمام الزمخشري³: ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه، لئلا يكون لها مركزا وبجالتها في الأمانة معجبا ومفتخرا،⁴

بناءً على ما ورد في الكشف للزمخشري، فإنه يميل إلى أن قول: ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ...﴾ هو من كلام نبي الله يوسف عليه السلام، لا من كلام امرأة العزيز.

والسبب: أن الإمام الزمخشري قال: "كفى بالمعنى دليلاً قائداً إلى أن يجعل من كلامه⁵، أي إن المعنى نفسه دليل كافٍ على أن هذه الجملة من كلام يوسف.

¹ (تفسير جامع البيان (13)

² (تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (6991/11)

³ العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب "الكشاف" و"المفصل". و القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب "الكشاف" و"المفصل". سير أعلام النبلاء للشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، عام النشر: 1427 هـ (17/15)

⁴ (الكشف للزمخشري (480/2)

⁵ (الكشف للزمخشري (481/2)

-الإمام البيضاوي¹: وَمَا أُبْرِي نَفْسِي أَي لَا أَنْزِهَا تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ تَرْكِيةَ نَفْسِهِ وَالْعَجَبُ

بِحَالِهِ، بَلْ إِظْهَارُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ²

القاسمي يذهب إلى القول بأن هذا من كلام امرأة العزيز، كما ذكر الإمام القاسمي في تفسيره محاسن

التأويل: الأظهر أن هذا من كلام امرأة العزيز، اعترافاً منها بما كان، وبياناً لحقيقة النفس البشرية، وأنها

أمانة بالسوء إلا من عصمه الله برحمته.

٢- اخوة يوسف

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَآثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾³

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَي فَضَّلَكَ بِمَا ذَكَرْتَ مِنْ

التقوى والصبر، وسيرة المحسنين وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ أَي: وَإِنْ شَأْنُنَا وَحَالُنَا أَنَا كُنَّا مُتَعَمِّدِينَ لِلذَّنْبِ،

لَمْ نَتَّقْ وَلَمْ نَصْبِرْ، ففعلنا بك ما فعلنا، ولذلك أُوْثِرْت عَلَيْنَا. وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار.⁴

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله تصف هذه الآية اعترافاً صادقاً من إخوة يوسف

بأن الله قد كرم يوسف وفضله بصفاته الكريمة، بينما هم كانوا مذنبين عظيمي الجرم. وهذا القول يُعَدُّ

¹ (عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي (000 - 685 هـ = 000 -

1286 م): قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء،

فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل . الأعلام للزركلي (110/4)

² (تفسير البيضاوي (167/3)

³ (سورة يوسف: 91

⁴ (تفسير محاسن التأويل (214/6)

مظهرًا من مظاهر الندم وبداية لتوبتهم. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ والحال أن شأننا إنا كنا مذنبين بما

فعلنا معك¹

﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾: وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك،

وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك، إلا خاطئين: يعنون مخطئين، يقال منه: خطئ فلان يخطأ

خطأ وخطأ، وأخطأ يخطئ إخطاء²

يشرح الإمام الطبري صورتين من الفعل في اللغة العربية:

• يُقال: خَطِئَ فلان يَخْطِئُ خَطًّا وَخِطًّا، وَخَطِئَ الرجلُ يَخْطِئُ خِطًّا وَخِطًّا عَلَى فِعْلَةٍ: أَذْنِبَ.

وَخِطَّاهُ تَخْطِئَةً وَتَخْطِئًا: نَسَبَهُ إِلَى الْخِطِّ³

• ويقال قال أبو عبيدة: أَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً، قال أبو عبيدة: خَطِئَ خِطًّا من باب علم

وَأَخْطَأَ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد⁴، وَأَخْطَأَ إِذَا لم يصب الصواب⁵

المعنى أن إخوت يوسف يعترفون بأنهم كانوا مخطئين في فعلهم، والمقصود هنا أنهم ارتكبوا خطأ

مقصودًا، وليس مجرد خطأ عن غير قصد

¹ (تفسير البضاوي (175/3)

² (تفسير جامع البيان (329/13)

³ (لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (66/1)، الناشر: دار

صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ

⁴ (معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري (220)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين

ب (قَم)، ط: الأولى، 1412 هـ

⁵ (كتاب العين لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (292/4)، المحقق: د مهدي المخزومي، د

إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال

آية ﴿وَإِنْ كُنَّا لَحَاطِطِينَ﴾ تدلّ على اعتراف إخوة يوسف بخطئهم العظيم الذي ارتكبه عن قصد، لا عن غير عمد، كما بيّن ذلك الطبري والقاسمي. وهذا الاعتراف الصريح يُعدّ مظهرًا من مظاهر التوبة والندم، ويُبرز فضل يوسف عليهم بتقواه وصبره وإحسانه.

ذكر الإمام الغزالي¹ التوبة لا تصح إلا بثلاثة أمور: العلم، والندم، والعزم، علم بأن الذنوب سبب البعد عن الله، وندم على فعلها لما أورثت من الحرمان، وعزم على تركها وعدم العود إليها. فبهذه الثلاثة يتحقق الرجوع إلى الله.

الانصراف بالعلم والندم والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب.²

الناس في التوبة أربع طبقات:³

الطبقة الأولى: هم التائبون الذين يشبتون على التوبة حتى الموت، لا يرجعون إلى الذنوب إلا ما لا يسلم منه البشر، وتوبتهم هي النصوح، ونفوسهم مطمئنة، فمنهم من سكنت شهوته بالمعرفة، ومنهم من يجاهد نفسه.

¹ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي. الإمام المشهور، صاحب التصانيف التي ملأت الأرض طولاً وعرضاً، ولد سنة (450-505هـ) النسبة: الطوسي، نسبة إلى طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ "55 كم" تشتمل على بلدين يقال لإحدهما: الطابران، وللأخرى نوقان خرج من طوس من أئمة أهل العلم والفقه ما لا يحصى. نسبة ومنسوب لمرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ص: 590، ط: الأولى، 1435 هـ - 2014 م

² إحياء علوم الدين لأبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (4/4) الناشر: دار المعرفة - بيروت

³ مختصر منهاج القاصدين لنجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، ص: 263، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق

الطبقة الثانية: هم التائبون الذين اجتنبوا الكبائر وسلكوا طريق الطاعات، لكن لا يسلمون من صغائر تقع بغير قصد، فإذا وقعوا فيها ندموا وعزموا على تركها. نفوسهم لوامة تلومهم على الذنب، وهي رتبة عالية يغلب فيها الخير على الشر، وقد وعدهم الله بالمغفرة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾¹

الطبقة الثالثة: من تاب واستقام زمناً، ثم غلبته شهوة في بعض الذنوب، فيقع فيها مع مواظبته على الطاعات وتركه كثيراً من المعاصي، ثم يندم ويعزم على التوبة. هؤلاء هم أصحاب النفس المسؤلة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاخِرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ

اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾². مرجعون لرحمة الله لكنهم في خطر بسبب تسويف التوبة وخاتمة العمل.

الطبقة الرابعة: تائب يرجع إلى الذنوب بلا ندم ولا نية للتوبة، فهو من المصيرين، ونفسه الأثارة بالسوء، ويخاف عليه سوء الخاتمة. وإن مات على التوحيد رُجي له النجاة بعد عذاب أو بعفو الله، لكن لا يجوز الاعتماد على ذلك، فإن النجاة إنما تكون بالتقوى والعمل الصالح، لا بالتمني.

تتدرج طبقات التائبين من توبة نصوح ثابتة حتى الموت تمثل النفس مطمئنة، ثم توبة المجتنبين للكبائر الواقفين على النفس اللوامة، ثم توبة من يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم أصحاب النفس المسؤلة،

¹ (سورة النجم: 32)

² (سورة التوبة: 102)

وأخيراً من يصرّ على الذنب بلا ندم وهو صاحب النفس الأمارة بالسوء، ولكل طبقة منزلتها وعاقبتها بحسب صدق التوبة وثباتها.

بعض فضائل التوبة الواردة في القرآن والسنة

مغفرة الذنوب، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹

فتح ابواب الرزق والبركة، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾²

أخرج ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ".³

التوبة سبيل الفلاح، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

4 ﴿

¹ (سورة الفرقان: 70)

² (سورة نوح: 10-12)

³ (أخرج ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب الاستغفار، رقم الحديث: 3819 (2/1254). سنن ابن ماجه لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل

عيسى البابي الحلبي

⁴ (سورة النور: 31)

محبوب عند الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾¹

التوبة في الإسلام ليست مجرد رجوع عن الذنب، بل هي منهج روحي وأخلاقي يجمع بين الاعتراف بالخطأ والندم والعزم على الإصلاح، وهي باب مفتوح مهما عَظُمَ الذنب، فهي سبب لمغفرة الله ورضوانه ونيل محبته، وسبيل إلى صلاح الفرد واستقامة المجتمع.

¹ (سورة البقرة: 222)

المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية

تُشكّل الجوانب التربوية الدعوية ركيزة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، حيث يجتمع فيها الجانب التعليمي والتوجيه الروحي بهدف ترسيخ القيم الإسلامية النبيلة في الفرد والمجتمع. فالتربية في الإسلام ليست مجرد نقل للمعرفة، بل هي عملية شاملة تهدف إلى تنشئة أجيال واعية قادرة على تطبيق الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر الدعوة إلى الله بأساليب تربوية مدروسة تراعي ظروف العصر وتحدياته. ومن خلال هذه الجوانب، يتحقق التوازن بين التربية الفردية التي تبني السلوك والأخلاق، والدعوة التي تهدف إلى إرشاد الآخرين ودعوتهم إلى الحق، مما يسهم في بناء مجتمع إيماني متماسك ينعم بالأمن الروحي والاجتماعي.

فالدعوة لغة :وَدَعَا الرَّجُلَ دَعْوًا وَدُعَاءً: نَادَاهُ، وَالْإِسْمُ الدَّعْوَةُ. وَدَعَوْتُ فُلَانًا أَي صِحْتُ بِهِ وَاسْتَدْعَيْتُهُ.¹

وقال الشيخ ابن تيمية: الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.²

¹ (لسان العرب لابن منظور (258/14)

² (مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: 1425 هـ (158/15)

من التعريفات السابقة يمكن أن نُوجز القول بأن الدعوة هي نداء الناس إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بشرائعه، والإيمان بالغيب، وعبادته بإخلاص ومراقبة .

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلّق بالدعوة بحسب ما بيّنه الإمام القاسمي رحمه الله، وهي: دعوة إلى التوحيد، أسلوب الدعوة، و أساس الدعوة: على بصيرة (العلم والحجة).

دعوة إلى التوحيد

إن الدعوة إلى التوحيد هي أصل دعوة الرسل، وأول ما يبدأ به الأنبياء دعوتهم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ¹﴾. وفي قصة يوسف عليه السلام، تتجلى هذه الحقيقة بوضوح، حيث لم تشغله المحن، ولا السجن، ولا فتن الدنيا عن أداء رسالته الأساسية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

فعندما دخل السجن، ورأى أن الله آتاه من العلم والقبول، انتهز الفرصة لدعوة صاحبي السجن إلى التوحيد، قبل أن يفسر لهما رؤياهما، فقال: ﴿يَصْلَحِي السِّجْنَ عَازِبًا مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ²﴾. إن هذا الموقف وغيره من مواقف يوسف عليه السلام في السجن وخارجه يُبرز أن دعوة التوحيد كانت محور حياته وغاية رسالته كما هي دعوة جميع الأنبياء، وقد بدأ دعوته بسؤال بليغ عن الرب: إله واحد خير أم آلهة متعددة؟. " يقول أن تكون لكما أرباب شتى، يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا خَيْرٌ لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية".³

¹ (سورة النحل: 36)

² (سورة يوسف: 39)

³ (تفسير الكشاف (471/2))

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾¹

لا يخفى أن قوله تعالى: قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ إِلَى هُنَا، مقدمة لجواب سؤالهما عن تعبير رؤياهما، مهد، عليه السلام، بما له ليدعوها إلى التوحيد، ليزدادا علماً بعظم شأنه، وثقة بأمره، توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه من هدايتهما، لا سيما وأن أحدهما ستعاجله منيته بالصلب، فرجاً أن يُحتم له بخير. قال الزمخشري: ² "لما استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترض ذلك، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان، ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله".³

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله هو تمهيد لجوابهما عن رؤياهما، استخدمه يوسف عليه السلام كوسيلة لدعوتهما إلى التوحيد، ليزدادا علماً بعظم شأنه ويزدادا ثقة بأمره، متوسلاً بذلك لتحقيق هدايتهما، خاصة وأن أحدهما كان مقبلاً على الموت بالصلب، فرجاء أن يُحتم له بخير. "لعله عليه السلام لما علم أن ذلك الرجل سيصلب اجتهد في أن يدخله في الإسلام حتى لا يموت على الكفر، ولا يستوجب العقاب الشديد".⁴

¹ (سورة يوسف: 37)

² (تفسير الكشاف (470/2))

³ (تفسير المحاسن التأويل (178/6))

⁴ (مفاتيح الغيب (455/18))

وأدرك نبي الله يوسف عليه السلام أن أحد الرجلين سيُطلق سراحه ويعود إلى القصر، بينما سيُحكم على الآخر بالموت. فحرص على أن يدعوه إلى الإيمان بالله، راجيًا له أن يموت على التوحيد. وهذا يدلّ على أن يوسف عليه السلام لم يكن يهتم بمصير صاحبه في الدنيا فحسب، بل كان أشدَّ حرصًا على نجاته في الآخرة.

وتُعلّمنا هذه القصة أهمية الدعوة إلى الله، وفضل دعوة الآخرين إلى الخير والحق، والاهتمام بهديتهم إلى الحق حتى في أشدّ المواقف وأصعبها.

إن يوسف عليه السلام بعدما أدرك حالة الفتيين واستبصر إحسانهما، استغل ذلك ليصف نفسه بصفة فوق علم العلماء، وهي الإخبار بالغيب، حين نبأهما بما سيأتيهما من الطعام، وكان ذلك تمهيدًا ليعرض عليهما التوحيد، ويزين لهما الإيمان، ويُظهر قبح الشرك بالله. "وهذه طريقة، على كل ذي علم أن يسلكها مع الجاهل والفسقة إذا استفته واحد منهم، أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة الحسنة والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به، وأوجب عليه مما استفتي فيه، ثم يفتيه بعد ذلك. وفيه، أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده - وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين - لم يكن من باب التزكية".¹

ينبغي على كل عالم إذا سأله الجاهل أو الفسقة أن يبدأ بالهداية والإرشاد والموعظة الحسنة، ثم يدعوه إلى ما هو أولى وأوجب قبل أن يفتيهم، وعندما يصف العالم نفسه بهدف نفعهم في الدين، فلا يُعد ذلك تزكية للنفس، بل وسيلة لتحقيق الفائدة الدينية.

¹ تفسير محاسن التأويل (178/6)

يجب على الداعية أن يبدأ دعوته بدعوة الناس إلى التوحيد، لأنها أعظم الدعوات وأشرفها. فدعوة التوحيد هي دعوة الناس إلى أعلى مراتب الإيمان ، أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ».¹

فأول ما يُبلَّغ به الناس هو عقيدة: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أن أول ما يدعو إليه هو التوحيد وإثبات الرسالة.

أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب".²

أهمية دعوة الى التوحيد

¹ (أخرج مسلم في صحيحه في كتاب باب شعب الإيمان، رقم الحديث: 57 (46/1)

² (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم الحديث: 455/2) 1425

تُعد الدعوة إلى التوحيد أعظم وأهم جوانب الدعوة إلى الله تعالى، لأنها تمثل أساس الدين وأصل العقيدة التي لا تُقبل أي عبادة إلا بها. فالتوحيد هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل. قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹.

فالتوحيد هو أساس دعوة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، إذ لم تُبعث أمة قط إلا وأرسل الله إليها رسولاً يدعوها إلى عبادة الله وحده، وينهاها عن الشرك به. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾².

فالقرآن كله توحيد، لا نه إما لبيان التوحيد وبيان مناقضاته ومنقصاته. وإما إخبار عن أهل التوحيد، وما أكرمهم الله به، أو إخبار عن المشركين وما انتقم الله تعالى منهم في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، وإما أحكام وبيان للحلال والحرام وهذا من حقوق التوحيد.³

ومما يدل على أهمية التوحيد، وأنه أساس العمل، تكفيره للذنوب والكبائر، أخرج البخاري عن عُبَادَةَ -رضي الله عنه- عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»⁴.

¹ (سورة الذاريات: 56)

² (سورة النحل: 36)

³ (المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيليا الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 119 - السنة 35 - 1423 هـ/2003 م (139)

⁴ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب قوله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، رقم الحديث: 3252 (1267/3).

إن من أهم أسس الدعوة إلى الله: البدء بالأهم فالمهم، والتدرج في الخطاب وفق مراتب الأولويات، وأعظمها التوحيد. فقد دل على ذلك كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح، حيث بدأ جميع الأنبياء دعوتهم بتقرير توحيد الله تعالى، وإفراجه بالعبادة، والتحذير من الشرك وأهله. "إن البدء في الدعوة إلى الله تعالى بالأهم قبل المهم والتدرج في الدعوة حسب الأولويات هو من أهم الضروريات التي يجب على الداعية إلى الله تعالى معرفتها والعمل على تحقيقها.¹

الدعوة الأساسية للأنبياء كانت عبادة الله وحده

إن الدعوة الأساسية لجميع الأنبياء عليهم السلام كانت توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، كما ورد في الآيات الكريمة

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾²

وقال سبحانه عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾³

¹ المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى (142)

² (سورة الاعرف: 59)

³ (سورة الاعرف: 65)

وهذا هو المنهج الذي التزمه خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله رحمةً للعالمين، مبشِّرًا ومنذِرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، حيث افتتح دعوته بما افتتح به إخوانه من الأنبياء من قبله، فدعا إلى توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له وحده دون سواه.¹

عندما بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، بدأ دعوته من مكة، وكانت الدعوة إلى التوحيد هي أول ما نادى به، وأساس ما دعا إليه. فلم يُطالب قومه أولاً بالصلاة أو الزكاة أو غيرها من الفروع، بل ناداهم إلى إفراذ الله بالعبادة، وترك عبادة الأصنام، وتطهير القلوب من الشرك.

لقد كانت تلك المرحلة المكية مرحلة بناء الإيمان وترسيخ التوحيد، لأن لا صلاح للقلوب ولا استقامة للأعمال إلا بعد تصحيح المعتقد. ولهذا لما أسلم الصحابة، آمنوا أولاً بلا إله إلا الله، فصبروا وثبتوا، وتحملوا الأذى في سبيلها.

ومن هذه الآية نتعلم أن الدعوة إلى التوحيد هي أعظم ما يُدعى إليه، وأولى ما يُقدَّم في الدعوة.

إنَّ الدعوة إلى التوحيد هي أساس رسالة جميع الأنبياء والمرسلين، وهي دعوة خالدة باقية إلى قيام الساعة. ومع تطوُّر الحياة البشرية وانتشار العلوم والتقنيات، لا يزال الانحراف عن التوحيد قائمًا بصور متعددة؛ فمن الناس من وقع في المادية فصار المال أو المنصب أو الشهرة معبودًا من دون الله، ومنهم من وقع في صور الشرك المعاصر كتعظيم الأشخاص، واللجوء إلى السحرة والدجالين، والاعتماد على التماائم والتنجيم.

¹ (المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ص: 143)

وهذا يبيّن أن الدعوة إلى التوحيد في عصرنا أشدّ ضرورة، إذ لا تتحقق سلامة العقيدة إلا بتصفية الإيمان من كل شائبة شرك. فالتوحيد ليس مجرد قضية عقدية بل هو أساس صلاح الفرد والمجتمع، إذ يبني علاقة صحيحة مع الله، ويثمر عدلاً واستقامة وقوة في مواجهة التحديات.

اسلوب الدعوة

تُعد الدعوة إلى الله من أعظم المهام التي قام بها الأنبياء، وهي تحتاج إلى أسلوب حكيم يؤثر في القلوب والعقول. وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾¹ فنجاح الدعوة لا يعتمد على المعلومات فقط، بل على الطريقة التي تُقدّم بها، ومدى مراعاتها لحال المدعو وظروفه. وفي الآية التالية يتضح أسلوب يوسف عليه السلام في الدعوة إلى الله وهو في السجن.

التلطف والرفق في الدعوة

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وجعل الرفق واللين والتلطف أساساً لنجاح الدعوة واستمالة القلوب، كما ذكر الله في سورة النحل: 125، وإنّ التلطف في الدعوة ليس ضعفاً ولا تنازلاً، بل هو منهج ربانيّ يقوم على الرحمة والرفق.

قال الله تعالى: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ عَازِبٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾²

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله وصفهما بالصحة الضرورية المقتضية للمودة، وبذل النصيحة. أي: يا صاحبي فيه.³

¹ (سورة النحل: 125)

² (سورة يوسف: 39)

³ (محاسن تأويل (176/6))

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله وصفهما بالصحة اللازمة التي تقتضي المودة وبذل النصيحة، فقال : يا صاحبي السجن، أي: يا من تربطني بكما صُحبة في هذا المكان، وهذا يدل على اللطف وحسن الخطاب. " استئناف ابتدائي مصدر بتوجيه الخطاب إلى الفتين بطريق النداء المسترعي سمعهما إلى ما يقوله للاهتمام به.¹

وقد دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن برفقٍ ولُطفٍ، مستخدماً نداءً مليئاً بالمودة والرحمة بقوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾، ليؤكد على الصحة المشتركة ويستميل قلوبهما بكلامٍ رقيقٍ مفعم بالحنان.

فالداعية الناجح هو الذي يرفق بالمدعويين ويستخدم في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة²، كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.³

ويقول كذلك ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾⁴. وذكر في الحديث أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رهط

¹ (تفسير التحرير والتنوير (274/12)

² (الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال لعقيل بن محمد بن زيد المقطري، ص:39، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات عدد صفحات (الكتاب الورقي) : 30

³ (سورة النحل: 125

⁴ (سورة نل عمران : 159

من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ¹ .

وكذلك كانت دعوة موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قائمة على التوحيد، وقد أمرهما الله أن يستخدموا أسلوب الدين في الدعوة، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ وَقَوْلَا لَيِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ² .

{فقولاً له قولاً لنا لعلّه يتذكر أو يخشى} هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، ³ أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، {لَعَلَّهُ} بسبب القول اللين ⁴

أنّ الدعوة الحقّة تقوم على الحكمة والرفق والرحمة، كما أمر الله تعالى في كتابه، وطبق ذلك أنبياءه عليهم السلام. فقد خاطب يوسف عليه السلام صاحبي السجن بكلام مليء بالمودّة واللفظ، وأمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يُخاطبا فرعون بالقول اللين رغم عتوه واستكباره، ليدلّ ذلك على أنّ الرفق ليس ضعفاً ولا تنازلاً، بل هو منهج رباني يؤثّر في القلوب ويمهّد الطريق للهداية. ومن

¹ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح نحو قوله السام عليك، رقم الحديث: 2528 (2539/6))

² سورة طه: 44

³ (تفسير ابن كثير (294/5))

⁴ (تفسير السعدي (506))

ثمّ فالداعية الناجح هو الذي يُبلِّغ الحقّ بكلمة طيّبة، ورحمة، وبعيداً عن الغلظة والفظاظة، ليكون أوقع في النفوس وأقرب إلى القبول .

فإنّ الداعية ليس عليه إلا تبليغ الحقّ، وأما أسلوب الدعوة فهو من الوسائل التي تُساعد على تحقيق مقاصدها، غير أنّ الهداية بيد الله سبحانه وتعالى وحده، وقال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله وما أَكْثَرُ النَّاسِ يريد به العموم، أو أهل مكة وَلَوْ حَرَصْتَ أي جهدت كل الجهد على إيمانهم، وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك، بِمُؤْمِنِينَ أي بالكتب والرسل، لملهم إلى الكفر، وسبيل الشر. يعني: قد وضع بمثل هذا النبأ نبوته صلوات الله عليه، وقامت الحجة، ومع ذلك فما آمن أكثر الناس.²

تدلّ هذه الآية على أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم تنحصر في تبليغ رسالة الله وبيان الحق للناس، دون أن يكون مكلفاً بضمان حصول الهداية في قلوبهم، إذ إن الهداية شأن إلهي محض، كما تكشف عن حقيقة اجتماعية مفادها أن غالبية البشر تميل إلى الإعراض عن الحق ومقاومة قبوله رغم وضوح دلائله. "ظن أن العرب لما سألته عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية

¹ (سورة يوسف: 103)

² (تفسير محاسن التأويل (225/6))

تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم، أي ليس تقدر على هداية من أردت هدايته، تقول: حرص يحرص،
مثل: ضرب يضرب.¹

يَتَّضِحُ من منهج الأنبياء عليهم السلام أن الدعوة إلى الله قائمة على الحكمة، الموعظة الحسنة، والقول
اللين، بعيداً عن الغلظة والفظاظة. فقد دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن بكلماتٍ رقيقةٍ
مليئةٍ بالمودّة، وأمر موسى وهارون عليهما السلام أن يُخاطبا فرعون باللين رغم جبروته، كما حُوطب
النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق والرحمة. وهذا يدلّ على أن الرفق ليس ضعفاً وإنما منهج رباني يفتح
القلوب للحق. غير أن وظيفة الداعية تنحصر في تبليغ الرسالة، أما الهداية فهي بيد الله وحده، قال
الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾.²

¹ (تفسير القرطبي (271/9)

² (سورة القصص: 56

أساس الدعوة: على بصيرة (العلم والحجة)

إن الدعوة إلى الله هي أعظم رسالة، وأشرف مهمة، حملها صفوة الخلق وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فكانت سبيلهم في الحياة، ومنهجهم في الإصلاح، وطريقهم إلى هداية الأمم. لقد بعث الله كل نبي لقومه داعيًا إلى التوحيد، أمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، محذرًا من الشرك والضلال، مبشرًا ومنذرًا. فالدعوة ليست وظيفة خاصة، بل هي واجب مشترك، وامتدادٌ لرسالة النبوة، يحتاج إلى علم وحكمة وصبر ورحمة، كما كان دأب الأنبياء عليهم السلام. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أي هذه السبيل، التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، سبيلي، أي طريقي ومسلكي وسنتي. والسبيل والطريق يذكران ويؤثنان. ثم فسر سبيله: بقوله: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ أي: إلى دينه وتوحيده، ومعرفته بصفات كماله، ونعوت جلاله على بَصِيرَةٍ أي: مع حجة واضحة، غير عمياء. أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي أي: آمن بي، يدعون إلى الله أيضا على بصيرة، لا على هوى.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله الآية تبين أن طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الدعوة إلى توحيد الله، على أساس العلم واليقين والحجة الواضحة، وأن هذه الدعوة ليست خاصة

¹ (سورة يوسف: 108)

² (تفسير محاسن التأويل (232/6))

به بل يشترك فيها أتباعه وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹

أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له، يدعو إلى الله بما على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي²

وقد عرّف العلماء البصيرة، فقال البغوي رحمه الله والبصيرة: هي المعرفة التي تميز بها بين الحق والباطل³

وقال القرطبي رحمه الله (على بصيرة) أي على يقين وحق⁴

قال ابن القيم رحمه الله: فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في

هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه.⁵

فالبصيرة هذه لا تكون إلا بالعلم، وأساسها العلم، والبصيرة أيضاً تجمع صفات كثيرة، منها: الحكمة؛

فهي إن لم تكن مرادفة للحكمة؛ فهي تشمل معنى الحكمة؛ لأن الذي يدعو إلى الله إن دعا بالحكمة،

أو بالموعظة، أو بالمجادلة، أو بالقتال، فكل ذلك -إذا كان على مثل ما دعا إليه النبي صلى الله عليه

وسلم لا بد أن يكون على بصيرة، فتكون على بصيرة في كيفية الدعوة، وإلى أي شيء تدعو.⁶

¹ (سورة آة عمران: 104)

² (تفسير ابن كثير 4/422)

³ (تفسير البغوي 4/284)

⁴ (تفسير القرطبي 9/274)

⁵ (مدارج السالكين لابن قيم الجوزية 1/143)

⁶ (دروس للشيخ سفر الحوالي لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)

البصيرة في الدعوة تعني العلم واليقين الذي يميز به الداعية بين الحق والباطل. وهي نور في القلب يُمكن صاحبه من رؤية الحق كما تُرى الأشياء بالعين. ولا تتحقق البصيرة إلا بالعلم الشرعي المتين، مقروناً بالحكمة في الأسلوب، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. فالبصيرة إذن هي أساس الدعوة الصحيحة، وبدونها تضعف الدعوة وتنحرف عن منهج الأنبياء. "الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة فهي: أن يكون الداعية إلى الله عالماً بما يدعو إليه، وعالماً بحال المدعويين وإيصال ما يصلح لهم وينفعهم، وعالماً أيضاً بطريقة الدعوة إلى الله تعالى، مؤطرا كل ذلك بالنصوص الشرعية وما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم، مع الأخذ بالأساليب والوسائل الشرعية المتاحة، وترك الوسائل المنهي عنها.¹

منزلة البصيرة

قال ابن القيم رحمه الله²: البصيرة على ثلاث درجات، من استكملها فقد استكمل البصيرة: بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد.

فالبصيرة في الأسماء والصفات: أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، بل تكون الشبهة المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله، فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر.

net.islamweb.www//:http

¹ (البصيرة في الدعوة إلى الله لعزير بن فرحان العنزي، ص: 18، الناشر: دار الإمام مالك - أبو ظبي، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م

² (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: : الثالثة، 1416 هـ - 1996م ((1/ 143-145)

البصيرة في الأمر والنهي: وهي تجريده عن المعارضة بتأويل، أو تقليد، أو هوى، فلا يقوم بقلبه شبهة

تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتناله والأخذ به، ولا تقليد يريجه عن بذل

الجهد في تلقي الأحكام من مشكاة النصوص. وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء من غيرهم

البصيرة في الوعد والوعيد وهي: أن تشهد قيام الله على كل نفس بما كسبت في الخير والشر، عاجلاً

وآجلاً، في دار العمل ودار الجزاء، وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته، وعدله وحكمته، فإن الشك

في ذلك شك في إلهيته وربوبيته، بل شك في وجوده، فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ولا يليق أن

ينسب إليه تعطيل الخليفة، وإرسالها هملاً، وتركها سدى، تعالى الله عن هذا الحساب علواً كبيراً.

البصيرة هي الركيزة الأساسية للدعوة والعمل الصالح، إذ تجعل العلم مرشداً، والإيمان نوراً يهدي

القلوب، واليقين دافعاً يحرك النفوس نحو الطاعة والعبادة الصحيحة. بها يتمكن العبد من أداء عباداته

على الوجه الأكمل، ودعوة الناس بالحجة والبرهان، والثبات على سبيل الحق حتى لقاء الله تعالى.

وإلى جانب العلم، فإن من أهم ما يجب أن يتحلّى به الداعية الإخلاص، فلا يبتغي بدعوته أجراً

مادياً ولا منزلةً دنيوية. ويتجلّى هذا الأمر بوضوح في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ

أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ أَيُّ عَلَى هَذَا النِّصْحِ، والدعاء إلى الخير والرشد،

مِنْ أَجْرِ أَيُّ أَجْرَةٍ إِنْ هُوَ أَيُّ مَا هُوَ، يعني القرآن، إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ أَيُّ: عظة لهم، يتذكرون به

¹ (سورة يوسف: 104)

ويهتدون وينجون في الدنيا والآخرة يعني: أن هذا القرآن يشتمل على العظة البالغة، والمرشد القويمة،

وأنت لا تطلب في تلاوته عليهم مالا، ولا جعلاً.¹

بيّن الإمام القاسمي رحمه الله أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يطلب على دعوته وأدائه للرسالة أي

أجر دنيوي، وإنما القرآن الذي جاء به إنما هو موعظة وهداية لجميع الناس، فيه النفع والفلاح في

الدنيا والآخرة. " أن هذا القرآن يشتمل على هذه المنافع العظيمة، ثم لا تطلب منهم مالا ولا جعلاً.²

وقوله: {وما تسألهم عليه من أجر} أي: وما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء إلى الخير

والرشد من أجر، أي: من جعالة ولا أجرة على ذلك، بل تفعله ابتغاء وجه الله، ونصحاً لخلقه. {إن

هو إلا ذكر للعالمين} أي: يتذكرون به ويهتدون، وينجون به في الدنيا والآخرة.³

إنّ هذه الآية الكريمة تضع منهجاً عظيماً للدعاة في كلّ زمان، وهو أن تكون دعوتهم قائمة على

الإخلاص لله تعالى دون انتظار أجرٍ مادي أو منفعة دنيوية. وفي واقعنا المعاصر، حيث اختلطت

الدعوة أحياناً بالمصالح الشخصية أو الشهرة أو المكاسب المادية، تأتي هذه التوجيهات القرآنية لتؤكد

أن نجاح الدعوة مرهون بصفاء النية، وصدق التوجّه إلى الله، وجعل الدعوة وسيلةً لهداية الناس لا لجرّ

المنافع.

¹ (محاسن التأويل (226/6)

² (مفاتيح الغيب (519/18)

³ (تفسير ابن كثير (418/4)

البصيرة في الدعوة هي الأساس، تقوم على العلم الصحيح والإيمان الراسخ والإخلاص لله دون طلب
أجر دنيوي، فهي منهج الأنبياء في دعوة الناس إلى التوحيد بالحجة الواضحة والحكمة البالغة، لتكون
نورًا يهدي الخلق إلى الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة.

المبحث الخامس: الجوانب التربوية الإجتماعية

تُعد الجوانب التربوية الاجتماعية من الركائز الأساسية في بناء الفرد والمجتمع، إذ تتداخل التربية مع النظم الاجتماعية لتشكّل شخصية الإنسان وتحدد سلوكياته واتجاهاته في مختلف مراحل حياته.

يحظى الجانب الاجتماعي في الإسلام بمكانة عظيمة، حيث يُعدّ أحد الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع المسلم. فقد جاء الإسلام برسالة شاملة لا تقتصر على العبادات الفردية، بل تشمل تنظيم

العلاقات بين الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹

فالإسلام في جوهره رسالة رحمة عامة، لا تخص المسلمين وحدهم، وإنما تشمل جميع البشر، بل وسائر المخلوقات، وذلك من خلال ترسيخ مبادئ العدل والإحسان وحسن المعاملة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية. وكلمة اجتماعية هي مصدر تشتق من كلمة "اجتمع"، و كلمة "اجتمع" مطاوع جمعة يقال جامع فلان على أمراكذا، أي اجتمع معه عليه، ومنه تجمع أن أنضم بعضه على بعض.

والاجتماع: أي علم الاجتماع هو علم يبحث في شيء الجامعات الإنسانية ونموها، وطبيعتها، وقوانينها، و نظامها، ويقول: رجل اجتماعي مزاوِل للحياة الاجتماعية كثيرة المخالطة للناس.²

و المجمع: موضع الاجتماع و الجماعة من الناس.³

¹ (سورة الأنبياء: 107

² (المعجم الوسيط للمجمع اللغة العربية: (135/1)

³ (المصدر السابقة (135/1)

والاجتماع: تقارب أجسام بعض من بعض.¹

والذي يعنينا هنا من كلمة "اجتماعية" هو مطلق اجتماع دون تخصيص بأمة أو بأرض, لأن هذا لكل العالم, لا يختص بفريق دون فريق, لا يفضل جنسان على جنس إلى بالتقوى, كما قال سبحانه وتعالى:

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.²

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلق بالاجتماعية بحسب ما بيّنه الإمام القاسمي رحمه الله، ومن ذلك: إكرام الآخرين، استعانة للكافر، وجواز طلب الولاية

¹ (تعريفات لجرجاني: (10/1)

² (سورة الحجر: 13)

إكرام الآخرين

أن الإكرام والإحسان إلى الآخرين ليسا مجرد سلوكيات فردية، بل هما ركيزتان أساسيتان في بناء مجتمع إنساني متماسك، يسوده الاحترام والتقدير والتعاون. فحين يتحلى أفراد المجتمع بهذه القيم، تزدهر العلاقات الاجتماعية، ويقل الصراع، وتُبنى بيئة قائمة على الرحمة والعدل والتكافل. وقد أكد الإسلام على هذه المبادئ لما لها من أثر عميق في تحقيق الاستقرار المجتمعي والارتقاء بسلوك الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله: ومعنى أَكْرِمِي مَثْوَاهُ اجعلي مقامه حسنا مرضيا. و (المثوى) محل الثواء، وهو الإقامة. قال الشهاب²: وإكرام مثواه كناية عن إكرامه على أبلغ وجه وأتمه، لأن من أكرم المحل بإحسان الأسرة، واتخاذ الفراش ونحوه، فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به. أو (المثوى) مقحم. كما يقال: المقام السامي.³

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام القاسمي رحمه الله وتُبَيَّن هذه الآية أن يوسف عليه السلام، عندما كان في بيت العزيز، قد هُيِّئَ له أفضل مكان، وأُتيحت له أحسن الإمكانيات، وذلك من باب

¹ سورة يوسف: 21

² حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي لألشهاب الخفاجي، دار

النشر: دار صادر - بيروت (164/5)

³ (تفسير محاسن التأويل (163/6)

احترام من يُقيم في البيت وإكرامه.وصية العزيز لامرأته بإكرام يوسف لم تكن فقط لإكرامه، بل لتعني معاملته معاملة حسنة ومناسبة، بحيث يعيش معهم كممثل أحد أفراد الأسرة وليس كالعبد أو الخادم، وهذا يدل على أهمية الفراسة والعدل في التعامل مع الآخرين.

وقد تفرس هذا الوزير الكبير في يوسف أصدق الفراسة إذ وصى امرأته بإكرام مثواه، والمثوى: مصدر واسم مكان من ثوى بالمكان يثوي (كرمى) يرمي ثواء أي أقام، فتضمنت هذه الوصية إكرامه وحسن معاملته في كل ما يختص بإقامته، بحيث يكون كواحد منهم ولا يكون كالعبد والخدم.¹

تكمن العلاقة في حياة المجتمع أن الإحسان إلى الآخرين ومعاملتهم بعدل واحترام، كما في قصة العزيز مع يوسف، هو أساس لبناء مجتمع متماسك ومتعاون. عندما يُكرم الناس بعضهم بعضًا، ويتعاملون مع بعضهم باحترام وإنسانية، فإن ذلك: يعزز روابط المحبة والتضامن، يحقق التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، يمنع الظلم والاستغلال، خاصة بين الأقوياء والضعفاء ويرفع من مستوى الأخلاق والقيم الاجتماعية.

العلاقة هذه تُسهم في بناء مجتمع قوي، يسوده العدل والرحمة والكرم، مما يؤدي إلى استقرار وسعادة أفراد. إكرام الآخرين أو الضيف ليس مجرد تصرف اجتماعي حسن، بل هو عبادة وسلوك إيماني، يُظهر صدق التوحيد والإيمان بالجزاء في اليوم الآخر، لذلك جعله النبي صلى الله عليه وسلم علامة

¹ (تفسير المنار (225/12)

من علامات الإيمان الحقيقي. كما جاء في الحديث ، أخرج البخاري عن أبي شريح الكعبي: أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".¹

والإنسان الكريم لا يتركه الله عز وجل أبداً، وكلما كان كريماً مع الخلق فإن الله تعالى يكرمه ويعطيه،

والبيت الذي يأكل فيه الضيوف ويكثر أصحابه من الصدقة إذا كان أصحابه فقراء يكرمهم الله تعالى

ويشعرهم بالغنى، وإنك قد تجد الإنسان فقيراً ينزل عليه الضيف فيفرح بذلك الضيف الذي عنده،

ويتكلف للضيف ويطعمه ويسقيه ويكرمه حتى يخرج من عنده، فهذا الإنسان الكريم إيمانه قوي،

وهذا الإكرام للضيف دليل على قوة الإيمان.²

إكرام الآخرين أو الضيف له أثر كبير في تعزيز الحياة الاجتماعية وتقوية العلاقات بين الناس. وهو

ليس مجرد سلوك فردي، بل قيمة اجتماعية تُسهم في بناء مجتمع مترابط ومتعاون. لأن إكرام الآخرين

أو الضيف يعكس مكارم الأخلاق في الواقع ، ويُقوي العلاقات، ويُشيع روح المحبة والتعاون، وهي

أساس مجتمع سليم ومتماسك.

إنَّ إكرام الآخرين يُعدُّ اعترافاً بكرامة الإنسان ومكانته، بصفته مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى الذي

منحه قدراً رفيعاً. وليس هذا الفعل مجرد خُلُقٍ اجتماعي، بل هو جزءٌ من تعاليم الإسلام التي تُؤكد

على احترام حقوق الإنسان، ومعاملته بالمحبة والعدل والإحسان. وقد نصَّ القرآن الكريم على ذلك

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَّ آدَمَ﴾³، دلالةً على أن كرامة الإنسان ثابتة بأمرٍ إلهي.

¹ (أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته آياه بنفسه، رقم حديث 5784 (2272/5)

² (شرح رياض الصالحين للشيخ الطيب أحمد حطية (5/62)

³ (سورة الإسراء:70)

إكرام الآخرين هو انعكاس لاعتزافنا بالكرامة التي منحها الله لكل إنسان. فإذا كان الله قد كرم بني آدم بالعقل والوحي والصالحين، فمن الواجب علينا أن نكرم بعضنا بعضًا بالمعاملة الكريمة والرحيمة. "حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء.¹

إكرام الآخرين هو انعكاس لإيمان صادق، واعتزاف بكرامة الإنسان التي كرمها الله، وهو في الوقت نفسه أساس لبناء مجتمع عادل، رحيم، ومتماسك.

¹ (تفسير السعدي (463)

جواز طلب الولاية

تُعتبر قصة يوسف عليه السلام من أعظم قصص القرآن الكريم، لما تحمله من الدروس والحكم في شتى مجالات الحياة، ومنها ما يتعلق بالحكم والقيادة وتحمل المسؤولية. ومن أظهر المواضع التي أثارت اهتمام العلماء والمفسرين قول يوسف عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾¹ وهو طلبٌ صريحٌ للولاية والمسؤولية، مما يطرح سؤالاً مهماً في الفقه الإسلامي: هل يجوز للإنسان أن يطلب الولاية أو المنصب؟ ومتى يكون ذلك محموداً أو مذموماً؟

حيث قال الإمام القاسمي رحمه الله وهذه الآية أصل في طلب الولاية كالقضاء ونحوه، لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه، وجواز التولية عن الكافر والظالم. وأصل في جواز مدح الإنسان نفسه لمصلحته، وفي أن المتولي أمراً، شرطه أن يكون عالماً به، خبيراً، ذكياً الفطنة²

الإمام القاسمي يؤكد أن هذه الآية تدل على جواز طلب الولاية إذا كان المرء قادراً عليها، وجواز قبول الولاية من حاكم غير مسلم أو ظالم إذا وجدت المصلحة، الإمام الرازي يبين وجه ذلك³:

الأول: أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

¹ سورة يوسف: 55

² (تفسير محاسن التأويل 192/6)

³ (تفسير الرازي 474/18)

والثاني: وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضييق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم، فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

والثالث: أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول.

الأصل في الإسلام النهي عن مدح النفس ، لما في ذلك من الوقوع في العُجب والكبر. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾¹.

ذهب العلماء إلى أن الأصل هو النهي عن مدح النفس، لقوله تعالى: المراد منه تركية النفس حال ما يعلم كونها غير متركية، والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: هو أعلم بمن اتقى أما إذا كان الإنسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه والله أعلم.² ولكن يجوز مدح النفس عند الحاجة والمصلحة، كما فعل يوسف عليه السلام، حيث قدّم نفسه للمنصب ليقوم برعاية شؤون الناس ودفع الضرر عنهم. قال الإمام الرازي: لا نسلم أنه مدح نفسه لكنه بين كونه موصوفاً بماتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب، وبين البابين فرق وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكنه ما كان عالماً بأنه يفي بهذا الأمر، ثم نقول هب أنه

¹ (سورة النجم: 32)

² (تفسير الرازي (474/18)

مدح نفسه إلا أن مدح النفس إنما يكون مذموماً إذا قصد الرجل به التواضع والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل، فأما على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محرم.¹

يجوز للإنسان أن يذكر ما عنده من فضل أو علم إذا كان ذلك في حال الضرورة أو لحاجة شرعية، غير أن الأولى والأفضل لأهل العلم والصالح أن يحتنبوا تزكية أنفسهم، فإن ذلك أليق بصفة التواضع. أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكن مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومראה، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله.²

وأن الشرط الأساسي في القائد هو الأمانة والعلم والذكاء:

يُباح للإنسان أن يطلب المنصب إذا كان القصد تحقيق المصلحة العامة، وكان يملك الكفاءة التي تؤهله لتولي ذلك المنصب، "أما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلي على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فإنه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظاً عليمًا وكان محتاجاً إليه وكان صادقاً فيه.³ كما فعل يوسف عليه السلام حين ذكر نفسه بأنه ﴿حفيظٌ عليمٌ﴾.

¹ (تفسير الرازي (472/18-473)

² (تفسير الماوردي (52/3)

³ (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، بتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية (229)

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ كما قال أهل التفسير: {إني حفيظ عليم} فيه أربعة تأويلات:

أحدها: حفيظ لما استودعني عليم بما وليتني ، قاله ابن زيد. الثاني: حفيظ بالكتاب ، عليم بالحساب

، حكاه ابن سراقه ، وأنه أول من كتب في القراطيس. الثالث: حفيظ بالحساب ، عليم بالألسن ،

قاله الأشجع عن سفيان. الرابع: حفيظ لما وليتني ، قاله قتادة ، عليم بسني المجاعة ، قاله شيبه

الضبي¹. حفيظ { أي : خازن أمين ، { عليم { ذو علم وبصر بما يتولاه².

الحفظ والأمانة: أي أنه خازن أمين، حافظ لما وُلي، لا يضيع ولا يخون.

العلم والكفاءة: أي عليم بالحساب، وبالتدبير، وبسني المجاعة، وبما يحتاج إليه من خبرة في إدارة

شؤون الخزائن.

فالآية تدل على أن يوسف عليه السلام جمع بين الأمانة والكفاءة، وهما الشرطان الأساسيان لتولي

المسؤوليات والولايات.

إنَّ يوسفَ عليه السلام لم يطلب المنصبَ طمعاً في الجاه أو ابتغاءً لمتاع الدنيا، وإنما سأل الملك أن

يجعله على خزائن الأرض، لأنه كان ذا كفاءةٍ، حفيظاً أميناً، عليمًا بتدبير الأمور وتصريف شؤونها.

وهنا طلب يوسف - عليه السلام - من الملك بعزة وإباء أن يجعله في الوظيفة التي يحسن القيام بأعبائها

قال: اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ والخزائن جمع خزانة - بكسر الخاء وهي اسم للمكان

الذي يخزن فيه الشيء، والمراد بالأرض: أرض مصر. أي: قال يوسف - عليه السلام - للملك:

¹ (تفسير الماوردي (51/3)

² (تفسير ابن كثير (395/4)

اجعلني- أيها الملك- المتصرف الأول في خزائن أرض مملكتك، المشتملة على ما يحتاج إليه الناس من أموال وأطعمة، لأني شديد الحفظ لما فيها، عليم بوجوه تصرفها فيما يفيد وينفع... فأنت ترى أن يوسف- عليه السلام- لم يسأل الملك شيئاً لنفسه من أعراض الدنيا، وإنما طلب منه أن يعينه في منصب يتمكن بواسطته من القيام برعاية مصالح الأمة، وتدبير شئونها... لأنها مقبلة على سنوات عجاف، تحتاج إلى خبرة يوسف وأمانته وكفاءته، وعلمه.¹

قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ أصل عظيم في جواز طلب الولاية والمنصب عند الحاجة والمصلحة، إذا كان الطالب لها قادراً كفئاً، أميناً وعالماً بما يتولاه. الأصل في الإسلام النهي عن مدح النفس، لكن يُستثنى من ذلك إذا وُجدت ضرورة أو مصلحة شرعية، كما فعل يوسف عليه السلام حين وصف نفسه بالأمانة والعلم، لا طمعاً في الدنيا وإنما لحماية الأمة من المجاعة. ما فعله يوسف عليه السلام ليس تركية للنفس على سبيل الفخر، بل إظهار للقدرة والأهلية التي تتطلبها المصلحة العامة. وهذه الآية تدل على أن شرط القائد أو المتولي أمراً أن يجمع بين الأمانة والكفاءة، وهما أساس كل مسؤولية ناجحة.

و يجوز للإنسان أن يطلب منصباً أو يذكر ما عنده من فضائل إذا كان ذلك لخدمة الناس، ودفع الضرر، وتحقيق المصلحة العامة، وكان صادقاً فيما يصف نفسه به.

¹ (التفسير الوسيط (380/7)

الفصل الثاني: الجوانب التربوية في سورة

يوسف عند سيد قطب

الفصل الثاني: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند سيد قطب

المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية

تشير الجوانب التربوية الاعتقادية إلى المبادئ والقيم الجوهرية التي تتأصل في نفس الفرد وتشكل سلوكه وتصرفاته، وتتعلق بفهمه الصحيح للعقيدة الإيمانية والدين. وتعمل هذه الجوانب على بناء أساس متين من الإيمان، وزيادة الوعي الديني، وتعزيز الالتزام بالقيم الأخلاقية.

الإيمان والعقيدة في القرآن الكريم:

١- الإيمان القائم على العقيدة الصحيحة هو الركيزة الثابتة للمؤمن، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹

٢- التوحيد (العقيدة) هو شرط أساسي لقبول الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾²

٣- الإيمان والعمل الصالح يوصل الإنسان إلى الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³

¹ (سورة البقرة: 256)

² (سورة الزمر: 65)

³ (سورة البقرة: 82)

الإيمان القائم على العقيدة الصحيحة والتوحيد هو الأساس المتين للمؤمن، وهو الشرط لقبول الأعمال

الصالحة، ومجموع الإيمان والعمل الصالح يقود الإنسان إلى الجنة، كما ورد في القرآن الكريم.

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية بحسب ما بينه الإمام الشهيد

سيد قطب رحمه الله، وهي: توحيد الله هو الفطرة والحاكمة لله وحده.

توحيد الله هو الفطرة

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾¹

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: فهي ملة التوحيد الخالص الذي لا يشرك بالله شيئا قط . . والهداية إلى التوحيد فضل من الله على المهتدين ، وهو فضل في متناول الناس جميعا لو اتجهوا إليه وأرادوه . ففي فطرتهم أصوله وهواتفه ، وفي الوجود من حولهم موحياته ودلائله ، وفي رسالات الرسل بيانه وتقديره . ولكن الناس هم الذين لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله ، التوحيد هو فطرة الإنسان، وآياته وبراهينه موجودة من حولنا، وقد أكدها الأنبياء. والهداية إلى التوحيد نعمة من الله، ولكن مفتاحها هو إرادة الإنسان في البحث عنها. ومع الأسف، كثير من الناس غافلون، لا يشكرون، ويغلقون قلوبهم عن نوره.

قال الإمام ابن كثير: وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى ، واتبع المرسلين ، وأعرض عن طريق الظالمين فإنه يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه ، ويجعله إماما يقتدى به في الخير ، وداعيا إلى سبيل الرشاد . (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) هذا التوحيد ،

¹ (سورة يوسف: 38)

² (في ظلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الشروق-القاهرة، ط:الشرعية العاشرة 1401هـ-1981م (1989/4)

وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، (من فضل الله علينا) أي: أوحاه إلينا، وأمرنا به ، وعلى الناس إذ جعلنا دعاة لهم إلى ذلك (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي: لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم.¹

أعظم نعمة أنعم الله بها هي الوحي وهدايته التي تقود الإنسان إلى التوحيد، فقد أنزلها على أنبيائه أمانة، وجعلهم دعاة ومرشدين للبشر، ولكن أكثر الناس غافلون عنها، لا يشكرونها، بل يرفضونها. "مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا بِالْوَحْيِ. وَعَلَى النَّاسِ وَعَلَى سَائِرِ النَّاسِ يَبْعَثُنَا لِإِرشَادِهِمْ وَتَثْبِيتِهِمْ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ. لَا يَشْكُرُونَ هَذَا الْفَضْلَ فَيَعْرِضُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَنَبَّهُونَ، أَوْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِنَصَبِ الدَّلَائِلِ وَإِنْزَالِ الْآيَاتِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَلَا يَسْتَدِلُّونَ بِهَا فَيُلْغَوْنَهَا كَمَنْ يَكْفُرُ النِّعْمَةَ وَلَا يَشْكُرُهَا".²

الهداية إلى التوحيد هي أعظم نعمة من الله، منحها لأنبيائه ولكافة الناس عن طريق الرسالة. "(ذلك من فضل الله علينا) بهدائتنا إلى معرفته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته بوحيه وآياته في خلقه وعلى الناس بإرسالنا إليهم ننشر دعوتهم، ونقيم عليهم حجته، ونبين لهم هدايته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعم الله عليهم، فهم يشركون".³

التوحيد هو قمة كرامة النفس الإنسانية، وهو أعظم نعمة من الله، لأنه بالتوحيد وحده يستطيع الإنسان أن يعرف المنعم حق المعرفة. "وإن التوحيد فضل وعلو بالنفس الإنسانية إلى مقام الإدراك

¹ (تفسير ابن كثير (333/4)

² (تفسير البيضاوي (164/3)

³ (تفسير المنار (253/12)

السليم ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) الإشارة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة غير الله تعالى أيا كان، فهو فضل الله إذ هداهم إلى عبادة المنعم وحده، وهدى الناس إليه، ولكن أكثر الناس لا يشكرون المنعم بعبادته وحده".¹

ومن خلال ما سبق يتضح لنا الخلاصة التالية:

- أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي الوحي والهداية إلى التوحيد.
 - توحيد الله هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها
 - وقد أنزلها الله على أنبيائه أمانة، وجعلهم مرشدين ومبشرين للناس.
 - والتوحيد هو قمة كرامة النفس الإنسانية، إذ به يعرف الإنسان المنعم حق المعرفة.
- ولكن أكثر الناس غافلون عن هذه النعمة العظمى، فلا يشكرونها، بل يعرضون عنها ويكفرون ويشركون بالله.

التوحيد هو اعظم نعمة، وهو فطرة الانسان، وقمة كرامة النفس. قد منحه الله بالفطرة، وبالآيات في الكون، وبرسالات الرسل. ولكن لا ينال هدايته الا من جد في طلبها، بينما اكثر الناس غافلون.

توحيد الله هو الفطرة

قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.²

¹ (زهرة التفاسير (3825-3825/7)

² (سورة الروم: 30)

الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي الميل إلى معرفته وتوحيده، وهذا الدين موافق للفطرة وناموس الوجود، وكلاهما من صنع الله وثابت لا يتغير: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾. فإذا انخرفت النفوس عن فطرتها، فلا يعيدها إليها إلا هذا الدين الذي أنزله الله ليحكم القلوب ويهديها إلى الصراط المستقيم. كما قال صاحب الظلال: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) . . وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ، وكلاهما من صنع الله ، و كلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه . والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف . وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير . والفطرة ثابتة والدين ثابت : (لا تبديل لخلق الله) . فإذا انخرفت النفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة . فطرة البشر وفطرة الوجود.¹

الفطرة الإنسانية هي الميل الفطري إلى محبة الحق، وقبول الشريعة، ورفض الباطل، كما أودعها الله في قلوب العباد وعقولهم. "ووضع في عقولهم حسننها واستقباح غيرها ، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم ، الميل إليها ، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة".²

الله خلق الإنسان على الفطرة ليعلم أنه لا إله إلا هو الحق. "وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره".³

¹ في ظلال القرآن (2768/5)

² تفسير السعدي (640)

³ (تفسير ابن كثير(313/6)

الله خلق الإنسان على فطرةٍ فيها استعداد وقابلية لقبول الحق، وبهذه الفطرة يملك الإنسان القدرة على معرفة الله، وقبول التوحيد، وردّ الباطل. قال الإمام البيضاوي: التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه ، أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ، وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته.¹

كل الإنسان يقر بفطرته ان الله هو ربه، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾² يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم وملिकهم ، وأنه لا إله إلا هو . كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه.³ ان كل انسان خلق على فطرة التوحيد وهي الاقرار بان الله هو الاله الواحد ولذلك كانت الشهادة حجة على الناس بانهم ولدوا على الفطرة.

جعل الله التوحيد والإقرار بالربوبية جزءاً من فطرة الإنسان، فإذا آمن الإنسان بالله كان ذلك موافقاً لفطرته الأصلية. " (وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ)، أي حملهم على الإقرار على أنفسهم، أو اتخذ منهم شهداء على أنفسهم فاستجابوا وشهدوا على أنفسهم فهي شهادة الفطرة الإنسانية السليمة بالربوبية لله تعالى".⁴

¹ (تفسير البيضاوي (206/4)

² (سورة الأعراف: 172

³ (تفسير ابن كثير(500/3)

⁴ (زهرة التفاسير(3004/6)

فطرة الانسان هي التوحيد، انحراف الانسان عن التوحيد ليس امرا فطريا بل هو نتيجة مؤثرات خارجية كالشيطان والهوى والبيئة او التعاليم الباطلة، كما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة.¹

إن التوحيد هو أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، إذ خلقهم مستعدين لمعرفة ربهم وتوحيده ومحبين للحق كارهين للباطل. وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتثبيت هذه الفطرة وإقامة الحجة على الخلق، فالدين والفطرة متناسقان وكلاهما من صنع الله. غير أن الانحراف عن التوحيد ليس أصلاً في الفطرة، بل سببه الشيطان والهوى والبيئة الفاسدة. ومع ذلك فإن أكثر الناس غافلون عن هذه النعمة العظمى، فلا يشكرونها ويعرضون عنها ويشركون بالله.

¹أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب لا تبديل لخلق الله، رقم الحديث: 4497 (4/1792)

الحاكمية لله وحده

قال الله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ¹﴾

قال صاحب الظلال: ولكن البشر في الجاهليات المتعددة الأشكال والأوضاع يسمون من عند أنفسهم أسماء ، ويخلعون عليها صفات ، ويعطونها خصائص ، وفي أول هذه الخصائص خاصية الحكم والسلطان والله لم يجعل لها سلطانا ولم ينزل بها من سلطان. إن الحكم لا يكون إلا لله . فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته ، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية . من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ؛ سواء ادعى هذا الحق فرد ، أو طبقة ، أو حزب . أو هيئة ، أو أمة ، أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله : إن البشر في الجاهلية كانوا يخترعون آلهة من عند أنفسهم، فيسمونها أسماء مبتدعة، وينسبون إليها صفات ليست لها، ويمنحونها خصائص من أعظمها حق الحكم والسلطان، مع أنّ الله لم يجعل لها شيئا من ذلك. والحقيقة أن الحكم والتشريع لا يكون إلا لله وحده، فهو من خصائص ألوهيته سبحانه

¹ سورة يوسف: 40

² في ظلال القرآن (4/1990)

قال الإمام عبد الرحمن السعدي¹: كسوتوها أسماء، سميتوها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، {مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم ينزل الله بها سلطانا، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها.

لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام.² لا معبود بحق الا الله، فهو وحده صاحب الحكم والامر والتشريع، وكل ما سواه آلهة باطلة لا تملك شيئا من صفات الالهية.

ان الآلهة المزعومة سوى الله ليست الا اسماء فارغة اخترعها البشر وورثها الخلف عن السلف من غير دليل، ولم ينزل الله بها حجة ولا برهانا، وان المالك الوحيد للحكم والسلطان والمالك هو الله، فوجب على الناس ان يعبدوه وحده دون سواه. " ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة، إنما هو جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خلفهم عن سلفهم، وليس لذلك مستند من عند الله؛ ولهذا قال: (ما أنزل الله بها من سلطان) أي: حجة ولا برهان. ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشية والمملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه.³

¹ هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة 1358) له نحو 30 كتابا، الأعلام للزركلي (340/3)

² (تفسير السعدي (398)

³ (تفسير ابن كثير (390/4)

ان المشركين قد وقعوا في الشرك حين سمو اوثانهم آلهة فشبهوا بذلك اسماءها باسماء الله، والله متعال منزه عن كل شرك ومثل وشبيه. "وذلك تسميتهم اوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم وتشبيها لها في أسمائها التي سموها بها بالله ، تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه.¹

إنَّ الله وحده هو الذي يملك الحقَّ الكامل في تشريع أحكام العبادة، لأن وجوده واجب بذاته، غير مفتقر إلى شيء، بخلاف المخلوقات فإن وجودها متوقف على الله تعالى. "إِنَّ الْحُكْمَ مَا الْحَكَمَ فِي أَمْرِ الْعِبَادَةِ. إِلَّا لِلَّهِ لِأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لَهَا بِالذَّاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ الْوَاجِبُ لذَاتِهِ الْمَوْجِدُ لِلْكَلِّ وَالْمَالِكُ لِأَمْرِهِ. أَمَرَ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ".²

لا سلطان لعبادة غير الله فان الحكم والسلطان والقدرة القاهرة خاصة بالله وحده وهو المستحق للعبادة والطاعة دون سواه. " (مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)، أي حجة تسوغ عبادتها، وإن الحكم والسلطان، والقدرة القاهرة ليست إلا لله خالق كل شيء (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)، وهو الجدير بالسلطان وحده".³

الله وحده هو المعبود الحق، إليه يرجع الحكم والسلطان، ومن عداه فآلهة موهومة لا حقيقة لها، وأسماء باطلة نسجتها أوهام البشر.

أن الحكم والسلطان خاصّ بالله وحده

¹ تفسير الطبري (165/13)

² تفسير البيضاوي (164/3)

³ زهرة التفاسير (3825/7)

كما ذكر صاحب الظلال "إذ الحاكمة من خصائص الألوهية"، الألوهية هي إفراد الله بالعبادة، ومن لوازمها أن الله وحده هو الذي يحدد من يُعبد وكيف يُعبد وبأي حكم يحيا الناس، ولذلك فإن السيادة في الحكم جزء من توحيد الألوهية. وتوحيد الحاكمة داخل في الربوبية من جهة أن الحكم لله، والله تعالى هو الذي يحكم، وهو الذي يشرع، وداخل في توحيد الألوهية لأن التنفيذ والتطبيق هو عبادة لله عز وجل، وهذا هو توحيد الألوهية".¹

قسم العلماء التوحيد الى ثلاثة اقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الاسماء والصفات، وتوحيد الالهية، ومن المتأخرين من زاد قسمًا رابعًا على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه: توحيد الاتباع، أو توحيد الحاكمة (أي: التحاكم إلى الكتاب والسنة)، ولكن يُلاحظ على مَنْ ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية، لأن العبادة لا تُقبل شرعًا إلا بشرطين هما: الإخلاص والاتباع.²

كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.³ ما كان موافقًا لشرع الله وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركن العمل المتقبل . لا بد أن يكون خالصًا لله.⁴ الحاكمة جزء من توحيد الألوهية، لأنه لا يمكن للعبد أن يرجو لقاء الله وينال رضاه إلا بطاعة حكم الله، وعبادته سبحانه بإخلاص.

¹ (شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

² (معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض،

المملكة العربية السعودية، ط: الأولى 1419هـ/1999م (37)

³ (سورة الكهف:110

⁴ (تفسير ابن كثير(205/5)

ان من أصول العقيدة الاسلامية المهمة الايمان بان الحكم والسلطان خاص بالله وحده فلا يحق لاحد غيره ان يشرع شريعة او يفصل في الاحكام او يتصرف في المخلوقات الا الله سبحانه.

لقد وردت في القرآن الكريم العديد من الأدلة التي تؤكد وتوضح هذه القضية، كما هو الحال في جميع مسائل العقيدة، فقد قال الله - سبحانه وتعالى:

١- الله هو الوحيد الذي له السيادة الكاملة في الحكم والقرار والجزاء، أما النبي فهو مجرد واسطة للوحي وليس صاحب القرار النهائي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾¹.

قال صاحب الظلال: والله وحده الحكم والقضاء . فهو وحده الذي يقص الحق ويخبر به ؛ وهو وحده الذي يفصل في الأمر بين الداعي إلى الحق والمكذبين به . وليس هذا أو ذلك لأحد من خلقه.

"وبذلك يجرد الرسول -صلى الله عليه وسلم- نفسه من أن تكون له قدرة ، أو تدخل في شأن القضاء الذي ينزله الله بعباده . فهذا من شأن الألوهية وحدها وخصائصها ، وهو بشر يوحي إليه ، ليلبغ وينذر ؛ لا لينزل قضاء ويفصل"². يبين ذلك اختصاص الله تعالى بكونه الوحيد الذي له السيادة الكاملة في الحكم والقضاء والجزاء، وأما النبي -صلى الله عليه وسلم- فليس الا واسطة في تبليغ

¹ (سورة الأنعام: 57)

² (تفسير في ظلال القرآن (2/1108)

الوحي، لا يملك القرار النهائي. "وإنما أنت رسول ، وليس عليك إلاّ البلاغ لما أرسلت به ، وإن الله يقضي الحقّ فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين الحقّ منكم والمبطل".¹

إن الحكم لله لأنه سبحانه يفصل بين الموقف دون هوى لأنه لا ينتفع بشيء مما يفعل، فقد أوجد الحق هذا الكون وهو في غنى عنه، لأن الله سبحانه وتعالى كل صفات الكمال ولم يضيف له خلق الكون صفة زائدة، وقد خلق سبحانه الكون لمصلحة خلقه فقط.² الله بصفاته الكاملة، خلق الكون وتشريع الأحكام لا يزيدان ولا ينقصان من كماله، وخلق الكون وتشريع الأحكام هو لمصلحة خلقه فقط.

الله وحده هو الذي له الحق في التشريع والسيادة، أما النبي فهو مجرد واسطة للوحي، وخلق الكون مع تشريعه هدفه مصلحة المخلوقات.

٢- وقد جعل الله شرعه تحاكماً التحاكم إلى غير إلى الجاهلية فقال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ

الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾³

قال صاحب الظلال: "إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص . فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر ، لأنها هي عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ، ورفض

¹ (تفسير الطبري (279/9)

² (تفسير الشعراوي - الخواطر لمحمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم (3667/6)

³ (سورة المائدة: 50)

ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله".¹ يبين سيد قطب في تفسير هذه الآية فالجاهلية هنا هي رفض الألوهية والحاكمية لله تعالى، والاعتراف بحق التشريع للبشر، مع أن هذا الحق خاصٌ بالله وحده.

حكم الجاهلية مبني على الجهل، أما حكم الله فمبني على العلم والعدل والنور، "أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية ، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله . فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية . فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي ، ولهذا أضافه الله للجاهلية ، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم ، والعدل والقسط ، والنور والهدى".² إنه لا يوجد حكم أعدل من حكم الله، فعدالته سبحانه قائمة على علمه الشامل، وقدرته التامة، ورحمته الكاملة بعباده. "ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء".³

لا حكم أعدل من حكم الله، لأن عدالته نابعة من علمه وقدرته ورحمته الكاملة. وأما حكم الجاهلية فينشأ عن الجهل والظلم والانحراف عن التوحيد.

فيما يلي خلاصة ما جاء في تفسير قوله تعالى من سورة يوسف أية 40:

● الحاكمية لله وحده ، ان الحاكمية حق خالص لله تعالى وحده، وهي جزء لا يتجزأ من التوحيد

¹ (في ظلال القرآن (904/2)

² (تفسير السعدي (234)

³ (تفسير ابن كثير(131/3)

- بطلان الحكم بغير ما انزل الله، كل حكم لا يستند الى وحي الله تعالى فهو حكم جاهلي،
لانه يتضمن رفض الوهيي الله وحاكميته
- عداله حكم الله ،حكم الله هو الحكم الاعدل، لانه قائم على علمه الكامل وعدله الشامل
ورحمته التامه بعباده
- ظلم حكم الجاهليه ،اما حكم الجاهليه فانه مبني على الجهل والظلم والانحراف عن التوحيد
- العباده والطاعه لحكم الله ،ان العباده الحقيقيه لله تعالى تقتضي الخضوع الكامل لاحكامه
وشرائعه، وعدم التحاكم الى غيرها

المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية

تُعدّ الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فهي البيئة الأولى التي يتلقى فيها الإنسان مبادئ الدين، وقيم الأخلاق، وأساليب التعامل مع الحياة. ومن ثمّ، فإنّ الأسرة ليست مجرد إطار اجتماعي يجمع الأفراد، بل هي مؤسسة تربوية متكاملة لها أثر بالغ في تكوين شخصية الإنسان وسلوكه واتجاهاته الفكرية والعاطفية.

أولى القرآن الكريم عنايةً عظيمةً بالأسرة باعتبارها الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع، فإذا كانت متينة كان المجتمع متماسكاً قوياً، وإذا كانت ضعيفة انعكس ضعفها عليه. وقد تناول القرآن جميع شؤون الأسرة، موضحاً أحكامها ومبيناً أسسها ومبادئها التي تقوم عليها، فيما يلي بعض الآيات القرآنية التي تتعلّق بالأسرة:

١- الأسرة هي المدرسة الأولى لغرس العقيدة في الأبناء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ^١﴾

٢- الحث على برّ الوالدين والإحسان إليهما

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ ۖ وَفِصْلُهُ ۖ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

^١ (سورة لقمان: 13)

نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي^ط

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾

٣ - الأسرة في الإسلام لبنة السكينة والمودة

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلق بالأسرة بحسب ما بينه الإمام الشهيد سيد قطب

رحمه الله، وهي: نصيحة يعقوب لابنه يوسف والغيرة بين الإخوة

^١ سورة الأحقاف: ١٥

^٢ سورة الروم: ٢١

نصيحة يعقوب لابنه يوسف

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾¹

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته ، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق - فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم ، فتمتليء نفوسهم بالحق ، فيدبروا له أمرا يسوؤه. ثم علل هذا بقوله: { إن الشيطان للإنسان عدو مبين } ومن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض ، ويزين لهم الخطيئة والشر.²

نصح نبي يعقوب ابنه يوسف عليه السلام بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يحسدوه فيجد الشيطان من ذلك مدخلا فينفذ إلى قلوبهم حتى يدبروا له كيدا يسوؤه.

الشيطان لا يفتر عن إغواء الإنسان في أي وقتٍ وأي مكان، وقد أطاع يوسف أمر أبيه فلم يُخبر إخوته برؤياه. " لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا ، ولا سرا ولا جهارا ، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى ، فامتثل يوسف أمر أبيه ، ولم يخبر إخوته بذلك ، بل كتمها عنهم".³

يغرس الشيطان الحسد في نفوس الناس، لأن كل سيئة يقوم بها الإنسان تفرح الشيطان، "لا تخبر إخوتك بما رأيته في منامك ، فيحتالوا للإضرار بك حسدا منهم لك ، وهذا الحسد يغرسه الشيطان

¹ (سورة يوسف: 5)

² (في ظلال القرآن (1971/4)

³ (تفسير السعدي : 393)

في نفوس الناس ، لتتولد بينهم العداوة والبغضاء ، فيفرح هو بذلك ، إذ كل قبيح يقوله أو يفعله
الناس يفرح له الشيطان".¹

لقد علم النبي يعقوب من تصرفات إخوة يوسف وسلوكهم من قبل أنهم يحملون في قلوبهم الحسد
والغيرة تجاه يوسف، ولذلك نهاه عن أن يقص رؤياه على إخوته، "وإنما قال يعقوب ذلك، لأنه قد
كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسده".²

لشدة محبة يعقوب ليوسف وبنيامين، كان ذلك السبب الذي جعل إخوة يوسف يحسدونه عليه،
"إن يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده إخوته لهذا السبب وظهر ذلك
المعنى ليعقوب عليه السلام بالأمارات الكثيرة فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها
أن إخوته وأبويه يخضعون له فقال لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيذا".³
نهي نبي يعقوب يوسف عن قص رؤياه، لأنه علم ما في نفوس اخوته من غل وحسد، فكان نهيه له
نابعا من الحكمة والحذر ومحبة الاب لابنه، حرصا عليه من المكر والشر الذي قد ينشأ عن حسد
الناس

تدل هذه الآيات والتفاسير على حكمة نبي الله يعقوب عليه السلام في تربيته لابنه يوسف، وعلى
عمق بصيرته في فهم طبائع البشر ومكائد الشيطان

١- حكمة يعقوب في نصيحته:

¹ (التفسير الوسيط (318/7)

² (تفسير الطبري (13/13)

³ (تفسير الرازي: 420/18)

نهي نبي الله يعقوب ابنه يوسف عن قص رؤياه على إخوته، لأنه علم ما في نفوسهم من حسدٍ وغيرة، فكان نهيهِ نابعًا من الحكمة والمحبة والحذر، حرصًا على ابنه من مكرهم.

٢- دور الشيطان :

الشيطان يسعى دائمًا لإيجاد الثغرات في قلوب الناس، فيغرس فيها الحسد والبغضاء، ليوقع بينهم العداوة والشر، لأنه يفرح بكل معصية أو قبيح يصدر عن الإنسان.

٣- طاعة يوسف لأبيه :

امتثل يوسف عليه السلام أمر أبيه، فكنم رؤياه ولم يخبر بها إخوته، وكان ذلك دليلًا على طاعته وحكمته في تجنب أسباب الأذى.

٤- الحسد سبب العداوة والمكر:

تبين من القصة أن الحسد قد يدفع الإنسان إلى الظلم والمكر بأخيه، ولهذا يجب على المؤمن أن يحذر من الحسد، وأن يتبعد عن كل سبب يفتح للشيطان طريقًا إلى قلبه.

معنى الرؤيا وحقيقتها

من جهة علم النفس الحديث (التحليل النفسي) تُعدُّ الأحلام مجرد تنفيس عن الرغبات المكبوتة. تقول مدرسة التحليل النفسي : إنها صور من الرغبات المكبوتة تتنفس بها الأحلام في غياب الوعي، ولكن صاحب الظلال يؤكد أن للأحلام بُعدًا آخر أيضًا، ومنها ما يأتي كإرشاد أو إشارة إلهية، وهو ما لا يمكن تفسيره بمجرد نظرية فرويد. فلذلك نهى نبي يعقوب يوسف عن قصها، لأن الرؤيا كانت

تتضمن سرًا عظيمًا عن مستقبله، ولو علم بها إخوته لأثارت في نفوسهم الحسد وأدت إلى تدبير الشر له.¹

تري مدرسة التحليل النفسي الاحلام من منظور نفسي بحت، إذ تعدها تنفيسا عن الرغبات المكبوتة في النفس. اما في الاسلام كما بين سيد قطب فإن بعض الاحلام لها بعد روحي، وقد تكون إرشادا او إشارة إلهية، كما حدث في رؤيا النبي يوسف عليه السلام.

الرؤيا عند وهبة الزحيلي²: هي انطباع الصورة المنحدرة من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة.³

قال الإمام البيضاوي: والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم ، فرق بينهما بحر في التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك ، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ ، فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فصير مشاهدة ، ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت

¹ (في ظلال القرآن (4/1972)

² (هو وهبة بن مصطفى الزحيلي ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام 1932م، حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق ((الشريعة الإسلامية)) عام 1963م بمرتبة الشرف الأولى، من كتبه: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، على جائزة لأفضل كتاب في العالم الإسلامي للعام 1995، الفقه الإسلامي وأدلته، ترجم إلى التركية والماليزية والفارسية وغير ذلك. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، لأعضاء ملتقى أهل الحديث، <http://www.ahlalhdeth.com>، [الكتاب مرقم آليا، غير مطبوع]، عدد الصفحات: 372، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431

³ (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهاب الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط: الأولى، 1411 هـ - 1991 م: 205/12

إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه.¹ الرؤيا هو صورة تتشكل من تفاعل النفس والخيال والحواس. هناك الرؤيا "صادقة" وهي التي تمثل اتصال النفس بالعالم الإلهي، ويمكن فهمها مباشرة دون تفسير، لأن الرؤيا كان مهمًا جدًا، فقد نهي والده يوسف عن قصّته على إخوته. من الرؤيا التي هي مصدر رأى العلمية الدالة على ما وقع للإنسان في نومه، أما رأى البصرية فيقال في مصدرها الرؤية.² الرؤيا: هي رؤية باطنية أو روحية تقع أثناء النوم. أما الرؤية: فهي رؤية بصرية تقع حال اليقظة. وكلا الكلمتين من أصل واحد (رأى)، غير أن معنهما يختلف باختلاف نوع الرؤية المقصودة، فهي رؤية القلب في المنام أم رؤية العين في اليقظة. "ورأى رؤيا: اختص بالنام ورؤية: بالعين ورؤيا: بالقلب"³

كان الأنبياء كثيرًا ما يرون الرؤيا الصادقة قبل أن يُبعثوا نبين، وقد فهم يعقوب أن رؤيا يوسف كانت علامة على نبوته. "وقد يفهم منه المعبر البصير المعنى المناسب للرأي القاص أو المعنى الذي تؤول إليه في المستقبل إذا كانت رؤيا حق كما يقع للأنبياء عليهم السلام قبل وحي التكليم ومقدماته، وقد فهم هذا يعقوب واعتقد أن يوسف سيكون نبيا عظيما ذا ظهور وسلطان يسود به أهله حتى أباه وأمه وإخوته".⁴ الرؤيا الصادقة نعمة من الله يمنحها لعباده الذين زكت نفوسهم، وقد تكون الرؤيا إشارة

¹ تفسير البيضاوي: 155/3

² (التفسير الوسيط: 318/7

³ (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، بتحقيق: عدنان

درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت: 475

⁴ (تفسير المنار: 210/12

أو هدايةً أو خبراً من الله عمّا سيقع في المستقبل. "وأن الرؤيا الصادقة حالة يكرم الله بها بعض عباده الذي زكت نفوسهم فيكشف لهم عما يريد أن يطلعهم عليه قبل وقوعه".¹

ومن الأحاديث التي وردت في فضل الرؤيا الصالحة أخرج البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح".² أول ما بدأ به الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الرؤيا الصادقة في النوم.

الرؤيا في الإسلام ليست مجرد ظاهرة نفسية كما ترى مدرسة التحليل النفسي، التي تعتبر الأحلام تنفيساً عن الرغبات المكبوتة، بل هي أعمق من ذلك. فبعض الأحلام - كما بين سيد قطب والعلماء - تحمل بُعداً روحياً وإشارات إلهية.

¹ (التفسير الوسيط: 319/7

² أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب تفسير سورة: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}، رقم الحديث: 4670 (1894/4)

الغيرة بين الإخوة

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ¹

قال صاحب الظلال: وأصغر الأبناء هم أحب الأبناء ، وبخاصة حين يكون الوالد في سن الكبر .
كما كان الحال مع يوسف وأخيه ، وإخوته من أمهات. {إذ قالوا : ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا
منا ونحن عصابة {أي ونحن مجموعة قوية تدفع وتنفع. {إن أبانا لفي ضلال مبين} إذ يؤثر غلاما
وصبيا صغيرين على مجموعة الرجال النافعين الدافعين.²

ظاهر ما يستفاد من كلام الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: تُصَوِّر هذه الآية بداية الصراع بين
يوسف وإخوته، وقد نشأت غيرتهم من شعورٍ بعدم العدل، إذ ظنوا أن يعقوب عليه السلام يحب
يوسف وبنيامين أكثر منهم. لكن في الحقيقة كانت محبة يعقوب فطرية، لا عن تفضيلٍ أو تمييز، بل
عن رقة قلب الأب تجاه أبنائه الصغار، ولا سيما في سنّ الكبر.

محبة نبي الله يعقوب ليوسف كانت محبة نابعة من بصيرة روحية لا من تفريق أو تحيز، "روي أنه كان
أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه ، فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم
يصبر عنه ، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له".³

¹ (سورة يوسف: 8)

² (تفسير في ظلال القرآن (1973/4)

³ (تفسير البيضاوي: 156/3)

ودعواهم أن يوسف عليه السلام وأخاه أحب إلى يعقوب عليه السلام منهم يجوز أن تكون دعوى باطلة أثار اعتقادها في نفوسهم شدة الغيرة من أفضلية يوسف عليه السلام وأخيه عليهم في الكمالات وربما سمعوا ثناء أبيهم على يوسف عليه السلام وأخيه في أعمال تصدر منهما أو شاهدوه يأخذ بإشارتهما أو رأوا منه شفقة عليهما لصغرهما ووفاة أمهما فتوهموا من ذلك أنه أشد حبا إياهما منهم توهماً باطلاً . ويجوز أن تكون دعواهم مطابقة للواقع وتكون زيادة محبة إياهما أمراً لا يملك صرفه عن نفسه لأنه وجدان ولكنه لم يكن يؤثرهما عليهم في المعاملات والأمر الظاهرية ويكون أبنائه قد علموا فرط محبة أبيهم إياهما من التوسم والقرائن لا من تفضيلهما في المعاملة فلا يكون يعقوب عليه السلام مؤاخذاً بشيء يفضي إلى التباغض بين الإخوة.¹

يتحدث هذا النص عن دعوى إخوة النبي يوسف أن أباهم النبي يعقوب عليه السلام كان يحب يوسف وأخاه بنيامين أكثر منهم، هناك احتمالان في التفسير:

١- إما أن إخوة يوسف أخطؤوا الظن بسبب الغيرة

٢- أو أن محبة يعقوب كانت بالفعل أشد، لكنها لم تكن ظلماً ولا تمييزاً.

فالحجة الباطنية أمر لا يُستطاع التحكم فيه، ولكن العدل في المعاملة يجب أن يُراعى، وقد ضرب يعقوب عليه السلام مثلاً في ذلك بعدم التفريق بين أولاده في المعاملة. وأصل المشكلة لم يكن في محبة الأب، بل في الحسد الذي استولى على قلوب الأبناء.

¹ (تفسير التحرير والتنوير: 221/12)

من جهةٍ أخرى ، كان يوسف وبنيامين ابنين لأم واحدة وهي راحيل، أما بقية إخوته فكانوا من أمهات أخريات، وكان ذلك سبباً طبيعياً من الناحية العاطفية، إذ إن أبناء الأم الواحدة تكون بينهم عادةً صلة وجدانية أقوى، "كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة ، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام ، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه مالا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة".¹

أخطأ إخوته في تفسير تلك المودة فظنوها تمييزاً وتحيزاً، بينما كانت في الحقيقة نابعة من كمال أخلاق يوسف ولين طبعه، وكانت هذه البداية لنشوء الحسد في قلوبهم، الذي قادهم في النهاية إلى الإساءة إلى أخيه. قال الله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾²

تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح . روح غلام بريء لا يملك دفعا عن نفسه ، وهو لهم أخ . وهم أبناء نبي - وإن لم يكونوا هم أنبياء - يهون هذا . وتضخم في أعينهم حكاية إثارة أبيهم له بالحب . حتى توازي القتل يخل لكم وجه أبيكم فلا يحجبه يوسف . وهم يريدون قلبه . كأنه حين لا يراه في وجهه يصبح قلبه خاليا من حبه ، ويتوجه بهذا الحب إلى الآخرين.³

¹ تفسير البغوي: 217/4

² سورة يوسف: 9

³ في ظلال القرآن (1973/4)

يشير سيد قطب إلى مدى ظلمة قلب الإنسان عندما تسيطر عليه الغيرة والحسد، وتُصوّر هذه الآية قمة الاضطراب الأخلاقي والانحراف النفسي، حيث يجعل الحسدُ الإثمَ العظيم أمراً هيئاً، حتى وإن كان موجّهاً إلى الأخ نفسه.

هكذا ينزع الشيطان ، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها ، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث . وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا

كانت خطتهم في قتل يوسف هي أن يكون اهتمام أبيهم منصّباً عليهم وحدهم دون أن يتقاسمه معهم حب يوسف ومودته. "يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلاً لا يتفرغ لكم".¹ اقتلوا يوسف أو اذفوا به في أرض بعيدة مجهولة حتى يموت ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، خلصت لكم محبة أبيكم دون أن يشارككم فيها أحد ، فيقبل عليكم بكليته ، ويكن كل توجهه إليكم وحدكم ، بعد أن كان كل توجهه إلى يوسف.

كان إخوة يوسف يظنون أن يوسف منافس لهم في نيل محبة أبيهم ، " يقولون: هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم".²

وهكذا النفوس عندما تسيطر عليها الأحقاد ، وتقوى فيها رذيلة الحسد ، تفقد تقديرها الصحيح للأمور ، وتحاول التخلص من يزاحمها بالقضاء عليه ، وتصور الصغائر في صورة الكبائر ، والكبائر في صورة الصغائر . فإخوة يوسف هنا ، يرون أن محبة أبيهم لأخيهم جرم عظيم ، يستحق إرهاب

¹ (تفسير السعدي (394)

² (تفسير ابن كثير: 372/4)

روح الأخ . وفي الوقت نفسه يرون أن هذا الإزهاق للروح البريئة شيء هين ، في الإمكان أن يعودوا بعده قوما صالحين أمام خالقهم ، وأمام أبيهم ، وأمام أنفسهم.¹ عندما يسيطر الحسد والبغضاء على القلب، يفقد الإنسان ضميره وعدله الداخلي، فتصبح المعصية في نظره أمراً هيئاً، ويبدو الحق كأنه خطأ. وكان إخوة يوسف مثلاً واضحاً على كيف يمكن لأمراض القلوب أن تطمس نور العقل والإيمان.

علاقة هذه القصة بالتربية الأسرية عميقة وجليّة، فهي تحمل دروساً عظيمة لكل والدٍ ومربيٍّ، منها ما يلي:

1. العدل بين الأبناء: تُظهر القصة أهمية العدل في معاملة الأبناء، لأنّ التمييز أو حتى ما يُظنّ تمييزاً قد يُثير الغيرة ويُولّد الحسد. فعلى الوالدين أن يُراعيا المساواة في العطاء والعاطفة قدر المستطاع، حتى لا يشعر أحد الأبناء بالظلم أو التفضيل.

2. الحكمة في التعبير عن المشاعر: حبّ يعقوب عليه السلام ليوسف كان حبّاً فطريّاً لا يُلام عليه، لكنه علّما الحذر في إظهار المودة؛ فقد قال ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، وفي ذلك توجيه تربويّ بأن لا يُظهر الإنسان كلّ ما في نفسه من مشاعر أو نعم أمام من قد يحسده.

¹ (التفسير الوسيط: 324/7)

3. غرس القيم الإيمانية في الأبناء :الحسد والغيرة من أمراض القلوب، ولا علاج لها إلا بالإيمان

والرضا بقضاء الله وعدله. وهنا يأتي دور الأسرة في تعليم الأبناء الإخلاص، وحب الخير

للآخرين، والنظر إلى النعمة كاختبار لا كمنافسة.

4. التربية على ضبط العواطف والانفعالات :ما فعله إخوة يوسف كان نتيجة لانفعالات لم

تُضبط بالعقل والإيمان، مما يُبين ضرورة تربية الأبناء على التحكم في الغضب، والتميز بين

ما هو عدل وما هو هوى.

5. دور الوالدين في بناء بيئة أسرية آمنة: يجب أن تكون الأسرة مأوى للسكينة والحب

والاحترام، لا ساحة للمقارنة أو التنافس. فالأسرة التي تُبنى على العدالة والمودة تُخرج أبناءً

أصحاء القلوب والعقول.

المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية

تُعَدُّ الأخلاق من أهمِّ مقومات بناء الإنسان والمجتمع، فهي المعيار الذي يُقاس به رقيُّ الأمم وسموها، وبها تُصان الكرامات وتتحقق الغايات السامية للتربية الإسلامية. وإنَّ الجوانب التربوية الأخلاقية تحتلُّ مكانةً عظيمة في الإسلام، إذ جعلها القرآن الكريم والسنة النبوية من أسس تكوين الشخصية المؤمنة، ووسيلةً لإصلاح الفرد والمجتمع معًا.

يولي الإسلام اهتماما كبيرا بالأخلاق، ويظهر ذلك من خلال كثرة الآيات القرآنية التي تتناول موضوع الأخلاق وتحث على التخلق بالقيم الفاضلة. وفيما يلي بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأخلاق:

آيات قرآنية في مدح خلق الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾¹

آيات قرآنية في الحث على التعاون، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾²

آيات قرآنية في الحث على الإحسان، قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾³

¹ (سورة الأنعام: 85)

² (سورة المائدة: 2)

³ (سورة البقرة: 195)

آيات قرآنية في الحث على التواضع, قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي

الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ¹

وما زال في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الأخلاق وتبين مكانتها العظيمة في الإسلام.

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلق بالأخلاق الأسرة بحسب ما بينه الإمام الشهيد

سيد قطب رحمه الله، و هي: العفة والعف

¹ (سورة لقمان: 18)

العفة

ذكر سيد قطب رحمه الله أن هذه هي المحنة الطويلة التي مرّ بها يوسف عليه السلام، فلم تكن فتنة امرأة العزيز وحدها، بل كانت صراعاً مع البيئة الناعمة القاتلة، بيئة الترف والنعيم والإغراء والأساليب الخفية الماكرة . تلك المؤثرات التي قد تذيب قلب أي إنسان، إلا قلباً عصمه الله وحفظه بنوره وتقواه.

فهذه البيئة التي تسمح بهذا وذلك بيئة خاصة . هي بيئة الطبقة المترفة دائماً . ويوسف كان فيها مولى وترى فيها في سن الفتنة . . فهذه هي المحنة الطويلة التي مرّ بها يوسف ، وصمد لها ، ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها وميوعتها ووسائلها الخبيثة.¹ البيئة التي عاش فيها يوسف عليه السلام كانت بيئة مترفة مليئة بالإغراءات والفتن

أما هذه المرة فلو كانت وحدها وكانت مفاجأة بلا تمهيد من إغراء طويل ، لما كان عسيرا أن يصمد لها يوسف ، وبخاصة أنه هو المطلوب فيها لا طالب . وتهالك المرأة قد يصد من نفس الرجل . وهي كانت متهاكة.²

أراد سيد قطب أن يُصوّر مدى صعوبة وتعقيد المحنة التي ابتلي بها يوسف عليه السلام، فلم تكن مجرد فتنة عابرة في لحظة واحدة، بل كانت عملية طويلة مليئة بالضغوط والإغراءات والمكايد الخفية.

¹ في ظلال القرآن: 4/1980

² مصدر السابقة 4/1980

قال الله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ¹

"وإذن فقد كانت المراودة في هذه المرة مكشوفة ، وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير . .

وحركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة ، وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي

تحتاج فيها دفعة الجسد الغليظة ، ونداء الجسد الأخير².

فلم تكن حركة امرأة العزيز في إغلاق الأبواب مجرد عمل جسدي، بل كانت رمزا لقمة الفتنة، حين

تغلق كل سبل الخير، ويعلو صوت الشهوة ويسكت كل نداء سواه .وقال إن الفتنة في هذه المرة

كانت معلنة ومكشوفة، لا في لطافة الإشارة أو في ابتسامة خفية كما كانت قبلا، بل في دعوة صريحة

إلى المعصية .فقد فقدت المرأة حيائها، واستولى عليها شهوتها، واشتعلت نار الرغبة في قلبها.

وحين أغلقت الأبواب كلها، يبين سيد قطب أن ذلك لا يكون إلا في اللحظة الأخيرة، حين تبلغ

دفعة الجسد غايتها، وتعمى العيون والقلوب من شدة الهيجان ووسطوة الشهوة.

حيث إن امرأة العزيز راودت يوسف مرارا وتكرارا، وأغلقت الأبواب إحكاما، لكيلا يجد يوسف طريقا

إلا أن يجيب رغبته ويستجيب لهواها. " طلبت منه وتمحلت أن يواقعها ، من راد يروود إذا جاء

¹ (سورة يوسف: 23

²) في ظلال القرآن:4/1980

وذهب لطلب شيء ومنه الراءد . ((وغلّقت الأبواب)) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق¹.

المراودة: مفاعلة، من راد يرود إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أى: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقفته إياها.²

يشرح الزمخشري أن: كلمة المراودة تشير إلى محاولة لطيفة ولكنها خادعة. لم تقتصر إغواء زوجة العزيز ليوسف على مرة واحدة، بل تكررت باستراتيجيات وإقناع خفي. كان الهدف هو إخضاع يوسف، حتى يستسلم لرغبات المرأة.

((وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ))، "هذه الدعوة السافرة الجاهرة الغليظة لا تكون أول دعوة من المرأة . إنما تكون هي الدعوة الأخيرة . وقد لا تكون أبدا إذا لم تضطر إليها المرأة اضطرارا . والفتى يعيش معها وقوته وفتوته تتكامل ، وأنوثتها هي كذلك تكمل وتنضج ، فلا بد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة ، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة".³ كانت هذه الدعوة هي الدعوة الأخيرة، فقد سبقتها إغراءات خفيفة ولطيفة من امرأة العزيز، وهذا هو ذروة الأمر حين دعت دعوة صريحة. ودعت امرأة العزيز يوسف دعوة صريحة علنية، وهذا يدل على أنها بلغت غاية الشهوة والرغبة في الفاحشة. ومن طبيعة المرأة أن تُدعى ولا تدعو، ولكن امرأة العزيز خالفت فطرتها حين دعت يوسف بنفسها، لما

¹ (تفسير البضاوي : 160/3

² تفسير الكشاف: 455/2

³ في ظلال القرآن: 1980/4

غلب عليها من شدة الهوى والرغبة، حتى خرجت بذلك عن فطرتها كأنتى. " أنها قالت له : هيت لك ، أى : هأنذا مهينة لك فأسرع في الإقبال على . . . وهذه الدعوة السافرة منها له ، تدل على أنه تلك المرأة كانت قد بلغت النهاية في الكشف عن رغبتها ، وأنها قد خرجت من المألوف من بنات جنسها ، فقد جرت العادة أن تكون المرأة مطلوبة لا طالبة".¹

فاستعاذ يوسف بالله من دعوة تلك المرأة ، "((قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ))". . أعيد نفسي بالله أن أفعل".²

"في كلمة مؤمنة موحية تعبر عن الرفض الحازم من جهة، وعن اللجوء إلى الله، والاستجارة به من هذا النداء الشيق المفعم باللهفة والإغراء، الذي يكاد يفترس منه روح الطهر، ويدفعه إلى العهر والفجور. مواجهة الإحسان بالإحسان ثم انطلق ليتحسس المسألة من جهة أخرى، وهي مسألة الوفاء لسيده الذي أحسن مثواه، فكيف يمكن أن يخونه في زوجته، إنه لو فعل ذلك فسوف يحس بالاحتقار لنفسه، كما يحس أيّ خائن" ،³ رفض يوسف طلبها بحزم، وكان رفضه نابعا من إيمانه وخشيته من الله. و تذكر يوسف اللطف الذي أبداه العزيز نحوه، فكان من المستحيل عليه أن يخونه. ((إِنَّهُ وَرَىَّ

أَحْسَنَ مَثْوَىً)). .. وأكرمني بأن نجاني من الجب وجعل في هذه الدار مثواي الطيب".⁴

¹ التفسير الوسيط: 339/7

² في ظلال القرآن: 1980/4

³ تفسير من وحي القرآن لمحمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر-لبنان 2018، ط: الثالثة

<https://quran-tafsir.net/mobdii/sura12-aya23.html#p27>

⁴ (في ظلال القرآن: 1981/4

دعا يوسف الله أن يحميه من هذا الفعل الشرير، لأنه عمل يغضب الله ويبعده عنه. كما ذكر يوسف نفسه أن ارتكاب مثل هذا الفعل الدنيء سيكون خيانة للعزير الذي أكرمه وأحسن إليه، وليس من الصواب أن يقابل لطفه بإشباع رغبات زوجته، لأن ذلك سيكون خيانة عظيمة.

قال ابن عاشور: و (إن) مفيدة لتعليل ما أفاده معاذ الله من الامتناع والاعتصام منه بالله المقتضي أن الله أمر بذلك الاعتصام.¹ الله هو الذي أمر عباده أن يستعينوا به، وقد استعاذ يوسف بالله.

في بداية الأمر أظهر يوسف رفضاً واضحاً لتلك الدعوة، ولم يُبدِ أدنى استجابة لنداء تلك المرأة، " فلم تكن هناك استجابة في أول الموقف لما دعت إليه دعوة غليظة جاهزة بعد تغليق الأبواب ، وبعد الهتاف باللفظ الصريح".²

ومن خلال ما سبق يمكن استخلاص النقاط التالية:

1. كانت محنة يوسف عليه السلام طويلةً وشديدةً، عاش فيها وسط بيئةٍ مليئةٍ بالتurf والإغراء، لكنها لم تُضعف إيمانه ولم تُغوِّ قلبه.

2. مراودة امرأة العزيز كانت متدرجة، بدأت بالإشارات الخفية وانتهت بالدعوة الصريحة بعد تغليق الأبواب.

3. أظهر يوسف رفضاً حازماً منذ البداية، وقال: معاذ الله، كلمةٌ تعبّر عن الإيمان العميق والاعتصام بالله من الفاحشة.

¹ (تفسير التحرير والتنوير: 251/12)

² (في ظلال القرآن: 1981/4)

4. كان رفضه نابغاً من إيمان بالله و خشية الله ، وتذكره لإحسان العزيز الذي أكرمه، فاستحيا

أن يخونه.

5. نجاه الله بنوره وتقواه، فكان مثلاً للطهارة والثبات، وقدوة لكل من يتلى بالفتنة.

كان النبي يوسف قدوة حسنة في حفظ العفة، إذ ظل ثابتاً أمام الإغراءات الشديدة دون أن تستهويه الشهوة.

ذكر ابن قيم الجوزية، " وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل".¹ جميع الاخلاق الفاضلة تنبع من هذه الصفات الاربع الاساسية، فمن غرس هذه الصفات في نفسه ورعاها، نمت منه سائر فروع الاخلاق الكريمة

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.² صفة العفة هي أصل طهارة النفس ونزاهة الأخلاق، فهي تُؤلِّد الحياء والصدق والكرم والأدب، وتمنع من جميع أنواع الشرور، ولذلك من حفظ عَفَّتَه فقد حفظ كرامته وصلاحه عند الله والناس.

كما قال الإمام الغزالي أيضاً في كتاب إحياء علوم الدين، أمهات الأخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل. ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.³ العفة لا تعني

¹ (مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: 294/2

² (مصدر السابقة

³ (إحياء علوم الدين للغزالي: 54/3

امانة الشهوة، بل تعني ضبطها وتوجيهها بالعقل والشرع، حتى يعيش الانسان متوازنا، لا يتجاوز الحدود ولا يعميت الفطرة

صفة العفة هي علامة حرية النفس ونضج الأخلاق، فصاحب العفة ليس من لا شهوة له، بل من يملك شهوته بعقله وإيمانه، ولا يكون عبداً لها. " العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته".¹

فيما يلي الأمور المتعلقة بالعفة:

١-العفة تعد احد منابع الاخلاق الفاضلة

٢- وهي لا تعني امانة الشهوة، بل تعني ضبطها وتوجيهها توازنا حتى لا يتجاوز الانسان الحدود ولا يعميت مطرته

٣-والعفة علامة على حرية النفس، فصاحب العفة ليس من لا شهوة له، بل من يملك شهوته بعقله وإيمانه.

¹ (تحذيب الأخلاق وتطهير الأعراق أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى (26)

ثبات نبي الله يوسف عليه السلام لم يكن لان الفتنة كانت صغيرة، بل لان ايمانه وتقواه كانا قويين، فاستطاع ان يملك نفسه ويظل عفيفا رغم شدة الاغراء والمحنة. " ولقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه فطلب الاعتصام - تريد أن تقول : إنه عانى في الاعتصام والتحرز من دعوتها وفتنتها"¹

¹ (في ظلال القرآن (1985/4)

العفو

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾¹

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله : يقابله يوسف بالصفح والعفو وإنهاء الموقف المخجل، شيمة الرجل الكريم ، وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة ، إنه كان من المحسنين.² يوسف هو قدوة كاملة في الاخلاق، فقد اختار ان يغفر دون ان يرد الاساءة التي اقدم عليها اخوته تجاهه.

"لا مؤاخذه لكم ولا تأنيب اليوم . فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور. والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين".³ يوسف تخلص من الحقد فلم يعد يحمل الكراهية، بل ذكر صفة الله الرحمة التي بها يغفر الله لهم ذنوبهم، هذا من الأخلاق العظيمة، وهو العفو.

عفا يوسف عن إخوته عفوًا تامًا دون أن يذكرهم بخطئهم، بل دعا لهم بالمغفرة من الله. وهذا هو ذروة الإحسان، لا يقدر عليه إلا الأخيار من عباد الله، وكان يوسف عليه السلام من أولئك المصطفين الأخيار. "فسمح لهم سماعًا تامًا ، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق ، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة ، وهذا نهاية الإحسان ، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين".⁴

¹ سورة يوسف: 92

² (في ظلال القرآن (2027/4)

³ مصدر السابقة

⁴ تفسير السعدي: 404

في اليوم الذي جاء فيه نصر الله، كان ذلك كافيا حجة وعبرة للذين ظلموه، فاختار يوسف العفو وأظهر المودة الأسرية، "أنه في اليوم الذي بدا نصر الله، وإعزازه لمن كنتم تريدون له الضياع أو الهوان، والرق، فإن ذلك يكفيكم عبرة، وبيانا لسوء مغبة أفعالكم، وأحقادكم، فلا توبيخ أكثر من معرفة النتيجة، ولكن بدل التوبيخ، واللوم محبة الإخوة، ومودة الأهل".¹

"أنّ العتاب والعقاب مرفوع عنكم اليوم، اطمئنوا وكونوا مرتاحي الضمير ولا تجعلوا للآلام والمصائب السابقة منفذاً إلى نفوسكم، ثمّ لكي يبين لهم أنّه ليس وحده الذي أسقط حقه وعفا عنهم".² يصور هذا القول قمة جمال خلق نبي الله يوسف عليه السلام، وهو العفو الكامل، إذ لم يقتصر على إسقاط ذنب إخوته، بل سعى أيضا إلى طمأنة قلوبهم، مذكرا إياهم بأن رحمة الله أعظم من كل ذنب مضى. كما أن يوسف عليه السلام بين أن عفوه ليس مقصورا على هذا اليوم الذي قدر فيه على مجازاتهم، بل هو عفو عن أفعالهم السابقة التي ارتكبوها في حقه، وفي اليوم الذي تمكن فيه من رد الإساءة، اختار يوسف العفو عن إخوته، "لا لوم ولا تعيير ولا توبيخ ولا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتهم، وكذا فيما قبله من الأيام، وخص اليوم بالذكر، لأنه مظنة التثريب والعتاب".³

عندما دعا نبي الله يوسف عليه السلام بالمغفرة لإخوته، فعل ذلك لأنه علم أنهم قد ندموا وتابوا عن خطئهم في الماضي، ولأنه أراد أن يطهر قلوبهم وقلبه هو أيضا من الشعور بالذنب أو الندم أو الحقد،

¹ (زهرة التفاسير: 3856/7)

² (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - لجنة تأليف بإشراف الشيرازي 2009 هـ)

³ (التفسير المنير: 57/13)

حتى تعود العلاقة بينهم طيبة كما كانت بين الإخوة وأفراد الأسرة. "إن دعوة يوسف بالمغفرة لهم جاءت في حدود معرفته ولتصفية النفوس مما شابها بهذا اللقاء".¹

كان يوسف عليه السلام واثقا حين دعا لإخوته بالمغفرة أن الله سيغفر لهم، كما غفر لهم هو أيضا، لأن الله أحق بالعفو عن عباده المخطئين. "وقد قال يوسف ذلك وهو واثق من إجابة دعوته، لأنه قد غفر لهم خطأهم القديم وعَفَا عنهم؛ والله أَوْلَى منه بالعفو عنهم".²

قصة النبي يوسف عليه السلام هي مثال عظيم في العفو، إذ اختار ألا ينتقم من إخوته الذين آذوه في الماضي عندما باعوه عبداً. وعندما التقى بهم مرة أخرى وكان له السلطان الكامل، عفا عنهم ولم يوبخهم، بل دعا الله أن يغفر لهم، فأظهر عفواً صادقاً ونسياناً تاماً لما مضى من الإساءة.

اختار يوسف عليه السلام أن يعيد المحبة بينهم، وأن يبني من جديد أسرة متماسكة يسودها التآلف والمودة.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في يوم الفتح، بعد أن انتصر الله لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - على كفار مكة، قال لهم ببساطة: " يا معشر قريش، ما ترون أبي فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء".³ هذا الكلام جاء رغم كل ما فعلوه به من إيذاء شديد، وإخراجه من مكة، ومحاولتهم قتله.

¹ تفسير الشعراوي: 7065/11

² مصدر السابقة: 7066/11

³ (السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، بتحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية (412/2)

عبارة " اذهبوا فأنتم الطلقاء " تعكس قلبه الكبير الرحيم والمتسامح. هذا يُظهر صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التسامح والعفو تجاه من أساء إليهم ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹.

إليك بعض الآيات من القرآن الكريم التي تأمر بالعفو:

١ - قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾²

قال صاحب الظلال: "خذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة ، ولا تطلب إليهم الكمال ، ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق . واعف عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم".³

في التعامل مع الناس، فإن للبشر درجات متفاوتة في الإيمان والأخلاق، فلا تطلب منهم الكمال، وخذ ما تيسر من خيرهم، وأعرض عن زلاتهم، واسمح بضعفهم ونقصهم. ان العفو وسعة الصدر ينشيان حياة اجتماعية طيبة.

"ولكن في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار. وبذلك تمضي الحياة سهلة لينة"⁴

¹ (سورة الشورى: 43

² (سورة الاعراف: 199

³ (في ظلال القرآن (3/1419)

⁴ (مصدر السابقة (3/1419)

العفو يشمل صلة الرحم مع من قطعها، ومعاملة الآخرين بالمودة والرحمة، "دخل فيه صلة

القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين".¹

٢- قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾²

قال صاحب الظلال: "إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه ؛ وشواظ يلفح القلب ، ودخان يغشى الضمير . فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب ، فهو الانطلاق من ذلك الوقر ، والرفقة في آفاق النور ، والبرد في القلب ، والسلام في الضمير".³

الغضب المحتجز قد يعذب النفس والقلب، وحمل الضغائن يثقل الانسان بالعواطف السلبية، اما حين تسامح النفس ويعفو القلب فيحدث تحرير من الضغط النفسي وينشئ سكينة في القلب. لذلك، فان العفو لا ينفع الاخرين فقط، بل يمنح الراحة والسعادة لمن يعفو.

٣- قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁴

نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه بعد أن أنزل الله براءة ابنته عائشة رضي الله عنها، وقد تبين أن مسطح بن أثاثة كان من الذين شاركوا في حادثة الإفك، وهو قريب لأبي بكر ومن فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه بانتظام، فلما وقع ، حلف ألا يحسن إلى مسطح بشيء بعد ذلك.

¹ (تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: 344/7

² (سورة آل عمران: 134

³ (في ظلال القرآن(1/475)

⁴ (سورة النور: 22

نزلت هذه الآية لتذكر ابا بكر وسائر المؤمنين الا يغلقوا باب الاحسان بسبب الغضب بل
ليستمروا في فعل الخير والعفو كما انهم يرجون من الله ان يغفر لهم ذنوبهم." نزلت هذه الآية تذكر
أبا بكر ، وتذكر المؤمنين ، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم . فليأخذوا أنفسهم -
بعضهم مع بعض بهذا الذي يحبونه ، ولا يحلفوا أن يمنعوا البر عن مستحقه ، إن كانوا قد أخطأوا
وأساءوا".¹

قال سيد طنطاوي: والعفو معناه : التجاوز عن خطأ المخطيء ونسيانه ، والصفح : مقابلة الإساءة
بالإحسان ، فهو أعلى درجة من العفو، أى : قابلوا أيها المؤمنون إساءة المسيء بنسيانها ،
ومقابلتها بالإحسان.²

تأمر هذه الآية المؤمنين بأن يعفوا عن الخطأ ويقابلوه بالإحسان، فهذا هو أرفع مرتبة من العفو.

٤- قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾³

من يعف يجازي اجرا عظيما وثوابا كثيرا وشرط الله في العفو هو الاصلاح. كما قال الإمام ابن
سعودي: يجزيه اجرا عظيما ، وثوابا كثيرا ، وشرط الله في العفو الاصلاح فيه.⁴

¹ (في ظلال القرآن(4/2504)

² (التفسير الوسيط: 10/102

³ (سورة الشورى: 40

⁴ (تفسير السعدي : 760

تحت هذه الآية الإنسان على أن يكون عافياً كما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عن الآخرين،
والله يجازي من يعف. " وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به ، فكما يحب أن يعفو
الله عنه ، فَلْيَعْفُ عَنْهُمْ ، وكما يحب أن يسامحه الله ، فليسامحهم ، فإن الجزاء من جنس العمل".¹
العفو هو خلق كريم عظيم، ينفع الآخرين ويجلب السكينة والسعادة لمن يعفو، ويؤتي اجرا عظيما
من الله.

¹ (مصدر السابقة 760

المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية

تُعَدُّ الدعوة إلى الله من أعظم الواجبات الشرعية، ومن أسمى المجالات التربوية التي تهدف إلى بناء الإنسان وإصلاح المجتمع.

وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية الدعوة اهتمامًا كبيرًا، فبيّنا منهجها، ورسخا أصولها، التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته إلى الله، ليكون قدوةً في قوله وفعله.

وفيما يلي بعض الآيات والأحاديث التي تتعلق بالأمر بالدعوة إلى الله:

١- الدعوة إلى الله هي واجب كفائي على أمة المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹

٢- الله يمدح من يدعو إلى الله، أي من يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته وطاعته

قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾²

٣- فضل الدلالة على الخير، وأهمية التعليم ونصح الآخرين

¹ سورة آل عمران: 104

² سورة فصلت: 33

أخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أبدع بي فاحملني. فقال: ما عندي. فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دل على خير فله مثل أجر فاعله.¹ »

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلق بالدعوة بحسب ما بينه الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله، وهي: نصيحة يعقوب لابنه يوسف والغيرة بين الإخوة

¹ (أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإمامة باب باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، رقم الحديث: 133 (41/6))

اسلوب الدعوة

الدعوة هي عملية شفاء الانسان من مختلف الامراض، ومن اهمها امراض القلوب والعقيدة. ويجب على الداعية ان يفهم الداء الرئيس الذي يعاني منه المجتمع، حتى يعرف الدواء المناسب الذي يقدم لعلاج تلك الامراض. " تقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعويين ومعرفة الدواء".¹ لذلك يجب على الداعية أن يعرف أي أسلوب من أساليب الدعوة يستخدم حتى تتحقق له النجاح في دعوته.

فيما يلي بعض اسلوب الدعوة التي قام بها النبي يوسف عليه السلام:

• الدعوة باللين والتدرج

قال الله تعالى: ﴿يَصْلَحِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾²

قال سيد قطب رحمه الله: إنه يتخذ منهما صاحبين ، ويتحجب إليهما هذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة. وهو لا يدعوها إليها دعوة مباشرة.³

إن الطريقة التي اتبعها يوسف عليه السلام في دعوته كانت قائمة على بناء الالفة والمودة بينه وبين صاحبيه، فخاطبهما ببناء لطيف يقرب من القلب: "يا صاحبي السجن"، ليلين به قلوبهما، ويستميل عواطفهما. وهذا يشير الى ان الدعوة لا بد ان تقدم بالحب والرفق واللين، فانها لا تؤثر اثرها الكامل

¹ (أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة 1421 هـ (420)

² (سورة يوسف: 39)

³ (أصول الدعوة (420)

الا اذا كان المدعو في صفاء وراحة نفسية. " كما قال سيد طنطاوي: وكرر نداءهما بالصحبة ليتحب

إليهما بهذه الصفة التي فيها إيناس للقلوب ، وليسترعى انتباههما إلى ما سيقوله لهما".¹

{ياصاحبي السجن} والصحبة: "ملازمة اختصاص كأصحاب الشافعي مثلاً، ملازمة الاختصاص

بمذهبه، وهي خلاف ملازمة الاتصال".² الصحبة هنا تشير إلى القرب الخاص والولاء لمبدأ أو تعليم

معين، وليست مجرد الحضور الجسدي أو العلاقة العادية. ومثال ذلك :أصحاب الشافعي الذين

يلتزمون بمذهبه بشكل خاص ،فهم يختارون البقاء قريبين واتباع تعليمات معلم أو مذهب معين بشكل

مميز. وقد خاطبهم يوسف عليه السلام بعبارة "يا صاحبي السجن"، مما يدل على وجود علاقة خاصة

ومميزة.

قال صاحب الظلال: "مدخل لطيف . وخطوة خطوة في حذر ولين . . ثم يتوغل في قلبيهما أكثر

وأكثر".³

الدعوة التي اتبعها النبي يوسف عليه السلام لم تكن قائمة على اللين فقط، بل كانت أيضاً تدريجية،

وكانت أولى دعوته هي التوحيد، أي إفراذ الله بالعبادة دون سواه.

• الدعوة بالمنهج العقلي

أأرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار ؟

¹ (التفسير الوسيط: 362/7

² نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر

آباد - الهند، ط: الأولى، (1389 - 1404 هـ): (87/10)

³ في ظلال القرآن لسيد قطب: 1989/4

قال سيد قطب رحمه الله: "لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة. كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا عنيفا".¹

كان كلام يوسف عليه السلام قصيرا في الفاظه، لكنه عظيم المعاني، قويا في دلالاته، واضحا في بيان العقيدة، اذ بين ان الاله الواحد هو الافضل والاحق بالعبادة. لقد زلزل يوسف بهذه الكلمات اسس الشرك، لان سؤاله وجه ضربة مباشرة الى جذر الانحراف في العقيدة.

"وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزا شديدا . . إن الفطرة تعرف لها إلها واحد ففيم إذن تعدد الأرباب؟".²

سؤال يوسف حول: هل الآلهة المتعددة خير أم الإله الواحد؟ يُظهر تأكيد وحدة الله. هذا السؤال أيضاً يهز أساس عقيدة أهل السجَن، يؤثر في الفطرة الإنسانية، ويعارض الشرك بطريقة منطقية وسهلة الفهم. اراد يوسف عليه السلام ان يبطل ويفند العقائد الباطلة للذين يعبدون الهة متعددة، ولذلك فان السؤال الذي طرحه لم يكن مجرد استفهام، بل كان تأكيدا لخطئهم بطريقة لطيفة ومنطقية.

¹ (مصدر السابقة: 1989/4

² (في ظلال القرآن (1989/4)

كان يوسف عليه السلام يوقن أن الفطرة والعقل والقلب السليم تميل بطبيعتها إلى الإقرار بوحداية الله، وكان السؤال وتنبيههما إلى هذه الحقيقة. "وكان يوسف قد وثق من أن إجابتهما لن تكون إلا بقولهم «بل عبادة إله واحد خير»".¹

يوسف عليه السلام صاغ سؤاله بطريقة منطقية وسهلة الفهم، قريبة من طريقة تفكير العامة، لكي تُقبل رسالة الدعوة بسهولة. "وأراد بالكلام الذي كلمهما به تقريرهما بإبطال دينهما، فلاستفهام تقرير. وقد رتب لهما الاستدلال بوجه خطابي قريب من أفهام العامة، إذ فرض لهما إلهاً واحداً مستفرداً بالإلهية كما هو حال ملته التي أخبرهم بها. وفرض لهما آلهة متفرقين كل إله منهم".²

دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن إلى المقارنة بين من هو الإله الجدير بالعبادة، لكنه لم يكن بذلك يقر بوجود آلهة متعددة، لأن الذين كان يخاطبهم لا يؤمنون بالله، ولذلك استخدم يوسف في دعوته إلى التوحيد أسلوباً عقلياً لإيقاظ عقولهم وتنبيه فطرتهم. "ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحاليين حال الإله المنفرد بالإلهية والأحوال المتفرقة للآلهة المتعددين ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى، فيرجعان عن اعتقاد تعدد الآلهة. وليس المراد من هذا الاستدلال وجود الحاليين في الإلهية والمفاضلة بين أصحاب هذين الحاليين لأن المخاطبين لا يؤمنون بوجود الإله الواحد".³

¹ تفسير الشعراوي: 6955/11

² (تفسير التحرير والتنوير : 275-274/12

³ (مصدر السابقة: 275-274/12

السؤال الذي طرحه يوسف عليه السلام لم يكن مجرد سؤال عادي، بل كان شكلاً من أشكال التأكيد على أن الأفضل هو الله الواحد، وذلك في وقت كان فيه المصريون يعبدون آلهة متعددة. هذا السؤال يدعو المستمعين إلى التفكير في منطقية التوحيد. "هذا استفهام تقرير بعد تخيير، ومقدمة لأظهر برهان على التوحيد، وكان المصريون المخاطبون به، يعبدون كغيرهم من الأمم أرباباً متفرقين في ذواتهم وفي صفاتهم وفي الأعمال التي يسندونها إليهم بزعمهم، فهو يقول لصاحبيه أرباب متفرقون، أى عديدون هذا شأنهم في التفرق والانقسام".¹

كان يوسف عليه السلام يضمن أن المستمعين جاهزون للاستماع، ثم يطرح عليهم سؤالاً يوجههم للتفكير والاعتراف بصحة وحدانية الله. "ولما فرغ أفهامهما بالنداء لما يلقيه، قرع أسماعهما بالإنكار مع التقرير".²

يوسف عليه السلام استخدم الاستفهام لجذب انتباه السامعين، وسمى ما يعبدون أرباباً حسب زعمهم، واستخدم مقارنة لطيفة لإبراز التفوق، كله بأسلوب لين يسهل قبول الرسالة. "وأبرزه صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام استجلاً للسامع برد العلم إليه، وسماها أرباباً لمثل ذلك بناء على زعمهم، وكذا المشاركة في أفعال التفضيل، لأن ذلك أقرب إلى الإنصاف، لكونه ألين في القول، فيكون أدعى إلى القبول".³

¹ (تفسير المنار: 253/12)

² (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 87/10)

³ (مصدر السابقة: 88/10)

طريقة دعوة النبي يوسف عليه السلام في السجن تُظهر حكمة وذكاء في تبليغ التوحيد. وقد كان يقوم بذلك من خلال ما يلي:

- استخدام الأسئلة البلاغية لتوجيه المستمعين إلى التفكير وإدراك خطأ معتقداتهم بأنفسهم.
- توصيل الرسالة بأسلوب لطيف وهادئ، ومراعاة اللغة والمصطلحات بحسب عقيدة المستمعين حتى لا تُثار لديهم المقاومة أو الرفض.
- استخدام المقارنة المنطقية بين الآلهة المتعددة والله الواحد لتأكيد فضل التوحيد وأهميته.
- تُظهر هذه الطريقة أن الدعوة الفعّالة هي الدعوة الإقناعية التدريجية، التي تراعي نفسية المستمعين، بحيث تُقبل عليهم حقيقة التوحيد بسهولة.

الدعوة المتميزة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: "وأصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم من هذا التميز ، لا بد لهم ان يعلنوا أنهم أمة وحدهم ، يفترون عنمن لا يعتقد عقيدتهم ، ولا يسلك مسلكهم ، ولا يدين لقيادتهم ، ويتميزون ولا يختلطون".²

على الداعية أن تكون له هوية واضحة، ويحافظ على نقاء عقيدته، ويجوز له أن يتعامل اجتماعيًا مع جميع الناس، ولكن في المبادئ والقيم يجب أن يبقى متميزًا، متمسكًا بالإسلام.

"ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى دينهم ، وهم متميعون في المجتمع الجاهلي . فهذه الدعوة لا تؤدي شيئًا ذا قيمة ! إنه لا بد لهم منذ اليوم الأول أن يعلنوا أنهم شيء آخر غير الجاهلية ؛ وأن يتميزوا بتجمع خاص أصرت العقيدة المتميزة ، وعنوانه القيادة الإسلامية . . لا بد أن يميزوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي ؛ وأن يميزوا قيادتهم من قيادة المجتمع الجاهلي أيضا".³ لا يجوز للداعي ان يذوب قيم ومبادئ الاسلام في النظام والثقافة الجاهلية، فالدعوة لا تكفي بالاقوال فقط، بل لابد من هوية واضحة تتميز عن قيم الجاهلية.

¹ (سورة يوسف: 108)

² (في ظلال القرآن 4/2034)

³ (مصدر السابقة: 4/2034)

أنّ منهج الدعوة الذي سلكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقوم على أساس التوحيد والعلم والبصيرة، وأنّ على الدعاة في كلّ زمانٍ ومكانٍ أن يسيروا على هذا النهج النبوي، فيدعوا إلى الله بحجّة واضحةٍ وعلمٍ راسخٍ وبصيرةٍ نيرةٍ. "أن هذه سبيله ، أي طريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكلّ من اتبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي".¹

"وهذه الحقيقة لم يكن مجالها فقط هو الدعوة النبوية في أوساط المشركين . . إن مجالها هو مجال هذه الدعوة كلما عادت الجاهلية فغلبت على حياة الناس . . وجاهلية القرن العشرين لا تختلف في مقوماتها الأصيلة ، وفي ملامحها المميزة عن كل جاهلية أخرى واجهتها الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ".²

بيّن سيد قطب رحمه الله أن مواجهة الجاهلية ليست خاصة بزمان النبي - صلى الله عليه وسلم-، بل هي سنة متكررة في كل عصر تعود فيه الجاهلية لتغلب على حياة الناس. فجاهلية القرن العشرين لا تختلف في جوهرها عن الجاهليات السابقة، والدعوة الإسلامية تبقى هي السبيل لمواجهتها في كل زمان ومكان.

لأن الجاهلية تعود في كل عصر كما بين سيد قطب - رحمه الله - فإن واجب الدعوة الذي فرضه النبي - صلى الله عليه وسلم- لا يزال قائماً إلى يومنا هذا، سواء كان فرض عين أو فرض كفاية،

¹ (تفسير ابن كثير: 422/4

² في ظلال القرآن 4/2034

وذلك بحسب قدرة الداعين وحاجة الأمة. " وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة الحمودية واجبا على الأعيان لقول النبي صلى الله عليه وسلم «بلغوا عني ولو آية» أي بقدر الاستطاعة. ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجبا على الكفاية".¹

"والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميع في المجتمع الجاهلي والأوضاع الجاهلية ، والتدسس الناعم من خلال تلك المجتمعات ومن خلال هذه الأوضاع بالدعوة إلى الإسلام . . هؤلاء لا يدركون طبيعة هذه العقيدة ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب ! . . إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم ! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص ؟ وطريقهم الخاص ؟ وسبيلهم التي تفرق تماما عن سبيل الجاهلية".²

يؤكد سيد قطب رحمه الله أن الداعية إلى الله لا يمكنه تحقيق أثر حقيقي في الدعوة إذا ذاب في المجتمع الجاهلي أو حاول التسلل إليه خفية. فالدعوة الصادقة تتطلب وضوح الهوية والتميز في الطريق والمبدأ، لأن الإسلام يملك منهجًا مغايرًا تمامًا لطريق الجاهلية، كما أن أصحاب المذاهب الإلحادية يعلنون أفكارهم بوضوح، فكيف لا يفعل دعاة الحق

بَيِّن الإمام سيد قطب رحمه الله:

١ - أن الدعوة إلى الله تقوم على التميز والوضوح في الهوية والعقيدة، ولا يمكن أن تُؤتي ثمارها إذا ذاب الداعية في المجتمع الجاهلي أو حاول مجاملته على حساب المبادئ الإسلامية..

¹ تفسير التحرير والتنوير: 66/13

² (مصدر السابقة: 66/13)

٢- فالداعية الحق هو من يحافظ على نقاء عقيدته، ويتعامل مع الناس بالحسنى، لكنه يبقى متميزاً في القيم والمبادئ، متمسكاً بطريق الإسلام الواضح.

٣- كما أكد أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية محدودة بزمن النبي - صلى الله عليه وسلم-، بل هي ظاهرة متكررة في كل عصر تغلب فيه القيم المادية والبشرية على منهج الله، وأن الدعوة إلى التوحيد تبقى هي السبيل لمواجهةها في كل زمان ومكان..

٤- ولهذا، فإن الدعوة إلى الله يجب أن يعلنوا هويتهم وطريقهم الخاص، وأن يكونوا قدوة في وضوح المنهج وثبات المبدأ، لأن الإسلام لا يُبلَّغ بالتميع أو المداراة، بل بالثبات والبصيرة على طريق الحق..

خصائص الداعية

١- لا بد أن يكون الداعية عالماً بأسلوب الدعوة

يجب على الداعية أن يكون قادراً على التمييز بين كيفية الدعوة إلى الله مع الظالمين والجاهلين، كما جاء في قول الله: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^١ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ^١

^١ (سورة العنكبوت: ٤٦)

"فالذين ظلموا لا نجادلهم بالتي هي أحسن، وإنما نجادلهم بما يليق بحالهم، وظلمهم، ولا بُدَّ أن يكون

الداعية عالماً بأسلوب الدعوة.. وكيف يدعو الناس.. وهذا أمرٌ مهم جداً، بالنسبة للدعاة".¹

الداعية يجب أن يعرف الطريقة المناسبة والأسلوب المختلف بحسب الشخص الذي يدعو،

فالأشخاص الظالمون أو أصحاب العناد يحتاجون إلى أسلوب مختلف عن غيرهم.

٢- بيان الحق بوضوح وحكمة

لا يجوز أن تُؤدَّى الدعوة بإهانة عقيدة المخالف، وإن كانت تلك العقيدة باطلةً في نظرنا. كما قال

الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ

زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 108﴾²

"وبيان منزلته للناس أمرٌ مطلوب لا بد منه.. ولكن إذا كان يترتب على ذلك مفسدة أكبر، مع إمكان

زوال الباطل بدون هذه المفسدة".³

ينبغي للداعية أن يكون حكيماً في دعوته، فلا يطعن في عقائد الآخرين أو يهاجم مذاهبهم، لأن

ذلك يُنْقِرهم وقد يؤدي إلى ردِّ سيئ، كسبِّهم للحق الذي ندعو إليه. بل الواجب أن يبيِّن الداعية

الحقَّ بوضوح ولطف، فيعرض الحجة بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن كثيراً من الناس لا يرفضون الحق

¹ تعاون الدعاة وأثره في المجتمع لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 (ص:5)

² (سورة الأنعام:108)

³ (تعاون الدعاة وأثره في المجتمع لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص:7)

عن عناد، بل بسبب الجهل أو التقليد. والحق بطبيعته يقبله القلب السليم، وقد لا يظهر أثر الدعوة فوراً، لكنه مع الزمن يؤثر في المدعو إذا أُدِّيت الدعوة بالعلم والبصيرة والأسلوب الحسن.

٣- "يجب أن يتحلّى الداعي الحقيقي بالثبات والشجاعة وعظيم العزيمة في الدفاع عن الحق

إن من خصائص الداعية الكبير الهمة أنه لا يترخص في السكوت عند قوة أهل الفجور وأذاهم".¹

الداعية ذو الهمة العالية لا يسكت أمام ظلم أو فجور، ولا يتهاون خوفاً من الأذى، لأن الصمت في مثل هذه المواقف يليق بالضعفاء لا بالعلماء والدعاة. فهو يتمسك بالعزيمة ويجهز بالحق مهما كانت التضحيات. وقد مثّل الإمام أحمد بن حنبل هذا المبدأ أصدق تمثيل في محتته حين تمسك بالحق ورفض القول بخلق القرآن رغم ما لقي من أذى وعذاب.

¹ (علو الهمة لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار القمة - دار الإيمان، مصر 2004 م، تاريخ النشر بالشاملة: 4 رمضان 1433 (ص:274)

المبحث الخامس: الجوانب التربوية الاجتماعية

يُعَدّ الجانب الاجتماعي في التربية الإسلامية من أهم الجوانب التي تهدف إلى بناء الإنسان الصالح القادر على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه. فالإسلام دينُ جماعةٍ وتعاونٍ وتكافلٍ، لا يقرُّ العزلة ولا الأنانية، بل يدعو إلى الإحسان إلى الناس، وإقامة العلاقات على أساس المودة والعدل والرحمة.

وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية عنايةً كبيرةً بالتربية الاجتماعية، وفيما يأتي آيات وأحاديث تتحدث عن الجانب الاجتماعي في الإسلام:

١ - يؤكد على أهمية الإخاء والمساواة والتعارف بين الناس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹

٢ - يأمر بالعناية بالآخرين، ولا سيما أفراد الأسرة المقربين، ومن يحتاجون إلى المساعدة أو الضعفاء في المجتمع

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾²

¹ (سورة الحجر: 13)

² (سورة النساء: 36)

٣- يعلّم التعاطف والتضامن الاجتماعي في المجتمع

أخرج البيهقي عن يخل ابن الزبير، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه "، لفظ حديث أبي أحمد.¹

فيما يلي بعض الآيات من سورة يوسف التي تتعلّق بالإجتماعية بحسب ما بيّنه الإمام سيد قطب رحمه الله، ومن ذلك: الاخلاق الارستقراطية وطلب الولاية

¹ (أخرج البيهقي في سننه في كتاب الضحايا باب صاحب المال لا يمنع المضطر فضلا، إن كان عنده، رقم الحديث (19668) (5/10)

الأخلاق الأرستقراطية

قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾¹

"إنها الطبقة الأرستقراطية ، من رجال الحاشية ، في كل جاهلية . قريب من قريب"²

يريد سيد قطب بهذه العبارة أن يبين أن الطبقة الارستقراطية، أي أهل المقامات والحاشية وأصحاب النفوذ، في كل زمان جاهلي، تتصف بالتكاتف والتعاون فيما بينها، وتتحامى وتتناصى على الباطل، لما يربطها من مصالح ومكاسب دنيوية .

طُلب من يوسف عليه السلام كتمان هذا الحادث حفاظاً على سمعة وكرامة عائلة العزيز. " يا يوسف أعرض عن هذا الأمر الذي دار بينك وبينها فاكتمه . ولا تتحدث به خوفاً من الفضيحة ، وحفاظاً على كرامتي وكرامتها".³ لحماية سمعة عائلته، نُهي يوسف عن سرد هذا الحدث . "اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد ، طلباً للستر على أهله".⁴

الطبقة المترفة تميل إلى إعطاء الأولوية للمظاهر الاجتماعية والصورة الخارجية، بينما غالباً ما تُهمَل جوهر الأخلاق والعدالة. ويفضلون الحفاظ على سمعة العائلة أو المكانة الوظيفية دون الالتزام بالحق

¹ (سورة يوسف: 29)

² (في ظلال القرآن (1083/4)

³ (التفسير الوسيط (347/7)

⁴ (تفسير السعدي (396)

والعدل. "شأن المترفين في كل زمان ومكان، الذين يهتمهم ظواهر الأمور دون حقائقها، وأشكالها دون جواهرها".¹

هذه الظاهرة لم تكن محصورة في الماضي فقط، بل يمكن ملاحظة هذا النمط السلوكي في المجتمعات الحديثة، وخاصة في أصحاب السلطة. فالأشخاص ذوو النفوذ يميلون إلى حماية أفراد عائلتهم وسمعتهم الاجتماعية حتى عند وقوع الأخطاء، ويقومون بإخفاء تلك الأخطاء، مفضلين الحفاظ على الشرف والصورة الاجتماعية على الحق والعدل. "وهذا يبين لنا سياسة بعض أهل الجاه مع بيوتهم، وهو أمر نشاهده في عصرنا أيضاً، فنجد الرجل ذا الجاه وهو يتأبى أن يرى أهله في خطيئة، ويتأبى أكثر من ذلك فيرفض أن يرى الغير أهله في مثل هذه القضية، ويحاول كتمان الأمر في نفسه؛ فيكفيه ما حدث له من مهانة الموقف، ولا يريد أن يشمت به خصومه أو أعداؤه".²

أخلاق الطبقة الأرستقراطية والمترفة، وخصوصاً سلوك أصحاب النفوذ والحاشية في كل زمان وجاهلية فهم يميلون إلى:

- التكاثر والتحامى فيما بينهم وحماية مصالحهم الدنيوية، حتى على حساب الحق والعدل.
- إعطاء الأولوية للمظاهر والصورة الاجتماعية على جوهر الأخلاق والعدالة، مع الحرص على سمعة العائلة والمكانة الاجتماعية.

القصص الأرستقراطية في القرآن الكريم

¹ (مصدر السابقة (396)

² تفسير الشعراوي (6925/11)

● قصة فرعون – الأرستقراطية السياسية

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾¹

"وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما ، والانقياد لأمرهما ، لكونهما بشرين كما أنكرت الأمم

الماضية بعثة الرسل من البشر ، تشابهت قلوبهم".²

يبين هذا التفسير موقف الاستكبار الذي اتخذته فرعون وقومه تجاه رسالة نبيي الله موسى وهارون عليهما السلام، إذ لم يكن رفضهم ناتجاً عن نقص في الدليل أو ضعف في الحجة، بل كان مرده الكبر الاجتماعي والعجب بالمكانة والجاه.

"وكانت صفة فرعون وقومه أمرين: أحدهما-الاستكبار والأنفة، والثاني- أنهم كانوا قوما عالين، أي رفيعي الحال في أمور الدنيا أو في الكثرة والقوة، أي على جانب من الحضارة والعلم، والعز والسلطان، بدليل الواقع التاريخي".³ إن هذه الصفات هي التي جعلتهم يستكبرون ويرفضون الحق.

لقد كان فرعون وأشراف قومه من الطبقة الأرستقراطية السياسية التي رأت أن إرسال رسول من بشر عادي أمر لا يليق بمقامهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾⁴

كان فرعون مثلاً للطغيان المدعوم من الطبقة الحاكمة والأرستقراطية في مصر، حيث خضعت له الأمة، وسوّغ له خاصته كل ظلم واستبداد، حتى صار اسمه رمزاً للعلوّ ، وابتعد قومه عن العقل والمنطق

¹ (سورة المؤمنون: 46)

² (تفسير ابن كثير (414/5))

³ (التفسير المنير: 51/18)

⁴ (سورة المؤمنون: 47)

والحق بسبب هيمنة الجاه والسلطان. " فرعون في عصره كان طاغية الدنيا، وكان المصريون قد استسلموا له، وكان ملؤه حكام مصر يحكمون بطغيانه، ويسولون له كل ما يفعل، ويسوغون له ما به يعلو ويسرف، وباسمه عتوا عن أمر العقل والمنطق والحق".¹

كان قوم فرعون يتميزون بالتكبر والتعالي على الناس بسبب سلطتهم ونفوذهم، لا لفضل حقيقي في ذواتهم، بل بفعل النظام الذي منحهم مكانة عليا. وقد قادهم هذا الغرور إلى الغلو والطغيان، فأعرضوا عن الحق ورفضوا الإصغاء إلى دعوة. "وكانوا قوما عالين، أي مرتفعين عن الناس، لا في ذات أنفسهم، بل بحكم واقع الحكم والأمور التي تسير سيرا مطردا، وهم يعلون في أنفسهم ادعاء وغلوا وطغيانا لا يستمعون إلى الحق، ولا يصغون إلى داعية، يغالون في رده".²

تصور قصة فرعون وقومه نموذجاً واقعياً للطبقة الارستقراطية السياسية التي انغمست في الكبر الاجتماعي وغرور السلطة، حيث انهم لم يرفضوا الحق لضعف في الدليل او نقص في الحجة، وانما لانهم رأوا انفسهم ارفع مقاما من الرسل الذين بعثوا من بين البشر العاديين.

لقد جعلهم المنصب والمال والرفاه يعيشون حالة «قوما عالين»؛ أي قوما يستعلون على غيرهم، مع ان هذا العلو لا يقوم على حقيقة ذاتية، بل على اعتبارات دنيوية زائلة. وكان فرعون مثالا صارخا للطغيان المدعوم من الطبقة الحاكمة والاشراف، حيث احاط به المقربون والمستشارون الذين يزينون له افعاله ويبررون طغيانه، حتى اصبحت السلطة في عصره اداة لتسويق الضلال وتعزيز الظلم.

¹زهرة التفاسير: 5078/10

² مصدر السابقة: 5078/10

● قصة قارون - الأرستقراطية الاقتصادية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَعَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ¹

إنها قصة قارون الذي كان من قوم موسى عليه السلام وقد اتاه الله مالا كثيرا ولكن هذا المال جعله متكبرا متجبرا وظالما لقومه. "لقد كان قارون من قوم موسى ، فأتاه الله مالا كثيرا ، يصور كثرته بأنه كنوز - والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول - وبأن مفاتيح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوىاء الرجال . . من أجل هذا بغى قارون على قومه".²

كان قارون من بني إسرائيل الذين أنعم الله عليهم وفضلهم على غيرهم، وكان ينبغي أن تكون نعم الله عليهم باعثا على الاستقامة والشكر، غير أن قارون طغى وبغى على قومه بما أُوتِيَ من أموال كثيرة جعلته متكبرا ومغرورا. " إن قارون من بني إسرائيل ، الذين فُضِّلوا على العالمين ، وفاقوهم في زمانهم ، وامتن الله عليهم بما امتن به ، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة ، ولكن قارون هذا ، بغى على قومه وطغى ، بما أُوتيه من الأموال العظيمة المطغية".³

لم يذكر القرآن نوع الظلم الذي ارتكبه قارون، وهذا يشير إلى أن ظلمه شمل جميع الصور والأشكال، من الأقوال والأفعال . " فتطاول عليهم ، وتجاوز الحدود في ظلمهم وفي الاعتداء

¹ سورة القصص: 76

² في ظلال القرآن (5/2710)

³ تفسير السعدي: 263

عليهم . ولم يحدد القرآن كيفية بغيه أو الأشياء التي بغي عليهم فيها ، للإشارة إلى أن بغيه قد شمل كل ما من شأنه أن يسمى بغيًا من أقوال أو أفعال".¹

تمثل الامثلة الثلاثة السابقة صورة للبشر الذين منحهم الله سلطانا وثراء عظيمًا، ولكنهم لم يحسنوا استخدام هذه النعم كما ينبغي. وهذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على العصور الماضية، بل ما زلنا نشهدها في عصرنا الحاضر، حيث يستخدم بعض افراد الطبقة الارستقراطية سلطتهم من اجل تحقيق مصالحهم الشخصية، واثراء انفسهم، وظلم الضعفاء، واخفاء الحقائق، وممارسة اشكال مختلفة من الجور والطغيان. وان مثل هذه السلوكيات تعد خطيرة للغاية في الحياة الاجتماعية، لانها تؤدي الى فساد المجتمع وانتشار الظلم وغياب العدالة.

¹ التفسير الوسيط: 436/10

طلب الولاية

قال سيد قطب رحمه الله: "إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أول بها رؤيا الملك ، خيرا مما ينهض بها أحد في البلاد ؛ وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت وبلادا من الخراب ، ومجتمعاً من الفتنة - فتنة الجوع - فكان قويا في إدراكه لحاجة الموقف إلى خبرته وكفايته وأمانته ، قوته في الاحتفاظ بكرامته وإبائه".¹

يبين هذا النص أن يوسف عليه السلام لم يطلب الولاية طمعاً في السلطة أو رغبةً في الجاه، وإنما طلبها إيماناً بقدرته على أداء الواجب وتحمل المسؤولية في زمن الشدة. وقد أراد بذلك تحقيق المصلحة العامة وإنقاذ الناس من الجوع والهلاك. وكان واثقاً من أن خبرته وأمانته هما ما تحتاجه الدولة في تلك الأزمة. وفي الوقت نفسه، حافظ على كرامته وعزته، فلم يتذلل في طلب المنصب، بل طلبه عن وعي وثقة وإخلاص لله.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾²

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله " والأزمة القادمة وسنوارحاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها . وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروع الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سني

¹ (في ظلال القرآن: 4/2005

² (سورة يوسف: 55

الجدب على السواء . ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها ، وأن وراءها خيرا كبيرا لشعب مصر وللشعوب المجاورة".¹

ظاهر ما يستفاد من كلام سيد قطب رحمه الله: إن الأزمة المقبلة وسنوات الرخاء التي تسبقها كانت تحتاج إلى إدارة دقيقة، ولذلك رأى يوسف عليه السلام أنه أقدر الناس على تحمل هذه المسؤولية لما وهبه الله من العلم والتدبير وحسن التصرف.

فطلب التولية لا طمعاً في السلطة، بل رغبةً في إنقاذ الناس من الجوع والخراب، وتحقيق الخير لشعب مصر وللاُمَم من حولها.

طلب يوسف عليه السلام الولاية على خزائن الأرض ليقوم بإدارتها بحكمة، ويحقق التوازن الاقتصادي بين سنوات الخصب وسنوات القحط، من أجل إنقاذ البلاد من المجاعة وفقاً لما دلّت عليه رؤياه. "ولّني عليها، لأشرف عليها، وأتصرّف فيها حتى أجعل توازنا اقتصاديا بين سنوات الخصب وسني القحط، فأُنقذ البلاد من المجاعة التي تهدد أهلها، بحسب الرؤيا التي رأيت".²

لم تكن طلب يوسف للسلطة رغبةً في التملّك أو السعي إلى الجاه، بل كان بقصد الوقاية من انهيار المجتمع وإنقاذ حياة الناس من الهلاك. "ولّني خزائن أرضك كلها، واجعلني مشرفا عليها، لأنقذ البلاد من مجاعة مقبلة عليها تهلك الحرث والنسل".³

﴿حفيظ عليم﴾

¹ في ظلال القرآن: 4/2005

² (التفسير المنير: 9/13

³ (تفسير المراغي 6/13

"ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض .
 . إنما كان حصيفا في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة
 الضخمة في أشد أوقات الأزمة ؛ وليكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره
 طوال سبع سنوات ، لا زرع فيها ولا ضرع . فليس هذا غنما يطلبه يوسف لنفسه . فإن التكفل
 بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة . إنما هي تبعة يهرب منها الرجال
 ، لأنها قد تكلفهم رؤوسهم ، والجوع كافر ، وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر
 والجنون".¹

المراد من كلام سيد قطب رحمه الله أن يوسف عليه السلام لم يطلب التولية لنفع نفسه أو للسلطة،
 بل كان حكيماً في اختيار الوقت المناسب لتحمل واجب ثقيل ومهمة عظيمة خلال أشد فترات
 الأزمة. كان الهدف أن يكون مسؤولاً عن إطعام شعب مصر والشعوب المجاورة طوال سبع سنوات
 من القحط، وهي مسؤولية ضخمة وخطيرة غالباً ما يهرب منها الآخرون. هذه المهمة ليست غنيمة
 أو مكسباً شخصياً، بل عبء ومسؤولية كبيرة تتطلب علماً، خبرة، وأمانة، لأن الجوع يمكن أن يفقد
 الناس صوابهم ويؤدي إلى الفوضى.

"أي خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وفي هذا إيماء لأهمية التخطيط والتنظيم المالي وإقامة
 التوازن بين الموارد المالية والنفقات. فأجابه الملك إلى طلبه، وجعله وزير المال والخزانة، وأطلق له سلطة

¹ (في ظلال القرآن: 4/2005

التّصرف في شؤون الحكم، لما لمس لديه من رجاحة عقل، وخبرة وضبط وسياسة، وحسن تصرّف،
وقدرة على إحكام النّظام".¹

معنى قوله تعالى ﴿حَفِظَ عَلِيمٌ﴾ عند الإمام المراغي هو: "إني شديد الحفظ لما يخزن فيها، فلا يضيع
منه شيء، أو يوضع في غير موضعه، عليم بوجه تصرّفه وحسن الانتفاع به".² يدل على أن يوسف
أمينٌ في حفظ الأموال، خبيرٌ في تدبيرها وتصرّفها بما يحقق النفع العام

في تلك الظروف الاستثنائية، جاز ليوسف عليه السلام أن يركي نفسه، أي أن يذكر كفاءته وخبرته،
على سبيل الضرورة، ليحظى بثقة الملك ويسند إليه تدبير شؤون المال، فيتمكن بذلك من إنقاذ
الشعب من الأزمة الاقتصادية التي كانت تهدده. "وقد طلب إدارة الأمور المالية، لأن سياسة الملك
وتنمية العمران وإقامة العدل فيه تتوقف عليها، وقد كان مضطرا إلى تركية نفسه في ذلك حتى يثق به
الملك ويركن إليه في تولية هذه المهام".³

يجوز طلب الولاية وإظهار الاستعداد لها لكسب التعريف والتأهيل لمن هو غير معروف،. "يجوز طلب
الولاية وإظهار كون الشّخص مستعدّا لها، إذا كان من أجل التعريف للمغمور غير المعروف، وكان
الشّخص واثقا من نفسه ودينه وعلمه، وأهلا لما يطلب".⁴

¹ (التفسير المنير: 9/13)

² (تفسير المراغي 6/13)

³ (مصدر السابقة 6/13)

⁴ (التفسير المنير (11/13))

كما يرى الامام المراغي ان انهيار كثير من الممالك انما كان نتيجة لعدم الانضباط والاهمال في ادارة الشؤون المالية للدولة. "وما أضع كثيرا من الممالك الشرقية في القرون الأخيرة إلا الجهل والتقصير في النظام المالي وتدبير الثروة وحفظها في الدولة والأمة".¹

استنادًا إلى تفسير سيد قطب رحمه الله ، يتضح أن طلب السلطة يكون جائزًا ومبررًا عندما:

- لم يطلب التولية بدافع الطموح الشخصي
 - كانت التولية المطلوبة من أجل المصلحة العامة وإنقاذ الناس من المجاعة
 - يمتلك المؤهلات اللازمة، في هذه الحالة ، وهي العلم والخبرة والحكمة والقدرة التقنية للتعامل للتعامل مع كلتا الحالتين (الخصوبة والمجاعة).
 - حافظ على كرامته وشرفه عند تقديم الطلب
- ذكر سيد قطب رحمه الله الشبهات التي أثرت حول طلب التولية ، وقدم الردود الوافية على كل منها:

١ - طلب التولية، وهو محظور كما ذكر في الحديث عن أبي موسى قال: « دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمي ، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سألته، ولا أحدا حرص عليه». ²

¹ (التفسير المنير (11/13)

² (أخرج مسلم في كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم الحديث: 1733 (6/6)

"ولا نريد أن نجيب بأن هذه القواعد إنما تقررت في النظام الإسلامي الذي تقرر على عهد محمد رسول الله وأنها لم تكن مقررة على أيام يوسف - عليه السلام - والمسائل التنظيمية في هذا الدين ليست موحدة كأصول العقيدة ، الثابتة في كل رسالة وعلى يد كل رسول" ¹.

بين سيد قطب أن قواعد تنظيم الوظائف والسلطة كانت ثابتة عبر جميع الرسل، بل إن هذه القواعد تقررت في النظام الإسلامي في عهد محمد - صلى الله عليه وسلم-، ولم تكن معمولاً بها في أيام يوسف عليه السلام. فالمسائل التنظيمية في الدين ليست موحدة كالأسس العقائدية التي تثبت في كل رسالة وعلى يد كل رسول، بل تتغير بحسب الحاجة والزمان.

الفقه الإسلامي لم ينشأ في فراغ، بل وُلد من حركة المجتمع المسلم وتطوره، فالمجتمع هو الذي أنشأ الفقه لا العكس. "إن الفقه الإسلامي لم ينشأ في فراغ، كما أنه لا يعيش ولا يفهم في فراغ! . . . لقد نشأ الفقه الإسلامي في مجتمع مسلم، ونشأ من خلال حركة هذا المجتمع في مواجهة حاجات الحياة الإسلامية الواقعية. كذلك لم يكن الفقه الإسلامي هو الذي أنشأ المجتمع المسلم؛ إنما كان المجتمع المسلم بحركته الواقعية لمواجهة حاجات الحياة الإسلامية هو الذي أنشأ الفقه الإسلامي" ².

الأحكام الفقهية ليست مجرد قواعد موجودة في الكتب أو النصوص؛ بل هي نتاج التاريخ والخبرة وحركة المجتمع المسلم. ولفهم الصحيح وتطبيقها بدقة، لا بد من النظر إلى كيفية نشوء هذه الأحكام،

¹ في ظلال القرآن: 4/2006

² مصدر السابقة: 4/2006

وما هي المشكلات التي واجهها المجتمع في ذلك الوقت، وكيف أصبحت هذه الأحكام جزءاً من الحلول لتلبية احتياجات المجتمع.

يستعمل سيد قطب هذا المثال ليظهر أن كل حكم فقهي، كالنهي عن طلب المناصب، لا يفهم على أنه نص قائم بذاته، بل نشأ في سياق المجتمع الإسلامي الحركي. ومن ثم فإن تطبيق هذا الحكم ينبغي أن يراعى فيه الواقع الاجتماعي والأخلاقي الذي يطبق فيه.

٢ - تركيبة النفس ، وهي محظورة بقوله تعالى: فلا تركوا أنفسكم¹

حيث قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: لقد نشأ هذا الحكم - كما نزلت تلك النصوص - في مجتمع مسلم ؛ ليطبق في هذا المجتمع ؛ وليعيش في هذا الوسط ؛ وليلبى حاجة ذلك المجتمع . وفق نشأته التاريخية ، ووفق تركيبه العضوي ، ووفق واقعه الذاتي . فهو من ثم حكم إسلامي جاء ليطبق في مجتمع إسلامي . . وقد نشأ في وسط واقعي ولم ينشأ في فراغ مثالي . وهو من ثم لا يطبق ولا يصلح ولا ينشأ آثاره الصحيحة إلا إذا طبق في مجتمع إسلامي . . إسلامي في نشأته ، وفي تركيبه العضوي ، وفي التزامه بشريعة الإسلام كاملة . . وكل مجتمع لا تتوافر فيه هذه المقومات كلها يعتبر " فراغاً " بالقياس إلى ذلك الحكم ، لا يملك أن يعيش فيه ، ولا يصلح له ، ولا يصلحه كذلك.²

بحسب رأي سيد قطب إن هذا الحكم الفقهي وُضع ليُطبَّق في مجتمع إسلامي حقيقي، نشأ على أساس العقيدة والشريعة، ولا يمكن أن يؤدي آثاره الصحيحة إلا في بيئة إسلامية ملتزمة بشريعة الله.

¹ سورة النجم: 32

² في ظلال القرآن: 4/2007

أما إذا فُصل عن سياقه الطبيعي وطُبّق في مجتمعٍ غير إسلامي، فإنه يفقد طبيعته ولا يصلح لذلك المجتمع، كما لا يصلحه المجتمع كذلك، وفي ذلك الوقت، كان يوسف عليه السلام يعيش في بيئة غير إسلامية

"ونريد أن نفهم لماذا لا يركي الناس أنفسهم في المجتمع المسلم ، ولا يرشحون أنفسهم للوظائف ، ولا يقومون لأشخاصهم بدعاية ما كي يختاروا لمجلس الشوري أو للإمامة أو للإمامة . . إن الناس في المجتمع المسلم لا يحتاجون لشيء من هذا لإبراز أفضليتهم وأحقيتهم . كما أن المناصب والوظائف في هذا المجتمع تكليف ثقيل لا يغري أحدا بالتزاحم عليه - اللهم إلا ابتغاء الأجر بالتهوض بالواجب وللخدمة الشاقة ابتغاء رضوان الله تعالى - ومن ثم لا يسأل المناصب والوظائف إلا المتهافون عليها حاجة في نفوسهم . وهؤلاء يجب أن يمنعوها"¹.

في المجتمع الاسلامي الاصيل، لا حاجة للفرد ان يروج لنفسه او يرشحها لاي منصب من المناصب، وذلك للأسباب الآتية:

- ان المجتمع الاسلامي يعرف قيمة كل فرد من خلال جهاده ومساهمته في الحياة الجماعية، لا عن طريق الدعاية او تلميع الذات.

- ان المنصب في التصور الاسلامي ليس شرفا دنيويا، بل هو امانة ومسؤولية ثقيلة، ولذلك فان المؤمن الصادق لا يطلبه رغبة في الجاه او السلطان، وانما ابتغاء لرضوان الله تعالى واداء للواجب.

¹(مصدر السابقة: 2007/4)

-ان من يسأل المناصب ويطلبها انما يفعل ذلك غالبا بدافع من الهوى او المصلحة الشخصية، ولهذا يرى سيد قطب ان هؤلاء ينبغي ان يمنعوا من توليها.

يرى سيد قطب ان النظام الاجتماعي الاسلامي السليم لا يقوم على التنافس في المناصب او التزاحم على القيادة، بل ان القيادة في المجتمع الاسلامي تنشأ طبيعيا من خلال اعتراف الجماعة باهل الاخلاص والتضحية في سبيل الله، دون دعاية او تزكية للنفس.

"والمراد بالآية تزكية النفس حال العلم بكونها غير متزكية، وكل من المحذورين لا ينطبق على النبي يوسف عليه السلام وأمثاله الأنبياء، لأنه يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان، ولأن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول، وعلم يوسف أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الحقوق إلى الفقراء، فرأى أن قيامه بهذه الأمور فرض متعين عليه، وقال يوسف عن نفسه: {إِنِّي خَفِيفٌ عَلَيْهِمْ} عند من لا يعرفه، فأراد تعريف نفسه".¹

ذكر وهبة الزحيلي ان النهي عن تزكية النفس انما يكون لمن يعلم من نفسه انه غير متزك، اما يوسف عليه السلام والانبياء من بعده فهم منزهون عن ذلك، وتقدير يوسف لطلب الولاية انما كان لدفع مفسدة اعظم وتحقيق مصلحة عامة.

⁽¹⁾التفسير المنير (11/13)

الفصل الثالث: مقارنة بين المفسرين في

الجوانب التربوية في سورة يوسف

الفصل الثالث: مقارنة بين المفسرين في جوانب التربوية في سورة يوسف

المبحث الأول: المقارنة المنهج بين المفسرين في جوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالمأثور

المراد بالمأثور:

مهناه اللغوي: من "الأثر" ويطلق على "بقية الشيء"، كما يقول: "خرجت في إثره وفي أثره أي بعده"، والجمع "آثار وأثور" وهو أيضاً مصدر قولك: "أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك"¹ واصطلاحاً: هو "ما جاء في القرآن أو سنة أو كلام صحابة أو التابعين بياناً لمراد الله تعالى من كتابه"².

وقد اهتمم الإمام ألقاسمي و سيد قطب بالمأثور في تفسيرهما، وقد ظهر هذا واضحاً في تفسيرهما لسورة يوسف، وسيظهر هذا جلياً فيما يلي:

- تفسير القرآن بالقرآن
- تفسير القرآن بالسنة
- تفسير القرآن بأقوال التابعين

⁽¹⁾ انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة [أثر] (5/4)

⁽²⁾ (مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة (12/2)

تفسير القرآن بالقرآن

أمثلة الإمام القاسمي:

١- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾¹

وقوله: (رأيتهم) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها، فلا تكرير: أو تأكيد للأولى تطرية لطول

العهد، كما في قوله: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ

﴾²، وإنما أجريت مجرى العقلاء في ضميرهم وجمع صفتهم جمعا سالما، لوصفها بوصفهم، وهو

السجود.³

في تفسيره لقوله تعالى: "رَأَيْتُهُمْ" في قصة يوسف عليه السلام، يظهر أنه لا يعدُّ هذه اللفظة تكرارًا

لما قبلها، بل يراها جملةً استئنافية تُستأنف لبيان الهيئة التي رآهم عليها في رؤياه. وهذا يدل على أنَّ

إعادة لفظ الرؤية لم تأتِ لمجرد التكرار اللفظي، وإنما وردت لتأكيد المعنى بعد انقطاع السياق؛ مما يمنح

الدلالة قوةً ويُعيد إحياءها من جديد. وقد ربط القاسمي هذا الأسلوب بما ورد في آية أخرى من سورة

المؤمنون (الآية: 35)، باعتبارها مثالاً موازيًا للأسلوب القرآني في تقوية المعنى بعد فاصل في السياق.

ومن خلال هذا الربط بين الآيات يظهر بوضوح أنَّ القاسمي يعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن؛

¹ (سورة يوسف: 4)

² (سورة المؤمنون: 35)

³ (تفسير المحاسن التأويل (146/6))

حيث يفسر الآية بآية أخرى ويجعل القرآن يشرح بعضه بعضًا. ومن ثمّ يتبيّن أنّ فهمه للنص لا يقوم مستقلاً، بل يستند إلى نصوص قرآنية أخرى لتوضيح المراد واستجلاء الدلالة بشكل أكثر عمقاً واتساقاً

٢- في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾¹

في تفسير القرآن بالقرآن، يفسر الإمام القاسمي هذه الآية بالرجوع إلى الآية 25 لبيان العلاقة بين الدافع الداخلي والسلوك الظاهر. فتهمّة يوسف في الآية 25 تُفهم من خلال الدافع الداخلي في الآية 53، مما يجعل معنى الحادثة متكاملًا. "وما أبرئ نفسي مع ذلك، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته. أو تعني: أني ما أبرئ نفسي من الخيانة، فإنني قد خنته حين فرقه وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسجن؟" (2).

وتؤكد هذه المقاربة على المبدأ القائل بأن القرآن يفسر نفسه من خلال الآيات المرتبطة موضوعيًا وسرديًا

أمثلة سيد قطب:

١- في قوله تعالى: ﴿عَازِبَاتٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾³

¹ سورة يوسف: 53

² انظر محاسن تاويل (186/6)

³ يوسف: 39

في هذه الآية يبين سيد قطب أنّ تعدّد الآلهة لا يجلب للإنسان إلا التفرّق والتمزّق، وأنّ الإله الحقّ هو الذي يليق به أن يتولّى تدبير شؤون حياة الإنسان كلّها. والله الواحد متنزّه عن كلّ حاجة، فهو الغنيّ الحميد، بينما الإنسان هو المحتاج إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽¹⁾⁽²⁾. أمّا العبادات التي شرّعت للناس فإنما شرّعت لمصلحتهم ولتحقيق خيرهم هم أنفسهم.

اعتمد سيد قطب في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن لتعزيز فهم معاني آيات القرآن وبيان مقاصدها بدقة

٢- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾³

في تفسيره، أشار سيد قطب إلى أمرين محرّمين في الإسلام: طلب التولية و تركية النفس ، وهو ما نهى الله عنه في قوله تعالى: " : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾⁴. ويشرح قطب أن هذا الحكم كان معمولاً به في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم يُطبق بعد في زمن يوسف عليه السلام. وتشير هذه الآية إلى الأمور التنظيمية التي قد تتغير طبيعتها، بخلاف مسائل العقيدة التي هي ثابتة وتطبق على جميع الرسالات. ويؤكد قطب أن مبادئ الفقه والقوانين الإسلامية يجب أن تكون ديناميكية، قادرة على التكيف مع سياق واحتياجات الأمة. " ولا نريد أن نجيب بأن هذه القواعد إنما تقررت

¹ (سورة فاطر: 15)

² (انظر: في طلال القرآن (1988/4))

³ (سورة يوسف: 55)

⁴ (سورة النجم: 32)

في النظام الإسلامي الذي تقرر على عهد محمد رسول الله ، وأنها لم تكن مقررة على أيام يوسف - عليه السلام - والمسائل التنظيمية في هذا الدين ليست موحدة كأصول العقيدة ، الثابتة في كل رسالة وعلى يد كل رسول".⁽¹⁾ ويستشهد سيد قطب بآية النجم: 53 ليؤكد أن يوسف لم ينتهك المبدأ العام لتحريم تزكية النفس.

المقارنة:

يستخدم الإمام القاسمي تفسير القرآن بالقرآن من أجل: تعزيز فهم المعاني، وتقديم أمثلة موازية من أسلوب القرآن، وتأكيد العلاقة بين أحداث قصة يوسف عليه السلام، بحيث يمكن فهم القصة بشكل كامل.

أما سيد قطب، فيفسر القرآن بالقرآن لتعزيز فهم معاني آيات القرآن وبيان مقاصدها بدقة)، وكذلك لتأكيد المبادئ العامة دون مخالفة السياق التاريخي.

¹ (في ظلال القرآن (2005/4)

تفسير القرآن بالسنة

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾¹

يشرح الإمام القاسمي أن النبي يوسف عليه السلام نُهي عن إخبار إخوته بحلمه، لأنهم قد يخططون للمكائد أو الأذى لإهلاكه. ثم استند الإمام القاسمي إلى حديث أبي هريرة ليبين العلاقة بين هذه الآية والحديث، وهو ما يتعلق بالحذر في نقل العلم أو المعلومات الحساسة جداً، وذلك لغرض السلامة والحفظ. "وقد صح عن أبي هريرة: أنه قال في ذلك العصر الأول: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، أما أحدهما فبثثته لكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم".²

وهذا يُعد أساساً لمبدأ التقية، أي الحذر في إظهار الحق، سواء كان ذلك معلومات شخصية (مثل الحلم) أو علماً دينياً. يستعمل الإمام القاسمي الحديث كدليل وكمثال عملي يعزز معنى آية سورة يوسف، خصوصاً فيما يتعلق بالحذر في إظهار الحق

أمثلة سيد قطب

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

¹ (سورة يوسف: 5)

² (تفسير محاسن التأويل (148/6))

يذكر سيد قطب أن هناك أمرين محرّمين في الإسلام، هما طلب التولية كما ورد في حديث شريف، " إنا والله لا نولي هذا العمل أحدا" [أو حرص عليه] [متفق عليه]⁽¹⁾⁽²⁾ وتركية النفس.

يستخدم قطب هذا الحديث لتعزيز فهم السياق الاجتماعي التاريخي للأحكام الشرعية، موضحاً أن هذه الأحكام الرسمية كانت سارية في عهد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-. أما يوسف، فقد عاش في زمن مختلف، حيث كان طلبه أن يكون مسؤولاً عن خزائن الأرض تصرفاً أميناً واستراتيجياً، وليس طموحاً شخصياً. ومن خلال الاستشهاد بالحديث، يؤكد قطب على الاختلاف في السياق الاجتماعي-التاريخي، ليفهم القارئ أن تصرف يوسف لم يخالف المبادئ الأخلاقية الإسلامية.

رغم أنه في جوانب تربوي حول سورة يوسف وُجد حديث واحد فقط اقتبسه سيد قطب، إلا أنه وفقاً لكتاب تخرّيج أحاديث وآثار في كتاب في ظلال القرآن، فقد جمع المؤلف ثمانية أحاديث اقتبسها سيد قطب في تفسيره لسورة يوسف.³ وهذا يبيّن أن تفسير سيد قطب يُعدّ من التفسير بالمأثور

المقارنة:

⁽¹⁾ انظر: في ظلال القرآن (4/2005)

⁽²⁾ أخرج البيهقي في سننه في كتاب آداب القاضي باب كراهية طلب الإمارة والقضاء وما يكره من الحرص عليهما والتسرع إليهما، وأنه إذا ابتلي بهما عن غير مسألة كان الأمر أسهل، وإلى النجاة أقرب، رقم الحديث: 20248 (171/10)

⁽³⁾ تخرّيج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لعلي بن عبد القادر السقّاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1416 هـ - 1995 م (566/290)

يستخدم الإمام القاسمي التفسير لتوضيح مبدأ الحذر في نقل المعلومات، بينما يستخدم سيد قطب التفسير لتبيين السياق الاجتماعي والتاريخي للأحكام والأفعال. وهكذا يوضح كلا المفسرين كيف يمكن للتفسير أن يكون وسيلة لتفسير وتعزيز معنى القرآن.

ثم ذكر كلٌّ من الإمام القاسمي وسيد قطب درجة الحديث المستخدم، مثل: «وقد صح» أو «متفق عليه».

والفرق بينهما أن الإمام القاسمي ذكر سنده بالتفصيل، بينما لم يذكر سيد قطب السند. ومع ذلك، نسب سيد قطب الحديث مباشرة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كما في عبارة: «ومن قول رسول الله»، بينما لم ينسب الإمام القاسمي الحديث مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

تفسير القرآن بأقوال التابعين

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَايِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾¹

يستعمل القاسمي في تفسيره للآية مصادر مأخوذة من أقوال التابعين، كما يظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى في سورة يوسف الآية ٥٥. فقد نقل قول مجاهد - وهو من كبار التابعين وتلميذ ابن عباس - الذي ذكر أنّ ملك مصر في ذلك العصر كان قد أسلم. " روى مجاهد أنه كان قد أسلم. وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائز".²

كما أورد رأي قتادة، وهو من التابعين المشهورين، في جواز تولي الوظائف تحت سلطة حاكم معين. " وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائز".³ وهذا يدلّ على أنّ القاسمي يعتمد في بيانه على تراث السلف من الصحابة والتابعين.

وفي شرحه للمسائل الفقهية، مثل جواز تولي المناصب تحت حاكم كافر أو فاسق، يرجع القاسمي إلى ممارسات السلف وآرائهم، مما يؤكد منهجه في الاستناد إلى أقوال اتابعين.

أمثلة سيد قطب

¹ (سورة يوسف: 55)

² (تفسير القاسمي محاسن التأويل (191/6)

³ (مصدر السابقة

لم يجعل سيد قطب أقوال التابعين مصدرا أساسيا في تفسيره للجوانب التربوية في سورة يوسف. وذلك لأن المنهج التفسيري الذي اعتمده يركز على المقاربة الأدبية الاجتماعية وتفسير القرآن بالقرآن، مما جعل تركيزه منصبا على استنباط القيم التربوية من بنية القصة، لا على أقوال السلف كما هو الحال في التفسير بالمأثور.

المقارنة:

يؤكد الإمام القاسمي على التفسير بالمأثور، أي التفسير الذي يعتمد على أقوال الصحابة والتابعين. فعلى سبيل المثال، عند تفسيره سورة يوسف، الآية 55، نقل القاسمي قول مجاهد، وهو من التابعين وتلميذ ابن عباس. كما أشار إلى قتادة، أحد التابعين المشهورين. ويظهر هذا النهج أن القاسمي يقدر تقليد السلف وتراثهم، ويجعل من أقوال وممارسات التابعين أساسا في بيان المسائل الفقهية وشرعية الأفعال.

وبالمقابل، سيد قطب لم يجعل أقوال التابعين مصدرا أساسيا في تفسيره. ففي تفسيره لسورة يوسف، ركّز قطب أكثر على المنهج الأدبي الاجتماعي والتفسير بالرأي

المطلب الثاني: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالرأي

المراد بالرأي

"هنا الاجتهاد فإن كان الاجتهاد موفقاً أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود وإلا فمذموم"⁽¹⁾.

يمثل التفسير بالرأي عند الإمام القاسمي وسيد قطب جانباً مهماً من منهجهما في تفسير القرآن الكريم، إذ جمعا فيه بين النقل والعقل في فهم النص القرآني.

١- الاعتماد على الرأي

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾²

يُظهر تفسير القاسمي لهذه الآية ملامح واضحة من منهج التفسير بالرأي. فقد فسّر مصطلح "عُصْبَةٌ" تفسيراً لغوياً دقيقاً، وربطه بالحالة النفسية لإخوة يوسف، بوصفهم جماعة قوية تشعر أنها أحقُّ بحبة أبيهم. "أي والحال أنا جماعة أقوياء، أحق بالحبة من صغيرين، لا كفاية فيهما".³

¹ (مناهل العرفان في علوم القرآن لالترقياني (49/2)

² (سورة يوسف: 8)

³ (انظر محاسن تأويل (154/6)

كما بيّن موقفَ يعقوب عليه السلام من خلال استدلال عقلي، رافضاً المعنى الحرفي لكلمة "ضلال"، ومفسراً إياها بأنها مجردُ تصوّرٍ خاطئٍ لدى أبنائه. وإضافة إلى ذلك، ربط القاسمي بين محبة يعقوب ليوسف وبنيامين وبين ما رأى فيهما من أمارات التميّز، وكذلك بالواقع المألوف في طبيعة البشر، وهو ميل الوالدين إلى الابن الأصغر. وبذلك يتضح أن تفسير القاسمي يقوم على التفكير والتأمل في السياق، واستقراء الواقع الإنساني لفهم المراد من النص القرآني

أمثلة سيد قطب

١ - تفسير سيد قطب لهذه الآية (8) يُظهر بوضوح الطابع المميز للتفسير بالرأي. وقد تناول شعور الإخوة بالغيرة نتيجة إحساسهم بالظلم، وشرح في الوقت نفسه معنى "العصبة" من الناحية اللغوية على أنها "مجموعة من البالغين الأقوياء القادرين على الدفع والمنفعة، مما يوضح سبب شعورهم بالحسد تجاه الطفلين الأصغر. ويؤكد هذا التحليل أن مصطلح "العصبة" لا يشير فقط إلى العدد أو المجموعة، بل يعكس القوة والتأثير الاجتماعي لهم، مما يجعل الغيرة أكثر وضوحاً ومنطقية. كما شدد قطب على حدة حدس النبي يعقوب في إدراك أن حلم يوسف يحمل دلالة عظيمة.

وذكر أيضاً الإنجيل كتاب العهد القديم لإظهار اختلاف السياق، فيوسف لم يروي حلمه لإخوته، خلافاً لما ورد في رواية الإنجيل، مما يجعل الصراع والحقد ينشآن عبر مسار آخر، وهو الغيرة الناتجة عن محبة الأب. "ترى حدثهم يوسف عن رؤياه كما يقول كتاب "العهد القديم" ؟ إن السياق هنا يفيد

أن لا".¹

¹ (انظر في ظلال القرآن(4/1971)

وقد فسّر قطب تحذير يعقوب بعدم إخبار الحلم كإجراء احترازي ضد الغيرة المحتملة وتدخل الشيطان. وبهذا، جمع قطب بين العقل والتحليل النفسي وفهم الشخصيات والملاحظة الاجتماعية والتحليل اللغوي وسياق السرد لكشف الحكمة الأخلاقية والتربوية في الآية، ليكون تفسيره عقلاً وأخلاقاً وعميقاً، مع تسليط الضوء على الأبعاد النفسية والاجتماعية واللغوية الموجودة في نص الآية.

المقارنة:

كلا التفسيرين، تفسير القاسمي وتفسير سيد قطب، يظهران الطابع المميز للتفسير بالرأي، إذ لا يقتصران على نقل الروايات، بل يستخدمان التحليل العقلي لفهم معنى الآية. وقد جمع كلاهما بين الاستدلال العقلي، والسياق الاجتماعي، وملاحظة الواقع الإنساني. فيما يتعلق بمعنى "العصبة"، شدد القاسمي على معناها اللغوي وربطها بالحالة النفسية لإخوة يوسف بوصفهم جماعة قوية يشعرون بأنهم أحق بمحبة أبيهم، بينما أكد سيد قطب أن العصبة هي مجموعة من البالغين الأقوياء القادرين على الدفع والمنفعة، مشيراً إلى آثارها الاجتماعية والنفسية مثل الغيرة واحتمال نشوء الصراع.

وكلاهما فسّر عبارة "ضلال مبين" على أنها ليست خطأ النبي يعقوب، بل تصور خاطئ لدى الأطفال الذين شعروا بعدم العدالة، مؤكدين على البعد الاجتماعي والنفسي في تفاعلات الأسرة. أما الفروق، فالقاسمي يركز أكثر على التحليل اللغوي والنفسي والعقلي لفهم الكلمات وسياق الأسرة، مع التركيز على سياق الحياة وميل الوالدين نحو الابن الأصغر، بينما يركز سيد قطب على التحليل النفسي والاجتماعي والسرد والأخلاقي، بما في ذلك تأثير الشيطان وذكاء النبي العاطفي، ويستشهد بالإنجيل لتوضيح اختلاف السياق وتقوية التحليل العقلي. ويظهر كلاهما أن هذه الآية تحتوي على

قيمة تربوية عائلية، تتمثل في أهمية الفهم والعدل والحذر في العلاقات بين الوالدين والأبناء، وإدارة العواطف والغيرة داخل الأسرة.

٢- الاعتماد على اللغة العربية

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾¹

- ذكر الإمام القاسمي أن إذ هو ظرف يدل على الزمان. وقد سُمِّي بدلاً لأنه "يحلّ محل" ما يجب ذكره من الكمال في البيان، أو ليحل محل المفعول المحذوف. " والظرف بدل من المفعول قبله بدل اشتغال، أو مفعول محذوف".²

وقد روى يوسف رؤياه لأبيه بجملة مختصرة، إلا أن هذه الجملة كانت كافية لتوضيح المعنى الكامل للرؤيا.

إنّ البيان النحويّ الذي ذكره القاسميّ يقدّم آثاراً مهمّة في تفسيره، إذ يوضّح بنية الآية، ويقوّي دقّة المعنى، ويؤكّد منهجّه في التفسير باللغة، كما يفتح باباً أعمق لفهم الجوانب التربوية في سياق قصة يوسف عليه السلام

⁽¹⁾ سورة يوسف: 4

⁽²⁾ تفسير محاسن التأويل (146/6)

- (يا أبت) أصله يا أبي، فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، وكسرهما لأنه عوض عن حرف يناسبها.¹

يُظهر تحليل الإمام القاسمي أن هذا التغيير لا يقتصر على كونه اختلافاً في القراءة فقط، بل يعكس قواعد نحوية وأسلوبية دقيقة. فالشكل الأصلي «يا أبي» يمثل صياغة الأبوة المباشرة، بينما «يا أبت» جاء بتعديل حرف التاء المؤنث لتحقيق انسجام الإيقاع وجمال اللغة وسلاسة النص القرآني. ويُبرز ذلك اهتمام القاسمي بركة اللغة القرآنية وفهم دلالاتها الدقيقة عند تفسير الآيات.

"وقرئ بفتحها لأنها حركة أصلها، أو لأنه كان (يا أبتا) فحذف الألف، وبقي الفتحة. وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء، من غير اعتبار التعويض".²

تناول القاسمي اختلاف الحركات في الكلمة، فالفتحة تُعد الحركة الأصلية للكلمة، وأحياناً تُقرأ بالضم لاتباع قاعدة الأسماء المؤنثة المنتهية بالتاء. والهدف الأساسي من ذلك هو ضبط النطق وفق قواعد اللغة العربية بدقة، وليس لتغيير المعنى

القاسمي معروفٌ أيضاً بأنه من المفسرين الذين أولوا عنايةً كبيرةً بالقواعد اللغوية في العربية، ولا سيما قواعد النحو، وذلك لأنه كان من أهل اللغة والعلم بها.

¹مصدر السابقة (146/6)

² مصدر السابقة (146/6)

٢- في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ¹

يُيَسِّرُ الإمام القاسمي معنى الآية من خلال المنهج اللغوي، وذلك بتفصيل دلالة الألفاظ وتركيب

الجملة. فبيّن أن كلمة «كَذِبَ» مصدر بمعنى «دَمٍ ذي كذب»، أو اسْتَعْمِلَتْ صفةً للمبالغة.

(كذب) مصدر بتقدير مضاف، أي: ذي كذب. أو وصف به مبالغة، كرجل عدل².

كما أوضح أن حرف «على» ظرف متعلق بـ«جاءوا»، مشيرٌ إلى اشتماله على معنى الافتراء

والتدبير. " و (على) ظرف ل (جاءوا) مشعر بتضمنه معنى (افتروا)³. وبهذا الشرح اللغوي يُبرز

القاسمي دقة المعنى في الآية، ويوضح صورة المكر الذي صنعه إخوة يوسف عليه السلام

أمثلة سيد قطب

١- في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ

اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ⁴

¹ سورة يوسف: 18

² تفسير محاسن التأويل (160/6)

³ مصدر السابقة (160/6)

⁴ سورة يوسف: 40

يستعمل سيد قطب اللغة العربية لبيان معنى الكلمة من حيث اللغة (اللُّغة) قبل أن يبيّن معناها في السياق الإسلامي. "إن معنى عبد في اللغة : دان ، وخضع ، وذل . . ولم يكن معناه في الاصطلاح الإسلامي في أول الأمر أداء الشعائر".¹

المقارنة:

يستخدم الإمام القاسمي المنهج اللغوي بطريقة منهجية وتقنية، مع تناول معمّق لجوانب النحو والصرف والبلاغة وبنية التراكيب لتوضيح معنى الآيات. ويزداد هذا التأكيد عندما نرى أن القاسمي كثير الاستشهاد بالمفسرين السابقين الذين كان نمط تفسيرهم لغوياً، مثل الزمخشري وأبو السعود. أما سيد قطب، فيقتصر على الاستفادة من المعنى اللغوي العام لكلمات اللغة العربية لتوضيح المعنى. وبناءً على ذلك، فإن تفسير القاسمي أقرب إلى نمط التفسير اللغوي، بينما يقدم سيد قطب لمسات لغوية تهدف إلى إبراز جمال الأسلوب والرسالة القرآنية، وليس في صورة تفسير لغوي خالص.

¹(انظر في ظلال القرآن (1988/4)

المبحث الثاني: مقارنة في المصادر بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: مصادر كتب التفسير السابقة

إلى جانب اعتماده على روايات التابعين، استخدم القاسمي أيضًا العديد من كتب التفسير السابقة كمصادر لتفسير القرآن.

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾¹

- قال الزمخشري: "وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هم طلبة الملوك ممن يولونه".⁽²⁾

نقل الإمام القاسمي تفسير الزمخشري ليبيّن معنى الآية بدقة من ناحية اللغة، بحيث يفهم القارئ بوضوح أنّ المقصود بعبارة "حَفِيظٌ عَلِيمٌ"، ليس مجرد شخص عارف بشكل عام، بل شخص أمين وكفؤ، بما يتناسب مع متطلبات القيادة في ذلك الوقت.

- قال أبو السعود: "وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله، عليه السلام، من جعله على خزائن الأرض، إيدانا بأن ذلك أمر لا مردّ له، غيّي عن التصريح".⁽³⁾

يبيّن الإمام القاسمي هذه الآية بنقله عن تفسير أبي السعود، تعزيزًا للجانب اللغوي والبلاغي. فإنّ عدم ذكر جواب الملك يُعدّ من أساليب البيان في القرآن الكريم، حيث إنّ سكوت الآية يدلّ على

¹ (سورة يوسف: 55)

² (تفسير محاسن التأويل (191/6))

³ (مصدر السابقة (191/6))

أَنَّ طَلَبَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُجِيبَ إِلَيْهِ فُورًا، لُؤْضُوحُهُ وَكَوْنُهُ مُوَافِقًا لِحُكْمَةِ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَإِنَّ حَذْفَ الْجَوَابِ صَرَاحَةً هُوَ مِنْ بَابِ الْإِيجَازِ الْبَلَاغِيِّ الَّذِي يَفِيدُ التَّأَكِيدَ عَلَى أَنَّ قَرَارَ الْمَلِكِ كَانَ مُقْضِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّصْرِيحِ بِهِ.

٢- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(١)

يُسْتَخْدَمُ الْإِمَامُ الْقَاسِمِيُّ أَيْضًا كِتَابَ ابْنِ كَثِيرٍ كَمَصَادِرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. يَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ أَنَّ الْقَاسِمِيَّ يَعْتَمِدُ عَلَى كِتَابِ التَّفْسِيرِ الْمَتَقَدِّمَةِ، وَلَا سِيَّمَا تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ. فَهَذِهِ الْآيَةُ مُوَضِعٌ خِلَافَ بَيْنِ الْمَفْسِّرِينَ فِي تَحْدِيدِ قَائِلِهَا: هَلْ هُوَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ. وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ، يَنْقُلُ الْقَاسِمِيُّ قَوْلَ ابْنِ كَثِيرٍ الَّذِي رَجَّحَ أَنَّ الْكَلَامَ هُوَ مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لَا مِنْ يَوْسُفٍ. "قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَقْوَى وَأَظْهَرُ لِأَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُمْ، بَلْ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْضَرَهُ الْمَلِكُ".^(٢) وَيُرَى ابْنَ كَثِيرٍ أَنَّ سِيَاقَ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الْحَوَارِ جَرَى بَيْنَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَالْمَلِكِ فِي غِيَابِ يَوْسُفٍ، مِمَّا يَجْعَلُ نِسْبَةَ الْكَلَامِ إِلَيْهَا أَقْرَبَ وَأَقْوَى، وَهَذَا مَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ عَدَدٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

اسْتَدْعَاءُ الْإِمَامِ الْقَاسِمِيِّ لِهَذَا التَّرْجِيحِ وَإِبْرَازُهُ يَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى مَنَهْجِهِ التَّجْمِيعِيِّ، فَهُوَ لَا يَقْدَمُ رَأْيًا مُنْقَطِعًا عَمَّا سَبَقَهُ، بَلْ يَبْنِي تَفْسِيرَهُ عَلَى التَّرَاثِ التَّفْسِيرِيِّ الرَّاسِخِ، ثُمَّ يَصَوِّغُهَا بِأَسْلُوبِهِ الْخَاصِّ وَبِصُورَةٍ مَنَهْجِيَّةٍ.

^(١) سورة يوسف: 53

^(٢) مصدر السابقة (187/6)

إنَّ القاسمي يكثر من نقل أقوال المفسرين المتقدمين، ومنهم ابن كثير، في تفسيره لآيات القرآن الكريم. إلا أنَّ هذا النقل لا يعني بالضرورة موافقته لهم على الدوام، ففي مواضع عدَّة يظهر الإمام القاسمي موقفًا نقديًا بعدم قبوله رأي ابن كثير قبولًا تامًّا. وهذه المخالفة ليست رفضًا مطلقًا، بل تقوم على اعتبارات علمية، وتحليل سياقي، ومقاربات يراها أدقَّ وأقوى. ويعكس هذا كله منهجية القاسمي في التفسير؛ إذ يتَّسم بالحذر والموضوعية والانتقاء، فلا يقتصر على جمع الأقوال والروايات، بل يزنها ويُحصِّصها قبل أن يجعلها جزءًا من تفسيره.

كما في المثال التالي: " قال ابن كثير: خزائن الأرض هي الأهرام التي يجمع فيها الغلات ... إلخ. ولم أر الآن مستنده في كون الأهرام كانت مجمع الغلات، ولم أقف عليه في كلام غيره. و (الأهرام) بفتح الهمزة، جمع هرم بفتحتيْن وهي مبان مربعة الدوائر، مخروطية الشكل، بقي منها الآن ثلاثة في الجيزة، بعيدة أميالًا عن القاهرة، معدودة من غرائب الدنيا دعيت لرؤياها أيام رحلي للديار المصرية عام ١٣٢١ هـ. وقد استقرَّ رأي المتأخرين في تحقيق شأنها على أنها كانت مدافن للملوكهم. ففي كتاب (الأثر الجليل لقدماء وادي النيل) : جميع الأهرام ليست إلا مقابر ملوكية".⁽¹⁾

لم يكن القاسمي موافقًا لابن كثير في قوله إنَّ الأهرام هي «خزائن الأرض». وقد أظهر القاسمي هذا الخلاف بأسلوبٍ علمي، إذ طالب بالدليل، واستند إلى معطيات تاريخية وآثارية يرى أنها أقوى حجة في هذا الموضوع. ومع ذلك، فإن اختلافه مع ابن كثير في مسألة الأهرام لم يمنعه من اعتماد تفسير ابن

⁽¹⁾ (تفسير محاسن التأويل (192/6)

كثير مصدرًا في مواضع عديدة من تفسيره، مما يدلّ على موضوعيّته وانتقائيّته العلمية في الترجيح والاستفادة من التفاسير السابقة.

وتوضح هذه المقاربة أن الإمام القاسمي يبنّي تفسيره اعتمادًا على التراث الفكري للعلماء السابقين، ولا يستخلص استنتاجاته دون أساس منهجي. ولهذا السبب، يُصنّف تفسير محاسن التأويل غالبًا على أنه تفسير تركيبي، يجمع آراء المفسرين السابقين ويعيد ترتيبها بأسلوب منهجي وتحليل منظم.

٣- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

يُفسّر الإمام القاسمي هذه الآية بنقله قول الرازي، الذي بيّن أن شرط الداعية إلى الله هو أن يكون على بصيرة واضحة مما يقول وعلى هدى ويقين، كما في تفسير العبارة على بصيرة أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . " قال الرازي: وأن يكون على بصيرة مما يقول، وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك، فهو محض الغرور".⁽¹⁾ وينقل تفسير الرازي، يزيد الإمام القاسمي من غنى تفسيره من الناحية اللغوية في توضيح معنى الآية.

¹ (تفسير محاسن التأويل (233/6)

المطلب الثاني: مصادر الاستشهاد بأقوال العلماء

كما أن تفسير الإمام القاسمي يُثريه آراء العلماء الذين يُعتمد عليهم كمصادر للتفسير، مما يضفي عمقاً وسلطة علمية في بيان معاني الآية.

أمثلة الإمام القاسمي:

وكان القاسمي يُكثّر من النقل عن علماء التّصوّف في تفسيره، مثل الغزالي والقاشاني والمهايمي والشهاب ، وقد نقل الكثير من أقوال العلماء البارزين، وخاصة الإمام السيوطي

١- قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾⁽¹⁾

قال القاشاني: "هذا النهي من الإلهامات الجملة"،⁽²⁾ وفي تفسير هذه الآية، يعرض القاسمي كذلك المعنى الإشاري الذي ذكره القاشاني، ليكون بمثابة بيانٍ روحيٍّ مضافٍ يُغني البعدَ الروحيَّ للآية، من غير أن يزاحم المعنى الظاهر الذي يبقى هو الأصل المعتمد في محاسن التأويل.

قال الغزالي في خطبة (المقصد الأسنى) : "من خالط الخلق جدير بأنه يتحامى. لكن من أبصر الحق عسير عليه أن يتعامى".³ إن اقتباس الغزالي يدعم الجانب النفسي والاجتماعي في تفسير القاسمي، وهو: الامتناع عن الإفصاح عن شيء صحيح من أجل الخير والحذر، وليس بدافع عدم الصدق.

⁽¹⁾ سورة يوسف: 5

⁽²⁾ انظر: تفسير محاسن التأويل (147/6)

⁽³⁾ مصدر السابقة: (148/6)

قال السيوطي السيوطي في (الإكليل) . قال الكيا: "هذا يدل على جواز ترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد ومكروه".¹ نقل الإمام القاسمي قول الإمام السيوطي لتوضيح حكم جواز الامتناع عن إظهار النعمة، خصوصًا إذا خشي من ذلك وقوع ضرر أو حسد من الآخرين.

٢- قال الله تعالى : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ (2)

لقد نقل الإمام القاسمي قول المهامي فغنى تفسيره بذلك، مع إضافة توضيح أن الحسد والمكر غالبًا ما يظهران حتى بين الأقارب، خاصة عندما يكون لشخص فضل أو مكانة. "قال المهامي: في الآية من الفوائد أن الجاه يدعو إلى الحسد..."⁽³⁾. وهذا يعزز الرسائل الأخلاقية والاجتماعية للآية، وهي الحذر والحكمة وتقدير شخصية الإنسان في التعاملات الاجتماعية، مما يجعل تفسير الإمام القاسمي أكثر شمولاً

٣- قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾⁴

¹ (تفسير محاسن التأويل (147/6)

² سورة يوسف: 18

³ تفسير محاسن التأويل (160/6)

⁴ سورة يوسف: 21

في تفسير هذه الآية نَقَلَ القاسمي قولَ الشهاب لتوضيح معنى لفظة أَكْرَمِي مَثْوَاهُ. فقد بيّن الشهاب أن هذه العبارة كناية عن إكرام يوسف على أتم وأكمل وجه، " وإكرام مَثْوَاهُ كناية عن إكرامه على أبلغ وجه وأتمه".¹ ولذا نَقَلَهَا القاسمي لتأكيد المعنى اللغوي الغني والعميق.

٤- في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَطْرَيْتُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾²

وعند تفسير هذه الآية، نقل الإمام القاسمي كلام ابن القيم الذي بيّن أن الشهوة أو العشق المحرّم له أثر تخريبي بالغ في الإنسان؛ إذ لا يقتصر فساده على السلوك الظاهر فحسب، بل يبدأ بفساد القلب. فإذا فسد القلب انحرفت الإرادة والنية، ثم فسد القول والعمل، بل قد يبلغ الأمر في أخطر مراحلهِ إلى إفساد أساس التوحيد. وفي سياق قصة نبي الله يوسف عليه السلام، يؤكد ابن القيم أن الابتلاء الذي تعرض له يوسف ابتلاء يكاد يكون مستحيلاً على البشر دفعه، لما فيه من قوة الداعي إلى المعصية وضعف الموانع عنها. "رأيت لابن القيم في (الجواب الكافي) في عجيب صبر يوسف وعفته، مع الدواعي من وجوه، قال عليه الرحمة، بعد أن مهد مقدمة في مفاصد عشق الصور العاجلة والآجلة".³

ولذلك فإن ثبات يوسف عليه السلام وعفته لم يكونا ثمرة قوة أخلاقية ذاتية مجردة، وإنما كانا نتيجة رحمة الله وحفظه وتوفيقه، كما دلّت الآية على أن النفس لا تنجو من دوافع الشر إلا إذا شملتها رحمة الله تعالى

¹مصدر السابقة(163/6)

² (سورة يوسف:53)

³ (انظر محاسن تأويل(188/6)

عند سيد قطب:

في تفسير الجوانب التربوية في سورة يوسف، لم تجد الباحثة أن سيد قطب قد اعتمد على كتب التفسير السابقة كمصدر لتفسيره، وكذلك لم ينقل أقوال العلماء.

المقارنة:

لقد استشهد الإمام القاسمي في تفسيره للآيات المتعلقة بجوانب التربية في سورة يوسف من عدة كتب تفسيرية سابقة، وخاصة المفسرين ذوي الطابع البلاغي مثل الزمخشري، وأبو السعود، والرازي، وكذلك من تفسير ابن كثير. اعتمد الإمام القاسمي في منهجه على الإكثار من نقل أقوال الأئمة والعلماء المتقدمين، مع اختيار ما يوافق توجهه الإصلاحي، " لذلك عمد إلى الإكثار من نقل أقوال أئمة المسلمين الغابرين في كتبه، يختار ما كان منسجماً مع دعوته السامية، ذلك لأن خصومه من رجال الدين، إذا كان لهم أن يعترضوا على أقواله، فليس لهم أن يعترضوا على أقوال الفقهاء الأقدمين، بل عليهم أن يسلموا بما جاء فيها".¹ وعلى العكس من ذلك، لم يجد الباحث أن سيد قطب قد استشهد من كتب التفسير السابقة أو أقوال العلماء لتدعيم تفسيره للآيات المتعلقة بجوانب التربية في سورة يوسف.

¹ (تفسير محاسن التأويل (1/1)

المبحث الثالث: خصائص والمميزات بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف

المطلب الأول: خصائص والمميزات بين المفسرين

يمتلك الإمام القاسمي والسيد قطب أوجه الشبه والتميز والخاصة في تفسيرهما، ومن بينها ما يلي:

• المنهج التربوي الواقعي

اعتمد القاسمي وسيد قطب في تفسيرهما على المنهج التربوي الواقعي، حيث حرصا على ربط دلالات الآيات بواقع الناس وحاجاتهم التربوية، وإبراز القيم التي تُسهم في بناء الفرد والمجتمع وفق توجيهات القرآن الكريم. كما يظهر في المثال الآتي:

أمثلة الإمام القاسمي

١- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾¹

في تفسير هذه الآية، يقدم القاسمي إرشادات عملية. إنه يجعل التفسير منهجاً تربوياً تطبيقياً، يوجه العلماء في كيفية التعامل مع المجتمع. ويرى أن الدعوة لا ينبغي أن تكون نظرية محضة، بل يجب أن تُترجم إلى إرشاد مباشر في شؤون الحياة: توضيح الواجبات والمحرمات، وتنبيه الناس إلى ما يصلح قلوبهم وأعمالهم، وتعليمهم الحقوق والواجبات، وخصوصاً في العقود والمعاملات. ويؤكد القاسمي هذا المنهج بقوله: "فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم، ويحدثوهم به، ويثوهم لهم، ويكون كلام

¹ (سورة يوسف: 108)

العالم معهم في بيان الأمر الذي جاءوا من أجله. مثل ما إذا جاءوا لعقد نكاح، يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف. أو لعقد بيع، يكون كلامه في صحيح البيوع وآدابها، وفوائد التجارة النافعة، واجتناب الغش والخداع وهكذا".¹

٢- في قوله تعالى: ﴿يَصْلَحِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾²

في تفسير هذه الآية، يُظهر الإمام القاسمي اعتماده على المنهج التربوي الواقعي. ويتجلى هذا المنهج في شرحه لنداء نبي الله يوسف عليه السلام بقوله: "يا صاحبي السجن"، إذ يعكس هذا النداء أسلوباً دعوياً إقناعياً إنسانياً، يقوم على بناء القرب العاطفي قبل عرض دعوة التوحيد، مما يجعل النصيحة أقرب إلى القبول. "وصفهما بالصحة الضرورية المقتضية للمودة، وبذل النصيحة".³

كما يؤكد القاسمي على توظيف الحوار العقلي من خلال الاستفهام البلاغي الذي يدعو الإنسان إلى التفكير النقدي والموازنة بين آثار التوحيد وآثار الشرك. وفضلاً عن ذلك، يربط القاسمي بين العقيدة ونتائجها الاجتماعية الواقعية، حيث يبين أن الإيمان بتعدد الآلهة يؤدي إلى التفرق والتعصب وفساد النظام الاجتماعي، في حين يحقق التوحيد وحدة المقصد، ويعزز الأخوة، ويُقيم أساس السعادة الإنسانية.

¹ (تفسير محاسن التأويل (233/6)

² (سورة يوسف: 39)

³ (انظر محاسن تأويل (176/6)

ويستحضر الإمام القاسمي السياق الاجتماعي لمصر في زمن يوسف عليه السلام ليؤكد أن الانحراف العقدي إذا ترسّخ في المجتمع خلف آثارًا واسعة على مختلف جوانب الحياة، " كما أن مصر كانت تغلبت في العلوم والسلطة، كذلك في عبادة الأصنام، فإن أهلها فاقوا كل من سواهم في الضلال".¹

أمثلة سيد قطب:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾²

في هذه الآية، يبيّن سيد قطب كيف تعامل يوسف مع إخوته بالمغفرة والصفح وإنهاء الموقف المخرج، مما يعكس الخلق الكريم. ووفقًا لسيد قطب، تصبح هذه الآية نموذجًا للتربية الأخلاقية الواقعية، حيث تُظهر أن تربية الأخلاق يجب أن تُطبّق في العلاقات الاجتماعية. كما أن نجاح يوسف في تجاوز الابتلاءات حتى منحه الله المنزلة يؤكد ثبات الإيمان واستمرار الالتزام بالخلق الحسن، ويكون مثالًا على أن الخلق الطيب يُنمّي الانسجام الاجتماعي ويشكل قدوة للمجتمع

٢- في قوله تعالى: ﴿يَصْلَحِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾³

في تفسير هذه الآية، يُبرز سيد قطب المنهج التربوي الواقعي، كما يتجلى ذلك في النقاط الآتية:

- ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنَءَ﴾ يدلّ على أنّ يوسف عليه السلام بدأ ببناء علاقة وجدانية وقُرب إنسانيّ مع مخاطبتيه قبل الدخول إلى صميم الدعوة. وهذا يعكس مبدأً تربويًا أصيلاً، "إنه يتخذ منهما

¹ (انظر محاسن تأويل (176/6)

² سورة يوسف: 92

³ سورة يوسف: 39

صاحبين ، ويتحجب إليهما هذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة . "(1) ويرى سيد قطب أنَّ هذا الأسلوب يُعدُّ من أنجح أساليب التربية، لأنَّ الإنسان يكون أقدر على تقبُّل الحقِّ عندما يشعر بالتقدير والمؤانسة والفهم الإنساني.

- لم يلجأ يوسفُ عليه السلام إلى الأمر المباشر أو الإدانة، بل طرح سؤالاً عقلياً فطرياً: أَرَبَابُ مُتَفَرِّقُونَ، وفي منظور سيد قطب، يُجسِّد هذا الأسلوبُ تربيةً عقديَّةً تُوقِّظُ الوعي ولا تفرضُ القناعة فرضاً. "وهو لا يدعوها إليها دعوة مباشرة ، إنما يعرضها قضية موضوعية".²

وهو منهجٌ ينسجم مع المنهج التربوي الواقعي، إذ يقوم على:

- احترام قدرة الإنسان على التفكير
- دعوة المتلقِّي إلى اكتشاف الحقيقة بنفسه، "وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً شديداً . . إن الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً".³
- إثارة الفطرة السليمة بدل قهرها أو إكراهها.

المقارنة:

- يرى كلُّ من الإمام القاسمي وسيد قطب أن القرآن الكريم لم يُنزل كنص نظري محض، بل كدليل حياة يجب أن يتجسَّد في واقع المجتمع البشري. فكلاهما يفسر الآيات مع إبراز البُعد التربوي الواقعي،

¹ (انظر في ظلال القرآن (1988/4)

² (مصدر السابقة (1988/4)

³ (مصدر السابقة (1988/4)

بما يتوافق مع احتياجات الناس ومشكلاتهم الاجتماعية. ويهدف التفسير الذي يقدمانه إلى بناء الإنسان المؤمن ذو الأخلاق الحميدة والمجتمع الصحي، حيث يُفهم القرآن كأداة تربوية لا توجّه سلوك الفرد فحسب، بل تسهم أيضًا في تنمية الوعي وإصلاح النظام الاجتماعي بشكل شامل.

- في تفسير سورة يوسف: ٣٩، يركّز كلّ من القاسمي وسيد قطب على عبارة "يَا صَاحِبِ السِّجْنِ" كأسلوب دعوي إنساني. ويرى كلاهما أن تعليم العقيدة يجب أن يبدأ بمقاربة عاطفية وحوارية لكي يكون قبول رسالة التوحيد أسهل وأقرب إلى الفهم

المطلب الثاني: خصائص والمميزات لكل مفسر

كلا من الإمام القاسمي والسيد قطب لهما كل منهما ميزات في تفسيره، كما سيُوضَّح فيما يلي:

عند الإمام القاسمي:

• التفسير اللغوي:

يشتهر كتابه في التفسير، «محاسن التأويل»، بالتركيز على التحليل اللغوي. استخدم القاسمي هذا المنهج لضمان فهم المعنى بدقة مباشرة من نص القرآن الكريم، ولتجنب التأويلات غير المستندة إلى دليل، مع دمج منهجي المعتمد على النقل (بالمأثور) والرأي (بالرأي). وفي هذا السياق، تناول القاسمي في منهجه اللغوي النحو والصرف للفظ القرآن الكريم، والجوانب الاشتقاقية والمعجمية لمعاني الكلمات، إضافة إلى الجانب البلاغي، وقد اقتبس بعض الآيات الشعرية العربية لدعم التفسير. وبذلك، يُعد المنهج اللغوي أحد السمات الرئيسية لطريقة التفسير عند جمال الدين القاسمي.

١- في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ

بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَشْكُرُونَ¹﴾

١- في تفسير الآية وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي...، استخدم الإمام القاسمي المنهج اللغوي لتحليل بنية

الكلمات ومعانيها. وأكد أن عبارة وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي يمكن فهمها بطريقتين:

¹ (سورة يوسف: 38)

- كـ "علة" (السبب): الفعل الماضي اتَّبَعْتُ يدل على فعل يوسف التاريخي الذي تم تنفيذه، وهو

اتباع طريق الأنبياء السابقين له. ويمكن فهم هذه الجملة كسبب خاص يوضح لماذا هداه الله

بالوحي

" هذه الجملة إما مسوقة لبيان علة تعليم الله له بالوحي والإلهام، أي خصني بذلك لترك الكفر،

وسلوك طريق آبائي المرسلين".¹

- كـ "استئناف"، الواو في بداية الجملة يمكن أن تدل على رابط أو افتتاح لموضوع جديد. وبالتالي،

يمكن فهم الآية أيضًا كبداية لسرد جديد، أي تمهيد لدعوة يوسف أو تأكيد على مبدأ التوحيد

بشكل عام. " أو كلام مستأنف، ذكر تمهيدا للدعوة، وإظهار أنه من بيت النبوة".²

٢- يستخدم الإمام القاسمي المنهج اللغوي لشرح المعنى، فالاستخدام من في عبارة من شيء يعمل

على تأكيد الشمولية العامة لتحريم الشرك. "وزيادة (من) في المفعول، أعني من شيء لتأكيد

العموم، أي لا نشرك به شيئا من الأشياء، قليلا أو حقيرا، صنما أو ملكا أو جنيا أو غير ذلك".³

٢- في قوله تعالى : ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁴

¹(انظر محاسن تأويل(176/6)

²(مصدر السابقة(176/6)

³(مصدر السابقة(176/6)

⁴(سورة يوسف:92

- "قال لا تَتَرَبَّأَ أَي: لا تعبير ولا توبيخ ولا تقريح"¹، يُمكنُ المنهج اللغوي الإمام القاسمي من استكشاف معاني الكلمات، وأشكال الأفعال، وبنية الجملة بشكل مفصل. فعلى سبيل المثال، تُحلل كلمة تَتَرَبَّأَ ليس فقط بمعنى "اللوم"، بل تشمل الإهانة، أو التوبيخ، أو السخرية، مما يجعل التفسير أكثر دقة وغنى في المعنى.

- "و (اليوم) متعلق بالتثريب، أو بالمقدر في (عليكم) من معنى الاستقرار، والمعنى: ولا أترَبِّكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام؟"²

يرى الإمام القاسمي العلاقة بين كلمة اليوم وكلمة عليكم من حيث معنى "الاستقرار" (مقدّر أو الاستقرار).

وهذا يُظهر المنهج النحوي والبلاغي، أي كيفية ترابط الكلمات لتشكيل معنى دقيق. ومن خلال تحليل استخدام كلمة اليوم لغويًا، يؤكد تفسير القاسمي اللحظة الخاصة بمغفرة الله.

كما اقتبس الإمام القاسمي في تفسيره بعض الآيات الشعرية العربية لتعزيز التفسير وتوضيح المعاني اللغوية للآيات.

"وقال الشريف المرتضى في (الدرر) : إن اليوم موضوع موضع الزمان كله كقوله:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً"³

¹ انظر محاسن تأويل (214/6)

² (مصدر السابقة) (215/6)

³ (انظر محاسن تأويل (215/6)

يقتبس الإمام القاسمي شعر الشريف المرتضى الذي يؤكد أن كلمة اليوم في الآية ليست مجرد إشارة

إلى اليوم حرفيًا، بل تصبح محورًا أو تمثيلًا لكل الزمان (موضوع موضع الزمان).

٣ - "وقيل: هداية الكيد مجاز عن تنفيذه وتسديده"¹.

من خلال التأكيد على المعنى المجازي، يبيّن القاسمي عمق لغة القرآن الكريم، وأن الكلمات أو العبارات

قد تحمل طبقات متعددة من المعاني. وفي تفسير الآية المتعلقة بيوسف وامرأة العزيز، يوضح هذا

المفهوم أن المكائد أو الإغراءات التي وُجّهت إليه لم تُفلح، لأن الله وجّه هذه المكائد لتفشل أو لتسير

وفق مشيئته. وبعبارة أخرى، فإن «هداية الكيد» تُظهر التدخل الإلهي للحفاظ على الحق وطهارة

يوسف.

• تنبه على بعض الأمور الدقيقة واللطيفة

في تفسيره، يولي القاسمي أيضًا اهتمامًا ببعض الأمور الدقيقة واللطيفة التي تشتمل عليها الآية، ويذكر

ذلك تحت عناوين: فائدة أو فوائد، لطيفة أو لطائف، تنبيه أو تنبيهات.

- في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ²﴾

أضاف الإمام القاسمي "لطائف" في تفسيره لهذه الآية لكشف المعاني الدقيقة، والحكم الأخلاقية،

وجمال اللغة الكامن في الآية. ومن خلال التركيز على دقة اللغة، والأحداث، وشخصية الأبطال،

¹ (انظر محاسن تأويل (187/6)

² (سورة يوسف: 18)

مثل صبر يوسف الذي وُصف بـ صبر جميل، أكد أن الصبر ليس مجرد كف النفس، بل يصاحبه الرضا، دون شكوى، ويتوافق مع حقيقة العبادة لله. كما تعمل اللطائف على إبراز الصراع بين الدوافع النفسية والدوافع الروحية، وتحذر من الحسد والمكر وخطر الكذب، وتؤكد أن النجاة والعزة والقوة للإنسان بيد الله. وبالتالي، فإن إضافة اللطائف تمكّن القارئ من فهم الآية بعمق أكبر، ليس فقط على المستوى الظاهر، بل أيضاً من ناحية الأخلاق، والروحانية، والحكمة العملية في الحياة اليومية

- في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ

اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ¹

أضاف الإمام القاسمي "تنبيه" في تفسير هذه الآية بهدف التأكيد على الدروس الأساسية والحكمة الكامنة فيها. فالتنبيه يهدف إلى جذب انتباه القارئ ليدرك أهمية التوحيد، ويميز الحق، ويفهم خطر الشرك، كما يقدم إرشادات حول طريقة الدعوة، وهي تقديم الحق أولاً قبل الإجابة على الأسئلة واستثمار كل فرصة للدعوة في كل ظرف. بالإضافة إلى ذلك، يعمل التنبيه كتذكير بأن العلم وفهم الآيات يجب أن يُستخدم لنقل الحق والدعوة إلى التوحيد، وليس للتباهي أو الغرور، مما يمكن القارئ من إدراك حكمة الآية بعمق، سواء من ناحية التوحيد، أو الأخلاق، أو الحكم التي يمكن تطبيقها في الحياة اليومية

عند سيد قطب

¹ (سورة يوسف: 40)

• التفسير الحركي

تُعرف تفاسير سيد قطب بطابعها المميز، وهو الطابع الحركي الذي يركز على أبعاد الحركة والكفاح في الحياة الاجتماعية والدينية. ويُعترف بسيد قطب أيضاً كمؤسس في تطوير الطابع التفسيري الحركي. "ويتحدث عن اتجاهات التفسير في العصر الحديث بإيجاز، ومنها الاتجاه الأثري والعقلي والعلمي والاجتماعي والبياني، والاتجاه الدعوي الحركي ويتمثل في (ظلال القرآن) لسيد قطب"¹.

١- في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾²

في تفسير هذه الآية، يتضح الطابع الحركي بشكل قوي جداً. يؤكد سيد قطب أن الله وحده هو الذي له الحق المطلق في إدارة شؤون البشر، لأن الحكم جزء من الربوبية. ولا يجوز للبشر أن ينتزعوا مصدر الحكم وسلطانه من الله؛ فكل تصرف اجتماعي أو قانوني أو سياسي يجب أن يكون موجهاً لتطبيق شرع الله، لا بناءً على طموح فرد أو جماعة. "إن الحكم لا يكون إلا لله. فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته؛ إذ الحاكمية من خصائص الألوهية. من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته؛ سواء ادعى هذا الحق فرد، أو طبقة، أو حزب".³

كما يشدد قطب على أن الطاعة (العبادة) لا تصح إلا إذا كان الحكم في يد الله. والعبادة هنا لا تقتصر على الطقوس الشكلية، بل تشمل الالتزام الكامل في الحياة الاجتماعية والقانونية والأخلاقية.

¹ (التفسير والمفسرون في العصر الحديث (97/1)

² سورة يونس: 40

³ (انظر في ظلال القرآن (1988/4)

وعلاوة على ذلك، يؤكد أن ادعاء السلطة من قبل فرد أو جماعة أو مؤسسة غير الله يُعد شركاً عملياً، لأنه يجعل البشر مصدر التشريع. ومن ثم، توضح الآية بشكل جلي أن الناس يجب أن يلتزموا بطاعة الله وتنظيم حياتهم بناءً على أحكامه مباشرة

٢- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾¹

يبرز سيد قطب في تفسيره لهذه الآية النفس الحركي بوضوح، إذ يؤكد أن يوسف كان شخصية تتحرك فعلياً لمصلحة الأمة لا لمصالحه الشخصية. ويرى قطب أن يوسف نموذج للقائد والداعية الذي يتحمل المسؤوليات الكبرى متسلحاً بالعلم والامانة والحكمة، وقادراً على مواكبة الواقع الاجتماعي ومواجهة التحديات الكبيرة من أجل المصلحة العامة. كما يؤكد قطب أن الاسلام ليس ديناً سلبياً، بل هو حركة فاعلة في تحقيق الحق، ورفع الظلم عن الناس، وبناء مجتمع مرتكز على القيم الالهية.

ويتجلى المنهج الفقهي الحركي عند قطب في تفسيره، حيث يعتبر أن احكام الاسلام لا تفهم فهماً نصياً جامداً فقط، بل هي ادوات حية يجب تطبيقها في مجتمع متحرك دائم التغير وممتلىء بالتحديات. " إن الفقه الإسلامي لم ينشأ في فراغ ، كما أنه لا يعيش ولا يفهم في فراغ ! . . لقد نشأ الفقه الإسلامي في مجتمع مسلم ، ونشأ من خلال حركة هذا المجتمع في مواجهة حاجات الحياة الإسلامية الواقعية".²

● التفسير الأدبي الاجتماعي

¹ (سورة يوسف: 55)

² (انظر في ظلال القرآن(4/2005)

يشتهر سيد قطب بتفسيره ذي الطابع الأدبي الاجتماعي، وهو تفسير يركز على القضايا المجتمعية الدور الإصلاحي والتربوي. فهذا التفسير لا يقتصر على توضيح المعنى النصي للآيات فحسب، بل يبين أيضًا كيف تشكّل هذه الآيات شخصية الفرد وتساهم في بناء المجتمع. ومن خلال هذا المنهج الأدبي الاجتماعي، يقدم قطب القرآن الكريم كدليل حياة شامل، يوجّه القارئ للتأمل في الرسائل الأخلاقية، وتعزيز الوعي الاجتماعي، واستبطان القيم الأخلاقية في التعاملات اليومية

أمثلة سيد قطب:

١- في قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ

لَكَ^١﴾

-تفسير سيد قطب مشبع بالبعد الأدبي من خلال التصوير الدرامي والجمالية السردية. يقدم قطب هذه القصة بوصف أدبي حي وعاطفي، دون أن يجعلها فاحشة. ويعرض الديناميات النفسية بلغة مؤثرة:

“وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تحتاج فيها دفعة الجسد الغليظة، ونداء الجسد الأخير.”

¹ (سورة يوسف: 23)

هذا التصوير يظهر قدرة قطب على إعادة بناء الحالة النفسية للشخصية بشكل درامي، وهي سمة مميزة للنهج الأدبي. وبظل قطب محافظاً على كرامة السرد القرآني: "ولا ينشئ منها معرضاً للنزوة الحيوانية الجاهرة، ولا مستنقعاً للوحل الجنسي المقبوح".

-يركز تفسير سيد قطب على النقد الاجتماعي تجاه بنية المجتمع وثقافة الطبقة العليا. يرى قطب هذه الحادثة انعكاساً للفساد الأخلاقي لدى النخبة الأرستقراطية في مصر القديمة. "فهذه البيئة... بيئة الطبقة المترفة دائماً". يوضح أن الإغراءات والانحرافات الأخلاقية وسوء استخدام السلطة من سمات البيئة الاجتماعية البعيدة عن قيم التقوى. ويتماشى هذا النهج مع البعد الاجتماعي، أي فهم الآية في سياق المجتمع والتحديات الأخلاقية التي تنشأ فيه.

-يعرض قطب الواقع النفسي والاجتماعي بعمق. ويؤكد أن الفتنة التي تعرض لها يوسف ليست حادثة عابرة، بل عملية طويلة في بيئة مليئة بالإغراءات. "فلا بد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة". يوضح هذا الفهم الواقعي أن شهوة الإنسان تتطور من خلال التفاعل والظروف الاجتماعية المعقدة، وليس فقط في لحظة واحدة.

-يظهر يوسف كنموذج للأخلاق والنزاهة الاجتماعية. يوضح قطب أن يوسف واجه امتحانات كبيرة لسنوات عديدة لكنه ظل صامداً محافظاً على شرفه. "فهذه هي المحنة الطويلة التي مر بها يوسف، وصمد لها، ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها". بهذا، يربط قطب القيم الروحية الشخصية بالمسؤولية الاجتماعية، ليصبح يوسف مثلاً للشباب النزيه صاحب الأخلاق الحميدة في المجتمع.

تفسير سيد قطب لهذه الآية يُظهر انسجاماً قوياً بين جمال الخطاب القرآني (الأدبي) وتحليل المجتمع الجاهلي الحديث الذي ينتقده (الاجتماعي).

الخاتمة

بعد إتمام لهذا البحث بعون الله وتوفيقه أود أن أجمل أهم نتائج التي توصلت إليها من خلال

دراستي لهذا الموضوع، وهي كما يلي:

١. الشمول في تناول الجوانب التربوية

تناول كل من القاسمي وسيد قطب القيم التربوية في سورة يوسف تناولاً شاملاً، يجمع بين التربية

الاعتقادية، التربية الأسرية، التربية الأخلاقية، التربية الدعوية والتربية الاجتماعية. ولمزيد من الإيضاح

يمكن الرجوع إلى الجدول الآتي:

الجوانب التربوية	عند الإمام القاسمي		عند سيد قطب	
	الآيات	القيم التربوية	الآيات	القيم التربوية
للعقيدة الإسلامية	٣٨،٣٩،٤٠	-ترك الشرك -العبادة غاية التذلل	٣٨،٤٠	-التوحيد الله هو الفطرة -الحاكمية الله وحده
الأسرية	٤،٥،٨	-العلاقة بين الأب والبن، -نصيحة يعقوب لابنهيوسف -العدل بين الأبناء	٥،٨	-نصيحة يعقوب لابنه يوسف -الغيرة بين الإخوة
الأخلاقية	٩٢،٥٣ (١٨،٨٣)	-الصبر - العفو -التوبة	٢٣،٩٢	-العفة -العفو
الدعوية	٣٧،٣٩،١٠٨	-دعوة إلى التوحيد	٣٩،١٠٨	-اسلوب الدعوة -الدعوة المتميزة

		-أسلوب الدعوة		
		- أساس الدعوة		
الإجتماعية	٢١،٥٥	-إكرام الآخرين -جواز طلب الولاية	٢٩،٥٥	-الأخلاق الإستقرائية - طلب الولاية

٢- الإمام القاسمي وسيد قطب مفسران يجمعان بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، إلا أن تفسيرهما لسورة يوسف، خاصة من الجانب التربوي، يظهر فيه الطابع الرأي أكثر.

٣ - كلا المفسرين في تفسيرهما يوليان اهتمامًا للقضايا الاجتماعية، ويظهر بوضوح الجانب التربوي الواقعي، بحيث يُصبح القرآن منهج حياة عملي للناس.

٤ - لكل مفسر خصائصه المميزة التي تتأثر بعدة عوامل، من بينها الزمان الذي عاش فيه والبيئة التي شكلت شخصيته وفكره. ويعرف الإمام القاسمي بأنه مفسر ذو طابع فقهي وعلمي ولغوي، إلا أن الجانب اللغوي يظهر أكثر في الجانب التربوي من سورة يوسف التي تَمَّت دراستها. أما سيد قطب فيعرف بطابع تفسيره الأدبي والاجتماعي والحركي، وهو ظاهر بوضوح في كل آية فسرهما

٥ - يُعدّ الإمام القاسمي وسيد قطب من المفسرين في العصر الحديث. وهدف تفسيرهما واحد، وهو إصلاح المجتمع وإعادة القرآن إلى موقعه في وسط حياة الناس

٦ - في تفسيره، يستشهد الإمام القاسمي بالكثير من كتب التفسير السابقة وأقوال العلماء التي اتخذها مرجعًا له. أما سيد قطب، فلم يجد الباحثة أنه قام بمثل هذا

٧- الإختلاف في التفسير بين الإمام القاسمي وسيد قطب ليس اختلافاً متعارضاً، بل هو اختلاف

متنوع

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

رقم	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة			
1	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	2	45
2	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	3	45
3	مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ	4	45
سورة البقرة			
4	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	153	71
5	وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ	156-155	71
6	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	222	86
7	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	256	120
8	وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	195	150
9	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	82	120
سورة آل عمران			
10	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا	139	70
11	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	200	70

98	159	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآنْفَضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ	12
167، 103	104	وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	13
164	134	وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	14
سورة النساء			
22	48	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا	15
34	33	عَقَدْتُ أَيْمَنُكُمْ	16
60	129	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ	17
181	36	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْءًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا	18
سورة المائدة			
34	89	بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَنَ	19
133	50	أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ	20
150	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ	21

سورة الأنعام			
22	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	162	39
23	إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضْ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ	57	132
24	وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ	85	150
25	وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	108	179
سورة الأعراف			
26	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	199	73،163
27	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُوَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	59	94
28	وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُوَ أَفَلَا تَتَّقُونَ	65	94
29	وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا	172	126
سورة التوبة			
30	وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	102	84
سورة يوسف			
31	الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	1	28

28،29	3	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ	32
29	2	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	33
32	67	إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ	34
36،122،2 29	38	وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ	35
89،97،16 9،225،22 6	39	يَصْحَبِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ	36
41،128	40	مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	37
47،200،2 12	4	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ	36
49،53،55 138،204، 220،	5	قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ	39
49	98	قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	40
57	16	وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ	41

144،209	8	42	إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
66،214،2 21،232	18	43	وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ
67	86	44	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
68	83	45	قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
69	50	46	وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْءَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافِرٍ
74،160،2 26،230	92	47	قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ
76	100	48	وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
70	54	49	وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

78،79،20 1،217،22 2	53	50	وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ
81	91	51	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئُ عَيْنَ
90	37	52	قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ
110،221	21	53	وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
102،175، 219،224	108	54	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
100	103	55	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
105	104	56	وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ
114،189، 202 204،207، 216،235،	55	57	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ
146	9	58	أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبْيَعِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ

59	23	153	وَرَزَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ
60	29	183	يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ
سورة النحل			
61	125	25،97،98	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
62	36	89،93	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ
63	90	59	وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ
64	127	70	وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
سورة الإسراء			
65	23	51	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
66	70	112	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
سورة الكهف			
67	110	131	فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
سورة طه			
68	44	99	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ
سورة الأنبياء			
69	107	108	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

سورة المؤمنون			
70	إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ	46	185
71	فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ	47	185
72	أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ	35	200
سورة النور			
73	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	31	85
74	وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ	22	164
سورة الفرقان			
75	إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا	70	85
سورة القصص			
76	أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا	54	71
77	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	56	101
78	﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَعَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ﴾	76	187
سورة العنكبوت			
79	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	46	178
سورة الروم			

19	39	80	وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُوا عِنْدَ اللَّهِ
124	30	81	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
137	21	82	وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
سورة لقمان			
20،50،13 6	13	83	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ وَيُبَيِّنُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
151	18	84	وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
سورة السجدة			
71	24	85	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
سورة فاطر			
202	15	86	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
سورة الزمر			
28	23	87	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
44،120	65	88	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

سورة فصلت			
89	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	33	167
سورة الشورى			
90	وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ	43	163
91	فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ	40	165
سورة الأحقاف			
92	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	15	136
سورة الحجرة			
93	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	10	26
94	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	9	26
95	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	13	181
سورة الذاريات			
96	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	93

سورة النجم			
84،202	32	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى	97
سورة التحريم			
22	6	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	98
سورة القلم			
23،64	4	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	99
سورة نوح			
85	12-10	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا	100
سورة العصر			
24	3	إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	101

فهرس الأحاديث النبوية

رقم	الأحاديث النبوية	رقم الصفحة
1	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	23،64
2	من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار". وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة	38
3	يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له	50
4	والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته	51
5	الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره	55
6	فإني لا أشهد على هذا هذا جور، أشهد على هذا غيري، اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف	59
7	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي	70
8	إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ	73
9	وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً	73

85	مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِعْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ	10
92	الْإِيمَانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٍ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأُذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ	11
92	إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب	
93	مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ	12
98	استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	13
112	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه	14
127	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	15

143	من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح	16
168	جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أبدع بي فاحملني. فقال: ما عندي. فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دل على خير فله مثل أجر فاعله	17
182	ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه	18
193	إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سألته، ولا أحدا حرص عليه	19

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الأعلام	رقم
3	الحافظ المعمر الشيخ عبد الرحمن بن علي شهاب المصري	1
3	الشيخ رشيد أفندي قزيه	2
3	الشيخ أحمد الحلواني	3
5	محمد رشيد رضا	4
14	الشيخ الشعراوي	5
14	الشيخ المجاهد عبد الله عزام	6
14	الشيخ يوسف قرضاوي	7
19	ابن منظور	8
20	الراغب الأصفهاني	9
27	ابن حجر	10
27	الإمام القاسمي	11
28	سعيد بن أبي وقاص	12
28	عون بن عبد الله	13
29	ابن عباس	14
29	قتادة	15

30	سيد قطب	16
30	الإمام السيوطي	17
37	ابن عاشور	18
37	الإمام الطبري	19
39	ابن تيمية	20
66	مجاهد	23
67	الثوري	24
70	الإمام أحمد	25
71	ابن قيم الجوزية	26
80	الإمام الزمخشري	28
81	الإمام البيضاوي	29
83	الإمام الغزالي	30
129	الإمام عبد الرحمن السعدي	31
141	وهبة الزحيلي	32

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات	الرقم
و	المقدمة	1
2	التمهيد	2
2	النقطة الأول: التعريف بالشيخ القاسمي و كتابه محاسن التأويل	3
11	النقطة الثاني: التعريف بالشيخ سيد قطب و كتابه في ظلال القرآن	4
19	النقطة الثالث: معنى التربية	5
27	النقطة الرابعة: التعريف الإجمالي بسورة يوسف	6
34	الفصل الأول: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند الإمام القاسمي	7
34	المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية	8
36	ترك الشرك	9
41	العبادة غاية التذلل	10
46	المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية	11
47	العلاقة بين الأب والابن	12
53	نصيحة يعقوب لابنه يوسف	13
57	العدل بين الأبناء	14
63	المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية	15
66	الصبر	16
73	العفو	17
78	التوبة	18
87	المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية	19

20	دعوة إلى التوحيد	89
21	اسلوب الدعوة	97
22	أساس الدعوة: على بصيرة (العلم والحجة)	102
23	المبحث الخامس: الجوانب التربوية الإجتماعية	108
24	إكرام الآخرين	110
25	جواز طلب الولاية	114
26	الفصل الثاني: الجوانب التربوية في سورة يوسف عند سيد قطب	120
27	المبحث الأول: الجوانب التربوية للعقيدة الإسلامية	120
28	توحيد الله هو الفطرة	122
29	الحاكمية لله وحده	128
30	المبحث الثاني: الجوانب التربوية الأسرية	136
31	نصيحة يعقوب لابنه يوسف	138
32	الغيرة بين الإخوة	144
33	المبحث الثالث: الجوانب التربوية الأخلاقية	150
34	العفة	152
35	العفو	160
36	المبحث الرابع: الجوانب التربوية الدعوية	167
37	اسلوب الدعوة	169
38	الدعوية المتميزة	175
39	المبحث الخامس: الجوانب التربوية الإجتماعية	181

40	الأخلاق الأرستقراطية	183
41	طلب الولاية	189
42	الفصل الثالث: مقارنة بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف	199
43	المبحث الأول: المقارنة المنهج بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف	199
44	المطلب الأول: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالمأثور	199
45	تفسير القرآن بالقرآن	200
46	تفسير القرآن بالسنة	204
47	تفسير القرآن بأقوال التابعين	207
48	المطلب الثاني: المقارنة بين المفسرين في تفسير بالرأي	209
49	المبحث الثاني: مقارنة في المصادر بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف	216
50	المطلب الأول: مصادر كتب التفسير السابقة	216
51	المطلب الثاني: مصادر الاستشهاد بأقوال العلماء	220
52	المبحث الثالث: خصائص والمميزات بين المفسرين في الجوانب التربوية في سورة يوسف	224
53	المطلب الأول: خصائص والمميزات بين المفسرين	224
54	المطلب الثاني: خصائص والمميزات لكل مفسر	229
55	الخاتمة	239
56	فهرس الآيات القرآنية	243
57	فهرس الأحاديث النبوية	254
58	فهرس الأعلام	257

259	فهرس الموضوعات	59
263	المصادر و المراجع	60

المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم
2. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 3
3. إحياء علوم الدين لأبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: 4
4. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة المديني، دار القلم-دمشق، الطبعة: الخامسة، 1420 هـ-1999 م،
5. الأسرة المتغير في المجتمع المدينة العربية لعبد القادر القاصر، دار النهضة العربية-بيروت، ط: الأولى 1995
6. الأسرة و الطفولة لزيدان عبد الباقي، مكتبة النهضة العربية بمصر، ط: الرابعة 1980
7. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون 1428 هـ
8. أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة 1421 هـ
9. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، عدد الأجزاء: 8
10. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - لجنة تأليف بإشراف الشيرازي 2009 هـ

11. البحر المحيط في التفسير لأبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفي: ٥٩٧هـ), بتحقيق: صدقي محمد جميل, الناشر: دار الفكر - بيروت, الطبعة: 1420هـ، عدد الأجزاء: 10
12. البصيرة في الدعوة إلى الله لعزیز بن فرحان العنزي، ص: 18، الناشر: دار الإمام مالك - أبو ظبي، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م
13. تأملات إيمانية في سورة يوسف د. ياسير برهامي، دار الإيمان
14. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس 1984 م ، عدد الأجزاء: 30
15. تخریج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1416 هـ - 1995 م
16. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لزين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م
17. التصوير الفني في شعر سيد قطب لحنان أحمد غنيم، رسالة ماجستير، جامعة غزة الإسلامية، غزة، 2007م
18. تعاون الدعاة وأثره في المجتمع لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431

19. تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 9
20. التفسير التربوي للقرآن الكريم، أنوار الباز، دار النشر للجامعات مصر، عدد الأجزاء: 3
21. تفسير الشعراوي - الخواطر لمحمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 19
22. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بتحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، ط: الأولى، 1422 هـ، عدد الأجزاء: 24
23. تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12
24. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد علي طه الدرة، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 10
25. تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، عدد الأجزاء: 20
26. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط: الأولى، 1411 هـ - 1991 م، عدد الأجزاء: 30

27. التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط: الثانية، مزيده ومنقحة، 1430هـ - 2009 م
28. التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: الطبعة: الأولى، 1997 - 1998 م، عدد الأجزاء: 15
29. تفسير من وحي القرآن لمحمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر - لبنان 2018، ط: الثالثة
30. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث للدكتور فضل حسن عباس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، عدد الأجزاء: 3
31. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى
32. التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم د. مجدي الهلال، دار السراج، القاهرة
33. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة: الأولى 1420هـ
34. الجامع لأحكام القرآن لأبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بتحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ، عدد الأجزاء: 9

35. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير

البيضاوي لألشهاب الحفاجي، دار النشر: دار صادر - بيروت، عدد الأجزاء: 8

36. الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال لعقيل بن محمد بن زيد المقطري، الناشر: الكتاب

منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات عدد صفحات (الكتاب الورقي)

: 30

37. رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، تاريخ

النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة

38. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى

- 1422 هـ، عدد الأجزاء: 4

39. زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار

الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10

40. سنن ابن ماجه لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد

بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي

الخلي، عدد الأجزاء: 2

41. السنن الكبرى لأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي بتحقيق: محمد عبد القادر

عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1424 هـ

42. السنن الكبرى لأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الطبعة: الثالثة، 1424 هـ، عدد الأجزاء: 10
43. سيد قطب الأدب الناقد والداعية المجاهدة والمفكر المفسر الرائد لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق: دارالقلم، 2000م
44. سيد قطب من الميلاد إلى لإستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق: دار القلم، 1994م، طبعة: 2
45. سير أعلام النبلاء للشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، عام النشر: 1427 هـ، عدد الأجزاء: 18
46. السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، بتحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، عدد الأجزاء: 2
47. شرح تطهير الاعتقاد للصنعاني لعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، عدد الأجزاء: 1
48. شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
49. شرح لامية ابن تيمية لعمر بن سعود بن فهد العيد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم

- آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 19 درسا]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431
50. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لابن الملّك في كتاب الرأي، بتحقيق: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ، عدد الأجزاء: 5
51. صحيح مسلم لأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد ذهني أفندي، الناشر: دار الطباعة العامة - تركيا، عدد الأجزاء: 8
52. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، 1409 هـ - 1989 م
53. علم الاجتماع لمصطفى الخشاب، عالم الكتاب القاهرة، 1985
54. علو الهمة لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار القمة - دار الإيمان، مصر
- 2004 م، تاريخ النشر بالشاملة: 4 رمضان 1433
55. عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ، عدد الأجزاء: 9
56. في ظلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الشروق-القاهرة، ط: الشرعية العاشرة
- 1401 هـ-1981 م، عدد الأجزاء: 6
57. في ظلال سيد قطب : لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيرية د.وصفي عشور أبو زيد، مصر: صوت القلم العربي 1430 هـ

58. كتاب التعريفات للجرجاني، بتحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى 1403 هـ - 1983 م =

59. كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين لعبد الرحمن بن

حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف،

المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط: الأولى،

1411 هـ/ 1990 م

60. كتاب العين لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري،

بتحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد

الأجزاء: 8

61. كتاب صحيح البخاري لأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، بتحقيق: د.

مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط: الخامسة،

1414 هـ

62. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر بن

أحمد الزمخشري، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي بيروت، ط:

الطبعة: الثالثة 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4

63. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريني

الكفوي، أبو البقاء الحنفي، بتحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة

الرسالة - بيروت

64. لسان العرب لابن منظور ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالث، 1414 هـ،

عدد الأجزاء: 15

65. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري

الرويفعي الإفريقي ، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ، عدد

الأجزاء: 15

66. لفقه الأكبر لأبي حنيفة ، الناشر مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ط: الأولى، 1419 هـ

- 1999م

67. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: 1425 هـ

68. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، بتحقيق:

محمد باسل

69. مختصر منهاج القاصدين لنجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة

المقدسي، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق

70. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد

المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: : الثالثة، 1416 هـ

- 1996م، عدد الأجزاء: 3

71. مدخل إلى ظلال القرآن لصالح عبد الفتاح الخالدي ، عمان: دار العمار 1428 هـ

72. مراحل التطور الفكري في حيات سيد قطب لحسين بن محمد، دار الجبهة للنشر والتوزيع - شعبان ١٤٢ هـ
73. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي بتحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1412 هـ ، عدد الأجزاء: 4
74. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى 1419 هـ/1999م
75. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين لأعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث
- <http://www.ahlalhdeeth.com> [الكتاب مرقم آليا، غير مطبوع]
76. معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُم)، ط: الأولى، 1412 هـ
77. معجم مقاييس اللغة لأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الناشر: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، (1389 - 1392 هـ)، عدد الأجزاء: 6

78. مفاتيح الغيب لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب
بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة
- 1420 هـ، عدد الأجزاء: 32
79. المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،
بتحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط:
الأولى - 1412 هـ
80. المفردات في غريب القرآن لالراغب الأصفهاني، بتحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر:
دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الطبعة: الأولى - 1412 هـ
81. مناهج المفسرين لمنيع بن عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، دار
الكتاب اللبناني - بيروت
82. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي
الحلي وشركاه، ط: الثالثة، عدد الأجزاء: 2
83. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 15
84. المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيليا، لناشر:
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 119 - السنة 35 - 1423 هـ/2003م
85. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق
القاسمي، بتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية

86. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،

الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، ط: الأولى، (1389 - 1404

هـ)، عدد الأجزاء: 22

87. نواذر الأصول في أحاديث الرسول، لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله،

الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، بتحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل -

بيروت، عدد الأجزاء: 4

88. الوجيز في عقيدة السلف الصالح عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الناشر: وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية، ط: الأولى، 1422هـ، عدد

الأجزاء: 2